قادة الفتح الأسلامي



تأليف

اللواء الركن

محمود شيت خطاب

مطبعة العاني ـ بغداد

الطبعة الأولى
١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ
فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ
لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ
خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ
بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ

(القرآن الكريم)

النور (٢٤ : ٥٥)

الإهداء

إلى والدي

كنت تتنغم عندما تحدثني عن سيرة عمر

ابن الخطاب رضي الله عنه إعجاباً وتقديراً ...

وكنت لا تمل الحديث عنه ، فجعلت حبه

يتغلغل في أعماق أعماق نفسي ...

فهذا الكتاب ثمرة من ثمرات أحاديثك

الشيقة عن الفاروق والتي لا تزال ترن في أذني ..

رحمك الله وجعل ثواب هذا الكتاب علماً

ينتفع به خالصاً لك من ولدك .

محمود شيت خطاب

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي يسّر لي التفرّغ مرة ثانية[1] لكتابة سير قادة الفتح الأسلامي ، والصلاة والسلام على الرسول القائد وعلى آله وصحبه أجمين •

وقفتُ كما يقف أصغر جندي في العالم أمام أعظم قائد في التاريخ داخل حجرة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موسم الحج لعام ١٣٨٣هـ (١٩٦٤م) والى جانب قبره الشريف في تلك الحجرة المطهّرة قبرا صاحبيه ووزيريه في حياته : ابى بكر الصديق وعمر الفاروق رضى الله عنهما ••• وهناك انبثقت في خلدي فكرة دراسة حياة الخلفاء الراشدين العسكرية ، فهم الذين نفّذوا أهداف الرسول صلوات الله وتسليمه عليه في الفتح ، وهم وضعوا مخططاته لحماية حرّية نشر الدعوة الأسلامية موضع التنفيذ ، وهم الذين تحمّلوا عبء قيادة الفاتحين من بعده ؛ فأقاموا (وحدة) رصينة ، وأنشأوا (دولة) متماسكة على أسس مستمدة من تراثنا الروحي وتربتنا الطيّبة •

في ذلك المكان الطاهر ، في تلك الأيام المباركة ، وأمام قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقبر صاحبيه العظيمين ، قطعتُ على نفسي عهداً أن أكتب تاريخ حياة الخلفاء الراشدين العسكرية •

واذا كان : (القادة الراشدون) ، وهذا اسم الكتاب الذي أدعو الله العليّ القدير أن يمدّني بعون من عنده لأنجازه ونشره ، قد بذلوا جميعهم قصارى جهدهم في قيادة العرب المسلمين ، فانّ عهد عمر بن الخطاب

---

(١) تفرغت لكتابة سير قادة الفتح الاسلامي مرتين : الاولى بعد خروجي من سجون قاسم سنة ١٩٦٠م حتى ثورة رمضان المبارك سنة ١٩٦٣م ، والثانية من ١٨/٦/١٩٦٤ ، وهذا الكتاب من نتاج التفرغ الثاني ، وقد أنجزته في الفترة بين ١٨/٦/١٩٦٤ ــ ١/٨/١٩٦٤ اي من (٨ صفر ١٣٨٤ ــ ٢٣ ربيع الاول ١٣٨٤هـ) •

رضي الله عنه كان بدون منازع هـو العهد الذهبي للفتح الأسـلامي ، ففي أيامه فتح العرب المسلمون بلاداً شاسعة وثلّوا عرش كسرى وزعزعوا عرش قيصر ، فـكان عمـر أعظم الفاتحين على الأطـلاق في تاريخ الأسلام ••• والذين جاؤا من بعـده من الخلفاء والمـلوك لـم يستطيعوا أن يضموا الى فتحه الا بلاداً أقلّ بكثير مما حققه هو من فتوح •

واذا كانت أسباب الفتح الأسلامي كثيرة ، فان على رأس تلك الاسباب ما كان يتمتّع بـه عمر من سجـايا قيادية فذّة لا تتكرّر في غيره على مرّ السنين والعصور الا نادراً •••

هـذه السجـايا الشخصية لقيادة الفاروق ، كان لهـا الأثـر الحاسم على اندفـاع المسلمين شرقاً وغرباً ، حاملين رايات الأسلام ومبادئـه السمحة للعالم كلّه ، ومع ذلـك لـم يـكتب أحد عن أثر قيادته في الفتوح من الناحية العسكرية الفنية حتى اليوم !!!!

انّ تاريخ العرب المسلمين الحربي ، مفخرة من مفاخر تاريخ الحرب العالمي ، وهـذا التاريخ ـ اذا أحسن عرضه ونشره ـ غني بالدروس والعبر لـكل عربي ولـكل مسلم ، بل لـكل منصف من غير العرب والمسلمين ، فلماذا يستورد العرب والمسلمون الدروس والعبر من تاريخ الأمم الأخرى ويتركون تاريخهم وراءهم ظهريا ؟ والى متى يبقون عالة على الأمم وأمتهم بأمجـادها الشامخة أحرى الأمم بالتقدير والأعجـاب ؟؟!

واذا كان العرب والمسلمون ينسون أو يتناسون تاريخهم ولا يتحملون تبعة درسه وتمحيصه واخراجه للناس بل يقابلونه بالأهمال والعقوق ، فـلا تثريب على غـيرهم من الأمم اذا قابلوه هم أيضـاً بالنسـيان والأهمـال والعقوق •••

واذا لـم يذد عن الحمى أهـل الحمى ، فهل يذود عنه الغرباء ؟؟!!

إن أنس فما أنسى يوم كنت تلميذاً في الـكلية العسـكرية عـام ١٣٥٦هـ (١٩٣٧م) وضـابطاً في كلية الأركـان عـام ١٣٦٧ ـ ١٣٦٨هـ (١٩٤٧ ـ ١٩٤٨م) ، وكان تاريخ الحرب أحد المواضيع التي تُدرّس في هـاتين الـكليتين العربيتين في العراق البلد الأسلامي ، فقد ملأ ذلك التاريخ

عقول التلاميذ والضباط فيهما بفيض غامر من أسماء القادة الأجانب ••• والعجيب أن بعض تلك الأسماء هم قادة جيوش الاستعمار في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م ـ ١٩١٨) الذين أدخلوا الاستعمار الى البلاد العربية !!! ويكفي أن أذكر أن من محاضرات تاريخ الحرب المهمة في الكلية العسكرية موضوع : حرب العراق ، وهي الحرب التي استعمر بها البريطانيون وادي الرافدين !!! ••• ولم اسمع حين كنت تلميذاً أو ضابطاً في هاتين الكليتين محاضرة واحدة عن قائد عربي مسلم مثالاً للقادة الفاتحين •••

فهل نلوم الاستعمار وحده لحشره مثل هذه المناهج الدراسية في مدارسنا وكلياتنا ، أم نلوم أنفسنا أيضا ؟؟

واذا كان الاستعمار شراً كلّه ، فان الاستعمار الفكري هو أخطر مزالق الاستعمار على الأمم ، وهو المنفذ الوحيد الذي يتغلغل منه المستعمرون الى العقول والقلوب •

واليوم ـ ولله الحمد وحده ـ نجد الكليات العسكرية وكليات الأركان في بلاد العرب وديار الأسلام ، تُدرِّس فيما تدرِّس موضوع تاريخ الحرب الذي يضم أمثلة من قادة الفتح الأسلامي وعلى رأسهم الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام ••• وكنتُ ولا أزال أتتبع بشوق شديد وفرح غامر البحوث التي تنشر في المجلات العسكرية والأطروحات التي تُقدّم الى كلية الأركان عن قادة الفتح الاسلامي وعن معارك الفتح الأسلامي ، حتى لقد كانت أطروحات تلاميذ كلية الأركان في إحدى الدورات[٢] عن قادة الفتح ومعارك الفتح •

---

(٢) هي دورة الاركان السادسة والعشرون وقد ضمت اطروحات الفصل الرابع التي قدمت الى الكلية في شباط من سنة ١٩٦١ هذه المواضيع : عقبة بن نافع ، فتح الاندلس ، الاسلام مبدأ ودين ، معركة نهاوند ، عمرو بن العاص ، سعد بن أبي وقاص ، قتية بن مسلم ، معركة ذات الصواري ، موسى بن نصير ، فتح الهند ، أبو عبيدة بن الجراح ، محمد بن القاسم ••• الخ •• الخ •••

ومما يلفت النظر أن هذه الاطروحات قدمت في عهد قاسم الذي كان على طرفي نقيض مع هذا الاتجاه ، مما يدل على تحدي التلاميذ لاتجاهه وشعوره •

ولكنني لا أرضى الوقوف عند هذا الحدّ من إشاعة الثقافة العسكرية التاريخية عن قادة الفتح ومعاركه في المدارس والكليات ، بل أطمع في أكثر من ذلك ...

أطمع في ألا يقتصر أمر تدريس حياة الرسول القائد وقادة الفتح الأسلامي وحروب الفتح الأسلامي على الكليات العسكرية وعلى كليات الأركان العربية والأسلامية خاصة وعلى المدارس والكليات عامة ... بالرغم من أهمية هذه الدروس وفائدتها ، لأن تلاميذ المدارس وطلاّب الكليات هم عمدة بلادهم في الحاضر وقادتها في المستقبل ...

بل أطمع أن تكون حياة هؤلاء القادة الفاتحين عقيدةً وعملاً وتضحيةً وفداء - بعد أن لمس العرب والمسلمون روعتها وسموّها ، وعرفوا نبلها وعلوّها ، مُثُلاً عليا يقتفي آثارها الحاكمون والمحكومون في أمصار العرب وبلاد الاسلام على حد سواء ...

يكونون مثلاً عليا للحاكمين ، حتى يهتدوا بهديهم ويسلكوا طريقهم ، فذلك (وَحْدَه) سيؤدي بهم الى نفس المثابة التي وصلها أسلافهم ونفس النتائج التي حققوها لأمتهم وبلادهم ...

ويكونون مثلاً عليا للمحكومين ، حتى يعرفوا كيف يكون الحاكم الصالح الذي يعمل لبلاده (حقاً) ويرفع شأنها بين الأمم .

هؤلاء القادة الفاتحون ، هم الذين جعلوا العرب المسلمين يقودون العالم قرونا طويلة على هدى وبصيرة ...

وهؤلاء هم الذين أشاعوا العدل والمساواة والسلام بين شعوب العالم ، وهم الذين أناروا الدروب للسالكين في أحلك عصور الظلم والظلام بنور الله ، فجاءهم نصر الله وأقبل الناس يدخلون في دين الله أفواجا ...

وهؤلاء هم الذين كوّنوا (قوة) هائلة ، وأقاموا (وحدة) رصينة ، وأسّسوا (دولة) عظيمة ، وأنشأوا (حضارة) خالدة ، وحملوا (رسالة) سماوية واجبة الأداء للعالم ...

وهؤلاء هم الذين آمنوا بالأسلام وتقبّلوه بما فيه من تكاليف البذل والجهاد والتضحية والفداء ... خافوا الله فخافهم كل شيء ...

ذلك هو منهاجهم في الحياة الذي ملأ قلوبهم من مبدأ سيرهم الى نهايته ، وصاحبهم من (بدر) في الحجاز الى (بلاط الشهداء) في فرنسة ، وحالفهم مشرّقين ومغرّبين وهازمين ومهزومين ؛ فجعلهم يثقون بوعد الله لهم في فتح الأرض والسيطرة عليها بالحق والعدل ...

أما أن نسلك غير طريقهم ، ونهتدي بغير هديهم ، ونعمل بغير عملهم ، ونقتفي آثار غيرهم ، ونستورد المبادىء من الشرق والغرب مبهورين متخاذلين ... ثم نرجو بعد كل ذلك النصر والعزة ، فهذا لا يكون أبدا ... وواقعنا المرير خير دليل على ذلك : (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسّس بنيانه على شفا جُرُفٍ هارٍ ، فانهار به في نارِ جهنّم ، والله لا يهدي القوم الظالمين . لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلّا أن تقطّع قلوبهم ، والله عليهم حكيم . انّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنّة ، يُقاتِلون في سبيل الله ، فيقتُلون ويُقتَلون وعداً عليه حقاً في التوراة والأنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ؟ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم)[٣] .

ان صلاح الرعيّة لا يكون الا بصلاح الراعي ، فليصلح الراعي نفسه أولا ، وحينذاك ستصلح الرعيّة أنفسهم حتماً ...

لقد أصلح عمر ما بينه وبين الله ، فأصلح الناس ما بينهم وبين الله وما بينهم وبين عمر : أخلص في عمله فأخلصوا ، وعفّ فعفّوا ، وكفّ فكفّوا ، وعدل فعدلوا ، ونسي نفسه في سبيل مصالحهم فنسوا أنفسهم في سبيل بلدهم وأمتهم وفي سبيل الله ...

فلينظر الرعاة كيف يحكمون بهدى من دينهم وتاريخهم ليريحوا ويستريحوا ، فكفى تجارب وكفى محاولات ، فلن يكون الذَنَب أكثر من حقيقته : يركض وراء صاحبه دون أن يكون له رأي أو هدف ... ودون أن يعرف المنقلب والمصير ...

---

(٣) الآيات الكريمة من سورة التوبة (٩ : ١٠٩ ـ ١١١) .

ان الرسول القائد صلوات الله وتسليمه عليه ، قضى حياته المباركة في مكة من بعثته الى هجرته موحداً من أجل الجهاد •••

وقضى حياته المباركة من هجرته الى المدينة الى التحاقه بالرفيق الأعلى مجاهداً من أجل التوحيد •••

فكانت حياته الكريمة كلها ، توحيداً من أجل الجهاد ، وجهاداً من أجل التوحيد : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون)[٤] ، فذلك معناه بكلمات موجزة : الوحدة تحت لواء الأسلام •

وقد قضى الخلفاء الراشدون من بعده حياتهم كلها موّحدين من أجل الجهاد ، ومجاهدين من أجل التوحيد •••

وكل من يريد خدمة بلاده والفوز في الدنيا والآخرة عليه أن يقتفي آثار الرسول القائد وخلفائه من بعده : توحيد من أجل الجهاد ، وجهاد من أجل التوحيد : (ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ، ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون • أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحُكم والنبوّة ، فان يكفر بها هؤلاء فقد وكّلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين • أولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتده)[٥] •

فهل من سميع مجيب ، أم على قلوب أقفالها ؟؟ •

---

(٤) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١٠٣) •
(٥) الآيات الكريمة من سورة الانعام (٦ : ٨٨ ــ ٩٠) •

عمر بن الخطاب
القائد الأعلى لجيوش المسلمين

١٣هـ ــ ٢٣هـ
٦٣٢م ــ ٦٤٣م

« كان إسلام عمر فتحاً ، وهجرته نصراً ، وامارته رحمة »
(عبدالله بن مسعود)

الفتح الاسلامي وقادته قبل عمر

الفتح الاسلامي :

الفتح الأسلامي نسيج وحده في تاريخ البشر ، لا يشبهه فتح ولا يدانيه ولا يقاس به ، ولم ينقل المسلمون الأولون بهذا الفتح الأسلام الى الأمم ، بل نقلوا به الأمم الى الاسلام •

فقد خرج المسلمون يعلنون كلمة الله ويبشرون بدينه ، ويبذلون في سبيل ذلك دماءهم وأرواحهم ، ويفارقون من أجله ديـارهم وأولادهم ، لا يريدون علواً في الأرض ولا فسادا •

كانت غايتهم اصلاح البشر في أخلاقهم وأرواحهم وعقولهم ، وسعادة الناس في دنياهم وآخرتهم ؛ فاذا قبلوا الهداية كفّوا عنهم ، وان لم يقبلوا فرضوا عليهم الجزية ، وان أبوا قاتلوهم •

اذا حاربوا حافظوا على شرفهم : لا يغدرون ولا يمثّلون ولا يجهزون

على جريح ولا يقاتلون امرأة ولا يعرضون لعاجز ، ولا يمسُّون معبدا ولا يؤذون متعبداً ، ولا يخرّبون داراً ، ولا يفسدون ماء[1] .

لا يلهيهم عن غايتهم مال ولا يشغلهم جاه ، ولا ينسيهم هذه الغاية خطر ... يعملون لله وحده لا لجاه ولا لذكر ولا لمال .

لا يترفّعُون بشيء على المغلوبين ، فكل من دخل في دينهم له ما لهم وعليه ما عليهم ...

كانوا لا يعلنون عن الأسلام بألسنتهم فحسب ، ولكنهم كانوا في أخلاقهم ومعاملاتهم وسيرتهم أمثلة حيّة وترجمة عملية لتعاليم الاسلام .

لذلك لم ينجل الفتح الأسلامي عن غالبين ومغلوبين كما هو الحال في كل فتح ، وانما انجلى عن أمة واحدة لها رب واحد ونبي واحد وقرآن واحد وسنة واحدة .

ولذلك استقرّ الفتح الأسلامي وخلد ، وبقيت البلاد المفتوحة للاسلام ، فكان هذا الفتح فتحاً (مستداماً) ، لأنه كان فتح خير وبركة وهداية .

لقد سجّل التاريخ قبل الفتح الاسلامي حروباً كثيرة : للآشوريين والبابليين والفراعنة واليونان والرومان والفرس وأهل قرطاجنة وغيرهم ...

وسجّل التاريخ بعد الفتح الاسلامي حروباً كثيرة : لجنكيزخان وهولاكو وتيمورلنك وللصليبيين وحروب الاستعمار الحديث الشرقي والغربي وحروب هتلر وموسليني والميكادو وغيرهم ...

سجّل التاريخ قبل الفتح الأسلامي وبعده حروباً عاصفة عاتية ، تهب على الكون مخرِّبة مدمِّرة ، ثم تضعف العاصفة وتضمحل فلا تدع وراءها غير الخراب والدمار .... ذلك لأن الحروب لم تدر رحاها الا ابتغاء أرض يضمّها الغازي الى أرضه ، أو شعب يحكمه مع شعبه ، أو غنائم ينالها ، أو ثأر يطلبه ، أو خيرات يستولى عليها أو كنز يملكه[2] !

---

(١) انظر : المنتقى من أخبار المصطفى (٢/٧٧١ ــ ٧٧٤) وتيسير الوصول (١/٢٣٢ ــ٢٣٧) .

(٢) انظر تفصيل هذه المعاني في كتاب : اخبار عمر (٩٨ ــ ١٠٤) .

لذلك بقي الفتح الاسلامي خالداً مستداماً ، وعفت الأيام على حروب الآخرين •

ان الحروب الاسلامية (فتح) ، لأنها حروب لحماية نشر الدعوة ولأقرار أركان السلام ، فهي حروب خير وبركة وتحرّر وانطلاق •

أما الحروب الأخرى فهي (استعمار) ، لأنها حروب أطماع شخصية، تثيرها العصبية العنصرية أو العصبية الدينية أو المطامع والمنافع أو حب الأمجاد والمغانم والأسلاب ؟ فهي حروب خراب ودمار ، واستعباد وتحكّم •

وشتان بين (الفتح) و (الاستعمار) •

عوامل انتصار الفاتحين :

كانت تسيطر على الشرق الأوسط امبراطوريتان عظيمتان استقرّتا فيه بضعة قرون ، هما : الأمبراطورية الساسانية في العراق والمشرق ، والامبراطورية البيزنطية في سورية ولبنان وشرقي الأردن وفلسطين ومصر وشمالي إفْرِيقْيَّة •

ومع سعة أملاك هاتين الأمبراطوريتين وعظمة مظاهرهما ، وطول مدّة حكمهما ، الا أنه كان فيهما كثير من عوامل الضعف والانحلال •

من هذه العوامل : ضعف العقيدة ، واختلاف النظام ، ونقص القيادة وعواقب الترف ، وتفرّق الآراء ، ولكن البلاء الأكبر انما حاق بتلك الامبراطوريتين من آفة الغرور الباطل والاستخفاف بالخصم المقاتل ؟ فكانت دولة الفرس لا تنظر الى البادية العربية الا نظرة السيد المبجّل الى الغوغاء المهازيل الذين يحتاجون إمّا الى العطاء واما الى التأديب[٣] •

لقد كانت عوامل الفناء قد اصطلحت على هدم الامبراطوريتين الفارسية والرومانية قبيل الاسلام وأيام الفتح الاسلامي[٤] •

---

(٣) عبقرية خالد (٦ ـ ٧) •

(٤) انظر تفاصيل ذلك في مقدمة قادة فتح العراق والجزيرة (١٣ ـ ١٨) ومقدمة كتاب قادة فتح أرض الشام ومصر ، ومقدمة هذا الكتاب ، وانظر الخلفاء الراشدون (٧٠ ـ ٧٢) •

ولـكن العوامل التي قضت على الفرس والروم بالهزيمة ـ كائنة ما كانت ـ ليست هي العوامل التي قضت للعرب بقيام دولـة وانتشار عقيدة ، لأن استحقاق دول للزوال لا ينشيء لغيرها حق الظهور والبقاء •

كذلك لـم يـكن انتصار العرب على الفرس والروم لأنهم عـرب وكفى ، فقد كان في أرض هاتين الدولتين عرب كثيرون يدينون لهمـا بالطـاعة وينظرون اليهما نظرة الأكبار والمهابة ، وكان القادرون منهم على القتال أوفر من مقاتلة المسلمين وأمضى سلاحاً وأقرب الى ساحات القتال من أولئك النازحين اليها من الجزيرة العربية •

وقد كان هناك عرب كثيرون انهزموا أمام المسلمين ، وهم كذلـك أوفر في العدد والسلاح ، وأغنى بالخيل والأبل والأموال •

بل ان الفئة القليلة من العرب المسلمين انتصروا على الفئة الـكثيرة من العرب غير المسلمين في عهد الرسول ومن بعده أيام الردة وأيام الفتح الأول في عهد الصديق ابي بـكر •

فهي نصرة عقيدة لامراء ، ولـكن القول بانتصار العقيدة هنا لا يغني عن كل قول •••

فالواقع أن الذين انتصروا بالعقيدة كانوا رجالاً أولى خبرة وقـدرة يؤمنون بها ويعرفون كيف يتغلبون بها على أعدائهم •

انها عقيدة منشئة يذود عنها حماة قادرون(٥) •

لقد كان العرب قبل الأسلام ماهرين في حروب العصابات ، ماهرين في استخدام السلاح والفروسية ، لهم قابلية ممتازة على الحركة من مكان الى آخر بسهولة ويسر وسرعة وبأقل تـكاليف ادارية ؛ ولـكنهم كانـوا متفرقين ، بأسهم بينهم شـديد ؛ لهذا كانت خبرتهم الحربية وشجاعتهم الفطرية تذهب عبثاً في الغارات والمناوشات المحلية •

فلما جاء الاسلام ، وحّد عقيدتهم ونظّم صفوفهم وغرس فيهم روح الضبط والطاعة ، وطهّر نفوسهم ونقّى أرواحهم ، وأشاع فيهم انسجـاماً

---

(٥) عبقرية خالد (١٢٦ ـ ١٢٨) •

فكرياً ، فأصبحت قوّتهم المبعثرة وجهودهم المضاعة تعمل بنظام دقيق وضبط متين ، بقيادة واحدة لهدف واحد ، وأصبح المؤمنون في مشارق الأرض ومغاربها أخوة يتحابّون بنور الله ويهتدون بهديه ، وهم أمة واحدة تحيتها السلام وغايتها السلام ودينها الأسلام[٦] .

كما دفعت هذه العقيدة الى نفوس المسلمين جميعاً حميّة سمت بهم الى الايمان بأنهم لا غالب لهم من دون الله ، وحبّبت اليهم الاستشهاد في سبيل الحق ، وجعلتهم يرون هذا الاستشهاد نصرا دونه كل نصر[٧] ؛ كما بعثت فيهم الاعتزاز بالنفس والشعور بأن عليهم رسالة واجبة الأداء للعالم[٨].

كما غرست هذه العقيدة في نفوس المسلمين الأيمان المطلق بالقضاء والقدر ، لذلك استهانوا بالموت وأقدموا عليه فرحين مستبشرين : مرّ المسلمون على رجل يوم (القادسية) وقد قطعت يداه ورجلاه وهو يفحص ويقول: (مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً)[٩] ، فقال له رجل : «من أنت يا عبدالله ؟!» ، فقال : « رجل من الأنصار »[١٠] .

ان عوامل النصر هي : نشاط العرب وخفة أثقالهم وشجاعتهم وحسن تدريبهم على استعمال أسلحتهم ومهارتهم في الفروسية واكتفاؤهم الذاتي بأبسط القضايا الادارية وأقلّها ، وقابليتهم الممتازة على تطوير أساليب قتالهم ، وحفظ خط رجعتهم[١١] فهم لذلك كلّه جنود ممتازون . وتيسّر قادة أكفاء قادرين على قيادة رجالهم بحزم وجدارة ، وانتشار العقيدة الاسلامية بين صفوفهم ، وما كانت عليه أحوال الدولتين الفارسية والرومانية من اعتلال

---

(٦) غزوة أحد (٨ ــ ٩) .
(٧) الصديق أبو بكر (١٨) .
(٨) قادة فتح العراق والجزيرة (١٩) .
(٩) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٦٩) .
(١٠) الخراج لابي يوسف (٣٦) .
(١١) سنفرد لذلك فصلا خاصا .

واختلال ، وتسامح المسلمين ونشرهم العدل وتركهم البلاد المفتوحة على ما هي عليه من دين ومعاملات[١٢] ...

لقد انتصر المسلمون بعقيدتهم المنشئة البناءة التي حملها الى الناس حماة قادرون قادة وجنودا .

جذور الفتح :

١ ـ الرسول القائد النبي العربي محمد بن عبدالله صلوات الله وتسليمه عليه ، هو أبو الجيش الاسلامي الاول ومؤسسه وقائده ورائده وبشيره ونذيره ومنظّم صفوفه ومدرّب رجاله ومجهّزه ومسلّحه وباعث كيانه وموطّد أركانه وراسم أهدافه ومخططها .

ان تاريخ الجيش الاسلامي الاول جيش المهاجرين والانصار وأصحاب النبي صلى‌الله‌عليه‌وسلم ، ذلك الجيش الذي كان النواة الأولى للفتح الأسلامي العظيم في عهد الشيخين : ابي بكر الصديق وعمر الفاروق رضي الله عنهما ، يتلخّص بأربعة أدوار ، تدرج بها هذا الجيش من الضعف الى القوة ، ومن الدفاع الى الهجوم ، فأصبح قوة كبيرة ذات عقيدة واحدة وهدف واحد يعمل تحت قيادة واحدة .

الدور الاول ، هو دور التحشّد من بعثه صلى الله عليه وسلم سنة (٦١٠م) الى هجرته الى المدينة سنة (٦٢٢م) واستقراره هناك . وفي هذا الدور اقتصر الرسول القائد على الحرب الكلامية : يبشّر وينذر ويجاهد لنشر الاسلام ، وبذلك كوّن الخميرة الأولى لقوات المسلمين ، ثم حشّدهم في المدينة بالهجرة اليها .

والدور الثاني ، هو دور الدفاع عن العقيدة ، من بدء إرسال الرسول القائد سراياه وقواته للقتال[١٣] الى انسحاب الأحزاب عن المدينة المنورة

---

(١٢) انظر كتاب : الخلفاء الراشدون (٦٧ ـ ٧٣) .

(١٣) أول سرية أرسلها النبي صلى الله عليه وسلم هي سرية حمزة ابن عبدالمطلب الى (العيص) وذلك في رمضان من السنة الاولى للهجرة .

بعد غزوة الخندق[١٤] ؛ وبهذا الدور ازداد عـدد المسلمين ، فاستطاعوا الدفاع عن عقيدتهم ضد أعدائهم الأقوياء ٠

والدور الثالث ، هو دور الهجوم ، من بعد غزوة الخندق الى غزوة (حُنَيْن)[١٥] ، وبهذا الدور انتشر الأسلام في شبه الجزيرة العربية كلها ، وأصبح المسلمون قوة ذات اعتبار وأثر في البلاد العربية ، فاستطاعوا سحق كل قوة تعرّضت للاسلام ٠

والدور الرابع ، هو دور التكامل ، من بعد غزوة حُنَيْن الى أن التحـق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيـق الأعلى[١٦] ، فقد تـكاملت قوات المسلمين بهذا الدور ، فشملت شبه الجزيرة العربية كلها ، وأخذت تحاول أن تجد لها متنفساً خارج شبه الجزيرة العربية ، فـكانت غـزوة (تبوك)[١٧] ايذانا بمولد الدولة الأسلامية[١٨] ٠

لقد كانت حـيـاة النبي صلى الله عليه وسلم بمـكة من بعثه حتى هجرته توحيداً من أجل الجهاد ، وكانت حياته المباركة بالمدينة المنورة من هجرته اليها حتى التحاقه بالرفيق الأعلى جهاداً من أجل التوحيد ٠

ومنذ نزلت أول آية في القتال : (أُذن للذين يُقاتَلون بانهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير ٠ الذين أخرجوا من ديارهم بغـير حق الا ان يقولوا : ربنا الله)[١٩] ، خرج الرسول القائد غازياً في صفر على رأس اثنى عشر شهراً من مقدمه الى المدينة ، وبذلـــك بدأ استخدام الجيش الأسلامي (عملياً) في القتال ٠

لقد قـاد النبي صلى الله عليه وسلم ثمانياً وعشرين غزوة بنفسه خلال سبع سنين بعد هجرته الى المدينة ، فقد خرج الى غزوة (ودان) وهي أول

---

(١٤) في شوال من السنة الخامسة للهجرة ٠
(١٥) في شوال من السنة الثامنة للهجرة ٠
(١٦) في يوم الاثنين ١٢ ربيع الاول سنة احدى عشرة هجرية ٠
(١٧) في رجب من السنة التاسعة للهجرة ٠
(١٨) الرسول القائد (٩) الطبعة الثانية ٠
(١٩) الآية الكريمة من سورة الحج (٢٢ : ٣٩ — ٤٠) ٠

غزوة قادها الرسول القائد بنفسه في صفر من السنة الثانية للهجرة ، وكانت (تبوك) آخر غزواته في رجب من السنة التاسعة للهجرة ؛ وقد نشب القتال بين المسلمين الذين بقيادته ، وبين المشركين أو اليهود بتسع غزوات من تلك الغزوات وهي : بدر ، وأُحُد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، وفتح مكة ، وحنين ، والطائف ، بينما فرّ المشركون في تسع عشرة غزوة منها بدون قتال[٢٠] .

لقد كان الرسول القائد على رأس الحماة القادرين الذين خطّطوا للفتح الأسلامي فهو الذي رسم بنفسه الخطة التمهيدية التي حملت الجيوش العربية الأسلامية على فتح أرض الشام وتأسيس أول ركن لدولة الأسلام خارج شبه الجزيرة العربية على شواطىء البحر الأبيض المتوسط الشرقية . ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم الى جانب تبليغه الدعوة الأسلامية الى قادة العالم في وقته ، كان قائداً ماهراً يقظاً لا يغضّ الطرف عن أي مظهر عدواني قد يحطّ من شأن دعوته أو يعمل على النيل منها ؛ فلم يقف ساكناً أزاء استشهاد رسوله الذي بعثه الى أمير الغساسنة في (بُصْرَى)[٢١] ، فأرسل في السنة الثامنة للهجرة (٦٢٩م) أحد قادته المقربين اليه ، وهو زيد بن حارثة الكلبي على رأس حملة عددها ثلاثة آلاف رجل الى الحدود الشمالية الغربية من بلاد العرب . وهناك عند (مُؤْتَة) الواقعة على حدود (البَلْقَاء)[٢٣] الى الشرق من الطرف الجنوبي للبحر الميت التقى المسلمون بقوات الروم[٢٤] .

---

(٢٠) الرسول القائد (٢٩٧) الطبعة الثانية .

(٢١) بصرى : وهي قصبة كورة حوران من أعمال دمشق . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٠٨) .

(٢٢) مؤتة : قرية من قرى البلقاء على حدود الشام . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/١٩٠) .

(٢٣) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٧٦) .

(٢٤) انظر تفاصيل معركة مؤتة في كتاب : الرسول القائد (٢٠٣ - ٢٠٧) .

ومهما تكن الخاتمة التي لقيتها غزوة (مؤتة) ، فان نتائجها وآثارها كانت بعيدة المدى فبينما رأى الروم تلك الغزوة غارة من الغارات التي اعتاد البدو شنّها للنهب والسلب ، كانت غزوة زيد هذه في الحقيقة غزوة من نوع جديد لم تقدّر دولة الروم أهميتها ، فهي حرب منظمة كانت لها مهمة خاصة جعلت المسلمين يتطلّعون جدياً لفتح أرض الشام •

وفي العام التالى ، أي في السنة التاسعة للهجرة (٦٣٠م) ، قاد النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه غزوة (تبوك) ، فأظهر قوّة المسلمين وعاد الى المدينة •

وفي السنة الحادية عشرة للهجرة (٦٣٢م) ، أعدّ النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً بقيادة أسامة بن زيد[٢٥] لمهاجمة الروم ؛ غير أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي في ربيع الأول من تلك السنة (كانون أول ٦٣٢م) قبل تحرك ذلك الجيش ، فترك لخلفائه خطّة واضحة المعالم ، وولّى وجوههم شطر قبلة عيّنها لهم ••• وهكذا وقف الرسول القائد بثاقب نظره على أن أشد الأخطار التي يمكن أن تحلّ ببلاد العرب وتناوىء دعوته انما موطنها أرض الشام حيث الروم وعمالهم الغساسنة ، وقد أثبتت حوادث الفتح الاسلامي في أراضي الروم صدق هذه الأشارة ، فكان الروم أشد المحاربين عنادا[٢٥أ] •

٢ ـ فماذا عمل أبو بكر الصديق رضي الله عنه لتحقيق أهداف النبي صلى الله عليه وسلم ، وكيف سار قدماً نحو انجازها ؟؟

لم يزل أبو بكر الصديق في كل عمل من أعماله منذ أسلم الى أن تولى الخلافة مؤسساً لهذا البناء الشامخ الذي كان هو أول من قام عليه بعد بانيه عليه الصلاة والسلام •

وبعد البيعة بالخلافة ، كانت بعثة أسامة بن زيد ، وكانت حروب

---

(٢٥) انظر ترجمته في الجزء الثاني من كتاب قادة الفتح الاسلامي عن : قادة فتح أرض الشام ومصر •

(٢٥أ) الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم (٤١) •

الردة ، وكانت بعوث العراق والشام ، فقام على هذه المآثر الثلاث التي لا يقضي حقّها من الأكبار كلُّ ما قام بعد ذلك من بناء .

وكانت بعثة أسامة العنوان الأول لسياسة عامة في الدولة الأسلامية ، هي في ذلك الحين خير السياسات .

كان قوامها كله طاعة ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الطاعة ـ جد الطاعة ـ مناط السلامة وعصمة المعتصمين من الخطأ الأكبر في ذلك الحين .

وحيث يكون التمرد هو الخطأ الأكبر ، فالطاعة ـ بل الطاعة الصارمة ـ هي العصمة التي ليس من ورائها اعتصام .

وقد كان التمرّد هو الخطر الأكبر في ذلك الحين لامراء !

كان النفاق يطلع رأسه في مكة والمدينة ، وكانت القبائل البادية تسابق الى الردّة في أنحاء الجزيرة ، وكان جند أسامة نفسه يودّ لو استبدل به أميراً غيره ، وكان أسامة أول من يشك في طاعة القوم اياه ويترقب أن يخلفه على البعثة أمير سواه !

تمرد أو نذير بتمرد في كل مكان !

وطاعة واجبة هنا حيث نبغ التمرّد ، أو لا سبيل الى واجب بعد ذلك يطاع .

طاعة أو لا شيء ، فان بقيت الطاعة بقي كل شيء ...

وهنا تسعف الصديق طبيعة هي أعمق الطبائع فيه ، فيقول وقد خوّفوه الخطر على المدينة والجيش يفارقها : « والله لا أحلّ عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ولو أن الطير تخطفتنا ، والسباع من حول المدينة ، ولو أن الكلاب جرّت بأرجل أمهات المؤمنين ، لأجهزنّ جيش أسامة » .

فلا خطر اذن ـ في نظر الصديق ـ أكبر من خطر الاجتراء على حق الطاعة في تلك الآونة ، ولو جرّت الكلاب بأرجل البنات والأمهات .

لقد رأى أبو بكر الصديق ، أن العصمة ـ حقّ العصمة ـ في رأي

واحد لا رأي قبله ولا بعده ، وهو الطاعة في غير ليٍّ ولا هوادة ولا ابطاء .

وقد ضرب المثل الأول في الطاعة التي أرادها ، فشيّع البعثة وهو ماش على قدميه وعبدالرحمن بن عوف يقود دابته بجواره ، فقال أسامة : « يا خليفة رسول الله ! والله لتركبنّ أو لأنزلنّ » ، فقال : « والله لا تنزل ، ووالله لا أركب ، وما عليّ أن أغبرّ قدميّ في سبيل الله ساعة » .

ثم استأذن أسامة قائلاً : « ان رأيت أن تعينني بعمر فافعل » ، فعاد عمر باذنه : باذن القائد الذي هو في مقام الطاعة هناك ، حتى على الخليفة وعلى أكبر الصحابة من بعده .

ثم قال لأسامة : « اصنع ما أمرك به رسول الله صلى الله عليه وسلم.. ولا تقصِّرن في شيء من أمر رسول الله » .

لقد أدرك أناس في عصر أبي بكر صواب الرأي في انفاذ تلك البعثة بعد انفاذها وعودتها ، فشاع في الجزيرة العربية خبرها ، وروى مؤرخو تلك الفترة أنها كانت لا تمرّ بقبيل يريدون الأرتداد الا تخوّفوا وسكنوا وقالوا فيما بينهم : « لو لم يكن المسلمون على قوة لما خرج من عندهم هؤلاء » .

فاذا كان بقاء أسامة بالمدينة جائزاً لدفع خطر ، فارساله كذلك جائز لدفع خطر مثله ، وفارت الدولة بين هذا وذاك بدرس الطاعة ، وهو يومئذ ألزم الدروس[26] .

ثم تكرّر هذا الدرس في أوسع نطاق ، لانه نطاق الدولة الاسلامية كلها في ذلك الحين .

وجاءت حروب الردة التي هي مفخرة ابي بكر الكبرى غير مدافع ، أو هي مفخرته الخاصة التي انفرد بها في تاريخ الدعوة الأسلامية بغير شريك[27] .

ولانصاف التاريخ يجب أن تُفهم هذه الفتنة على أنها أصدق امتحان

---

(٢٦) عبقرية الصديق (١٣٢ ـ ١٣٧) .
(٢٧) عبقرية الصديق (١٣٨) .

للدعوة المحمدية خرجت منه دعوة من الدعوات .

فأذا كشفت فتنة الردة عن زيغ الزائغين وريبة المرتابين ، فهي قد كشفت كذلك عن الايمان المتين والفداء السمح واليقين المبين ، فحفظت للناس نماذج للصبر والشجاعة والايثار والحميّة تشرق بها صفحات الأديان ، وجاءت الشهادة الاولى على لسان رجل من أصحاب طليحة الاسدي . سأله: «ويلكم ! ما يهزمكم ؟» فقال له : « أنا أحدّثك ما يهزمنا . انه ليس رجل منا الا وهو يحب أن يموت صاحبه قبله ، وانا لنلقى قوما كلهم يحب ان يموت قبل صاحبه ! »[٢٨] .

فقد ارتدّت طوائف من العرب ومنعت الصدقة ، وقال قوم منهم : « نقيم الصلاة ولا نؤدي الزكاة » ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : « لو منعوني عقالاً لقاتلتهم عليه »[٢٩] .

قال عبدالله بن مسعود : « لقد قمنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً كدنا نهلك فيه لو لا أنّ الله منّ علينا بأبي بكر . أجمعنا على أن لا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون ، وأننا نأكل قرى عربية ونعبد الله حتى يأتينا اليقين ، فعزم الله لأبي بكر على قتالهم ؛ فوالله ما رضي منهم الا بالخطة المخزية أو الحرب المجليه . فأما الخطة المخزية ، فان يقروّا بأنّ من قتل منهم في النار ومن قتل منا في الجنة، وأن يدوا قتلانا، ونغنم ما أخذنا منهم، وأن ما أخذوا منا مردود علينا ؛ وأما الحرب المجلية ، فأن يخرجوا من ديارهم »[٣٠] .

وعاد بعث أسامة ، فاستخلفه أبو بكر على المدينة وجنده معه ليستريحوا ويريحوا ظهورهم ، ثم خرج فيمن كان معه . وناشده المسلمون ليقيم فأبى وقال : « لأواسينكم بنفسي ! » ، وسار الى (ذى حُسىً)[٣١أ]

(٢٨) عبقرية الصديق (١٤٦) .
(٢٩) البلاذري (١٠٣) .
(٣٠) ابن الاثير (٢/١٣٠) .
(٣١أ) ذو حسىً : وقد وردت في معجم البلدان : حسا . واد بأرض الشربة من ديار عبس وذبيان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٢٧٥) .

و (ذى القَصَّة)[٣١ب] حتى نزل بـ (الأَبْرُق)[٣١ج] ، فقاتل من به ، فهزم الله المشركين • وأقام أبو بكر بـ (الأبرق) أياماً وغلب على بني ذبيان وبلادهم وحماها لدواب المسلمين وصدقاتهم •

وعقد أبو بكر أحد عشر لواء لقتال المرتدين ، عقد لواءً لخالد بن الوليد وأمره بمسيلمة ، وعقد للمهاجر بن أمية وأمره بجنود العنسي ومعونة الأبناء على قيس بن مكشوح ثم يمضى الى كندة بحضرموت ، وعقد لخالد بن سعيد وبعثه الى مشارف الشام ، وعقد لعمرو بن العاص وأرسله الى قضاعة ، وعقد لحذيفة بن محصن وأمره بأهل (دَبَا)[٣١د] ، عقد لعَرْفَجَة بن هَرْثَمة وأمره بـ (مهره)[٣١هـ] وأمرهما أن يجتمعا وكل واحد منهما على صاحبه في عمله ، وبعث شرحبيل بن حسنة في أثر عكرمة بن أبي جهل وقال : « اذا فرغ من اليمامة فالحق وأنت على خيلك تقاتل أهل الردة ، وعقد لمعن بن حاجز وأمره ببني سليم ومن معهم من هوازن ، وعقد لسويد بن مُقَرِّن وأمره بـ (تهامة) باليمن ، وعقد للعلاء بن الحضرمي وأمره بالبحرين ؛ ففصلت الامراء من (ذى القصة) ولحق بكل أمير جنده ، وعهد الى كل أمير ، وكتب الى جميع المرتدين نسخة واحدة يأمرهم بمراجعة الاسلام ويحذّرهم[٣١] •

بهذه الخطة السوقية (الاستراتيجية) البارعة التي حرّك أبو بكر

(٣١ب) ذو القصة : موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا ، وهو طريق الربذة • انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/١١٤) •

(٣١ج) الابرق : هو أبرق الربذة ، انظر معجم البلدان (١/٧٧) •

(٣١د) دبا : سوق من أسواق العرب بعمان ، وهى بعمان مدينة قديمة مشهورة لها ذكر في أيام العرب وأشعارها ، وكانت قديما قصبة عمان • انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٣٠) •

(٣١هـ) مهرة : قبيلة من قبائل العرب وهي مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف من قضاعة ، تنسب اليها الابل المهرية ، وباليمن لهم مخلاف • انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٢١١) •

(٣١) ابن الاثير (٢/١٣٢) والطبري (٢/٤٨٠) •

بموجبها قوات المسلمين على الخطوط الداخلة[٣٢] ، أجبر المرتدين على الدفاع في أماكنهم أولاً وعدم الاجتماع في منطقة واحدة كقوة ضاربة لتهديد جيش المسلمين بقوات متفوقة تفوقاً ساحقاً ثانياً والتغلغل بعيدا في أرجاء شبه الجزيرة العربية شرقاً وشمالاً وجنوباً لابعاد خطر المرتدين الداهم عن المدينة المنورة قاعدة المسلمين الرئيسة أخيراً ـ بهذه الخطة الدقيقة استطاع أبو بكر الصديق رضي الله عنه القضاء على فتنة المرتدين ـ تلك الفتنة العمياء التي هددت الأسلام والمسلمين بالخطر العظيم ... فلم تحل سنة اثنتى عشرة هجرية (٦٣٣م) أي بعد عام من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، الا وكانت طلائع الجيوش الاسلامية تهدد ملك كسرى في العراق وملك قيصر في أرض الشام وتهاجم جيوش الامبراطوريتين الساسانية والبيزنطية في عقر دارهما .

عن أبي رجاء العطاردي قال : « دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ، ورأيت رجلاً يقبل رأس رجل وهو يقول : أنا فداؤك ! ولو لا انت لهلكنا . فقلت : من المقبِّل ومن المقبَّل ؟ قالوا : ذاك عمر يقبل رأس أبي بكر في قتاله أهل الردة اذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين »[٣٣] .

لقد قابل أبو بكر فتنة الردة بأحزم ما تقابل به من بدايتها الى منتهاها ، وعالجها علاجها في كل خطوة من خطواتها وكل ناحية من نواحيها ، فبادرها بالحزم من صيحتها الأولى ، وتعقّبها بالحزم يوماً بعد يوم ، حتى أسلمت مقادها وثابت الى قرارها[٣٤] .

---

(٣٢) هي الخطوط التي يسلكها فريق ما بجيشين أو أكثر على ان يتباعد بعضها عن بعض ، وهي عكس الخطوط الخارجة . انظر الجغرافية العسكرية ص (١٦) لطه الهاشمي الطبعة الثانية .

(٣٣) الرياض النضرة (١/ ١٣٠) .

(٣٤) عبقرية الصديق (١٤٩) .

انه حطّم معنويات المرتدين بانفاذ جيش أسامة ، فكان انفاذه أعظم نفعاً للمسلمين ، فان العرب قالوا : « لو لم يكن بهم قوة لما أرسلوا هذا الجيش » ، فكفوا عن كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه[٣٥] ، وبذلك ربح الجولة الاولى .

وأقدم على توجيه جيوشه الى المرتدين رافضا ما عرضه عليه بعضهم من اقامة شعائر الاسلام كلها الا الزكاة ، لان الاسلام كلٌ لا يتجزأ ، وحاربهم على الزكاة حتى أعاد الى شبه الجزيرة العربية الوحدة تحت لواء الاسلام كما كانت أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، وبذلك ربح الجولة الثانية ...

وبانتصاره الباهر في هاتين الجولتين ، أعاد الى العرب الوحدة والضبط والنظام ، فأصبحوا قوة جبارة وجدت لها متنفساً في الفتح الأسلامي .

ففي سنة اثنتيعشرة هجرية كانت جيوش خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة تتغلغل في أنحاء العراق متنقلة من نصر الى نصر ، حتى وصلت الى (الفِراض) تخوم الشام والعراق والجزيرة[٣٦] .

وفي سنة ثلاث عشرة هجرية (٦٣٤م) كانت جيوش المسلمين وعلى رأسها خالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح وعمرو بن العاص وشرحبيل ابن حسنة ويزيد بن ابي سفيان وخالد بن سعيد بن العاص وعكرمه بن ابي جهل يدكون معاقل الروم في أرض الشام وينتصرون في معركة اليرموك[٣٧] أول معركة حاسمة من معارك الفتح الاسلامي .

---

(٣٥) ابن الاثير (١٢٨/٢) .

(٣٦) انظر مادة فراض في معجم البلدان (٣٥٠/٦) وانظر ابن الاثير (١٥٣/٢) عن فتح الفراض .

(٣٧) انظر ابن الاثير (١٥٤/٢ ـ ١٦٠) .

في تلك السنة مات القائـد الأعلى الثاني لجيوش المسلمين ، بعد أن بدأ بالفتح بداية موفّقة منفذاً خطة القائـد الأعلى الأول محمد بن عبدالله صلوات الله وتسليمه عليه .

فماذا فعل القائد الأعلى الثالث عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتنفيذ خطة الرسول القائـد في حمل رسالته السامية الى الشرق والغرب ؟؟ ...

الفتح الإسلامي بقيادة عمر

الفـاتح :

كان عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنـه ، عهـد الفتح الاسلامي الذهبي ، فقد حالف النصر فيه أعلام المسلمين ، فامتدت دولتهم حتى جاوزت أفغانستان والصين شرقاً ، والأناضول وبحر قزوين شمالاً ، وتونس وما وراءها من افريقية الشمالية غرباً ، وبلاد النوبة جنوباً[٣٨] .

لقد فتح عمر العراق وايران وأكثر مناطق ارمينية وبلاد الشام بما فيها سورية ولبنان وشرقي الاردن وفلسطين ، ومصر وليبيا والنوبة ، وخاضت جيوش المسلمين في أيامه ثلاث معارك حاسمة من معارك الفتح الاسلامي : معركة (القادسية) التي فتحت للعرب المسلمين أبواب العراق والأهواز ، ومعركة (بابليون) التي فتحت لهم أبواب مصر وليبيا والنوبة ، ومعركة (نهاوند) التي فتحت لهم أبواب ايران كلها ، ... كل هذا الفتح العظيم أنجز خلال عشرة سنوات من سنة ثلاث عشرة هجرية (٦٣٣م) الى سنة ثلاث وعشرين هجرية (٦٤٣م) ، فقد قبض أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد مغيب الشمس من مساء الاثنين لأحدى وعشرين ليلة خلت من شهر جمادى الآخرة للسنة الثالثة عشرة من الهجرة[٣٩] فتولى عمر الخلافة ، وتوفي ليلة الاربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين

---

(٣٨) الفاروق عمر (٢/٢٠٠) .

(٣٩) الفاروق عمر (١/٩١) . وفي العبر (١/١٦) انه توفي لثمان بقين من ذي القعدة . أما في شذرات الذهب (١/٢٤) فجاء : انه توفي في جمادى الآخرة . وانظر البدء والتاريخ (٥/١٦٧) .

هجرية[٤٠] ، فكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام[٤١] .

في هذه المدة القصيرة ، فتح عمر كل هذه الفتوح ، فلا عجب ان يذهل هذا الفتح عالم يومئذ ويدهش المؤرخين الذين فصّلوا حوادثه وحاولوا استقصاء أسبابه ،فذكروا أن من هذه الاسباب : العقيدة الاسلامية التي رفعت نفسية ومعنويات المسلمين ، وانحلال الفرس والروم ، ونظام الحكم في شبه الجزيرة الذى تطوّر خلال السنوات العشرين التى تلت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم تطوراً مكن الأمة العربية من مواجهة تلك الأحداث التاريخية الجليلة في طمأنينة زادتها اعتزازا بنفسها وشعوراً بقوّتها وايمانا برسالتها العالمية[٤٢] .

فاذا أسرع الفتح ما أسرع في عهد عمر ، فيجب أن يكون له تأثير شخصى على الجيوش الاسلامية في تنظيمها وتسليحها وتدريبها وادارتها وقيادتها ، وذلك ما لم يبحثه الباحثون من الناحيه العسكرية الفنية بشكل متكامل حتى اليوم .

كانت سياسة عمر أن يقف بالفتح في حدود العراق والشام لا يتعداهما ، وان يجمع العرب بذلك في وحدة تمتد من جنوب شبه الجزيرة العربية الى شمال باديه السماوة ، لذلك كتب الى سعد بن ابي وقاص بعد فتح المدائن حين بعث يستأذنه في مطاردة الفرس وراء جبلهم : « وَدِدت لو أنّ بين السواد والجبل سداً لا يخلصون الينا ولا نخلُص اليهم ! حسبنا من الريف السواد . اني آثرت سلامة المسلمين على الأنفال »[٤٣] . وقال لما أخذت الأهواز وما يليها : « وددت أن بيننا وبين فارس جبلاً من نار لا نصل اليهم منه ولا يصلون الينا »[٤٤] .

على أن الحوادث كثيراً ما تكون أقوى من الرجال ، وكثيراً ما حملتهم

---

(٤٠) ابن الاثير (٣/٢٠) والطبري (٣/٢٦٥) واليعقوبي (٢/١٣٧). أما أبو الفدا (١/١٦٥) فيذكر أنه توفى سنة أربع وعشرين وهذا خطأ لاجماع اوثق المصادر على أن وفاته كانت سنة ثلاث وعشرين .

(٤١) ابن الاثير (٣/٢٠) .

(٤٢) انظر الفاروق عمر (٢/٢٠٠) .

(٤٣) ابن الاثير (٢/٢٠١) .

(٤٤) ابن الاثير (٢/٢٠٨) .

على تعديل اتجاههم وتغيير سياستهم ، وقد حملت الحوادث عمر على تعديل سياسته بأزاء الفرس وبأزاء الروم على كره منه بادىء الامر ، ثم ملأته حماسةً للسياسة الجديدة ، بعد أن حالف النجاح هذه السياسة الى مدى لم يتوقعه الخليفه ولم يتوقعه أحدٌ غيره[٤٥] .

ولكن هذا النجاح كان بفضل قيادة عمر الفذّة ، تلك القيادة التي امتازت بميزتين ظاهرتين : الأولى مقدرته المدهشة على اختيار القادة العامين والقادة المرؤسين ، والثانيه قابليه الموهوبه والمكتسبه على القيدة العليا والقيادة التعبوية أيضا ، فكيف كان ذلك ؟؟

اختيار القادة :

ما هي المزايا التي كان يريد عمر أن تتوفّر في القائد الذي يُؤَمِّرُه على جيوش المسلمين ؟

أن يكون القائد صحابياً ، لأنهم كانوا لا يؤمرون في الفتوح الا الصحابة[٤٦] ، فكان عمر لا يولي الا الصحابة ولا يرضى أبداً أن يعمل صحابي بأمرة غير صحابي[٤٧] .

فقد كان للصحابة بصورة عامة تجارب طويلة مفيدة في القتال تحت لواء الرسول القائد اقتبسوا خلالها أعلى وأسمى ضروب التضحية والفداء وأنبل وأرفع آداب الحرب والسلام .

فقد كان الصحابة يقدمون ببسالة على خوض المعارك ، لذلك كان القتل فيهم أكثر من غيرهم : كان القتل في المهاجرين والأنصار وأهل القرى أكثر منهم في أهل البوادي وذلك في معركة اليمامة بين خالد بن الوليد ومسيلمة الكذاب ، وقد قتل من المهاجرين والأنصار في هذه المعركة من المدينة المنورة ثلاثمائة وستون ومن المهاجرين والأنصار من غير المدينه ثلاثمائه رجل[٤٨] ، وقد أمر أبو بكر الصديق بجمع

---

(٤٥) الفاروق عمر (٢/١) .
(٤٦) الاصابة (٢/١٩٤) و (٤/٢٣٥) و (١/٣٠٩) .
(٤٧) قادة فتح العراق والجزيرة (٣٥٠) .
(٤٨) ابن الاثير (٢/١٣٩) .

القرآن لما رأى من كثرةَ منْ قُتل من الصحابة لئلا يذهب القرآن[٤٩].

وعند مسير خالد بن الوليد من العراق الى ارض الشام ، أمره أبو بكر الصديق أن يأخذ معه نصف الناس ويستخلف على النصف الآخر المثنى ، فأحضر خالد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا معه واستأثر بهم لنفسه تاركا للمثنى مثل عددهم ممن لم يكن له مع الرسول القائد صحبة ، واستأثر ايضا لنفسه بمن كان قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وافداً تاركاً للمثنى بن حارثة الشيباني مثل عددهم من أهل القناعة ، ثم قسّم سائر الجند قسمين ، فلما رأى المثنى صنع خالد غضب وقال : « والله لا أقيم الا على انفاذ أمر ابي بكر ! وبالله ما أرجو النصر الا بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم » ، فلما رأى خالد ذلك أرضاه[٥٠] .

لقد أمدّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بنفحة منه ، وكان دائماً أسوة حسنة لهم يقتفون آثاره ويهتدون بهديه ولا يحيدون عن تعاليمه أبدا .

وكان عمر يفضّل السابقين الأولين من الصحابة على غيرهم الا أن يقصّر بهم عملهم ، فكان يفضّل عليهم حينذاك من برز بأعماله .

فقد كان أول ما عمل عمر بعد موت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ، أن ندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيباني الى أهل فارس ، وذلك قبل صلاة الفجر من الليلة التي مات بها أبو بكر ، ثم أصبح فبايعه الناس ، فعاد فندب الناس لقتال الفرس .

وتتابع الناس على البيعة في ثلاثة أيام ، كل يوم يندبهم فلا ينتدب أحد الى فارس ، وكان وجه فارس من أكره الوجوه اليهم وأثقلها عليهم ، لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزّهم وقهرهم الأمم ، فلما كان اليوم الرابع ، عاد فندب الناس الى العراق ، فكان أول متندب أبو عبيد بن مسعود[٥١] ، ثم ثنى سعد بن

---

(٤٩) ابن الاثير (٢/١٤٠) وانظر مقدمة كتاب المصاحف (٥) .

(٥٠) ابن الاثير (٢/١٥٦) والطبري (٢/٦٠٥) واليعقوبي (٢/١١٢).

(٥١) انظر قصة حياته في كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة (٢١٢ – ٢٢٠) .

عبيده[٥٢] ، وسُليط بن قيس[٥٣] ؛ فلماتكامل حشد ذلك البعث ، قال قائل لعمر : « أمرّ عليهم رجلاً من السابقين المهاجرين والأنصار ، فقال عمر : « لا والله ! لا أفعل . انما رفعكم الله بسبقكم وسرعتكم الى العدو ، فاذا جبنتم وكرهتم اللقاء ، فأولى بالرياسة منكم من سبق الى الدفع وأجاب الى الدعاء . والله لا أؤمرّ عليهم الا أولهم انتداباً »[٥٤] . ثم دعا أبا عبيد وسليطاً وسعداً فقال مخاطباً سعداً وسليطا : « أما انكما لو سبقتماه لوليتكما » ، ثم قال لأبي عبيد : « اسمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأشركهم في الأمر ، ولا تجتهد حتى تتبين ، فانها الحرب ، والحرب لا يصلحها الا الرجل المكيث[٥٥] الذى يعرف الفرصة والكف »[٥٦] .

وكان عمر يفضل أن يكون القائد مكيثاً غير متهوّر يعرف الفرص وينتهزها ويعرف كيف ومتى يقاتل ومتى يكفّ عن القتال[٥٧] . قال عمر لسُليط : « لو لا عجلة فيك لوليتك ، ولكن الحرب زبون لا يصلح لها الا الرجل المكيث »[٥٨] .

وكان عمر يريد أن يكون القائد قوياً مسيطراً ذا شخصية نافذة ، فاذا وجد رجلاً أقوى من رجل فضلّ الأقوى على القوي ، فقد استعمل معاوية بن ابي سفيان على الشام وعزل شرحبيل بن حسنة وقام بعذره في الناس فقال : « اني لم أعزله عن سخطة ، ولكني أريد رجلاً أقوى من

---

(٥٢) انظر ترجمنه في هامش ص (٢١٣) من كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة الفقرة (١) .

(٥٣) انظر ترجمته في هامش ص (٢١٣) من كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة الفقرة (٢) .

(٥٤) الطبري (٦٣١/٢) وابن الاثير (١٦٦/٢) وتاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي (٦٧) .

(٥٥) المكيث : الرزين المتاني جمعها مكثاء . انظر المعجم الوسيط (٨٨٧/٢) .

(٥٦) الطبري (٦٣١/٢) .

(٥٧) انظر ابن الاثير (١٦٦/٢) .

(٥٨) البلاذري (٢٥١) .

من رجل »[٥٩] ؛ وكان يقول : اني لأتحرج أن أستعمل الرجل وانا أجد أقوى منه »[٥٩أ] .

وكان يريد القائد شجاعاً رامياً ، فحين وجه سعد بن أبي وقاص الى العراق قائداً عاما ، قال : « انه رجل شجاع رام »[٦٠] .

وكان عمر اذا اجتمع اليه جيش من المسلمين ، أمّر عليهم أميرا من أهل العلم والفقه[٦١] . ولا يرضى أن يؤمر أهل الوبر على اهل المدر[٦١أ]، فقد قال عمر لعتبة بن غزوان[٦١ب] « من استعملت على أهل البصرة ؟ » فقال : « مجاشع بن مسعود » ، قال : « تستعمل رجلاً من أهل الوبر على أهل المدر[٦١ب] .

تلك هي المزايا التي كان يريد عمر توفرها في القائد : ماضٍ ناصع مجيد في الحرب وفي خدمة الاسلام ، له تجربة عملية في القتال ، مكيث غير متهور يعرف الفرص ويدرك الوقت والمكان المناسبين لنشوب القتال والكف عنه ، قوي الشخصية مسيطر على رجاله ، شجاع رام ، عالم فقيه ، وتلك هي نفس المزايا التي يلاحظها علماء فن الحرب قديماً[٦٢] وحديثاً[٦٣] .

لذلك نجح قادة عمر في مهمة قيادة الجيوش الاسلامية نجاحاً كان ولا يزال وسيبقى أعجوبة من أعاجيب تاريخ الحرب .

---

(٥٩) ابن الاثير (٢/٢١٧) .
(٥٩أ) طبقات ابن سعد (٣/٣٠٥) .
(٦٠) البلاذري (٢٥٥) .
(٦١) ابن الاثير (٣/١٩) .
(٦١أ) الوبر : بفتحتين للبعير وحدها وبره . والحضر : أهل المدن . والمعنى : أنستعمل أعرابيا على حضري ؟
(٦١ب) ابن الاثير (٢/١٨٩) .
(٦٢) انظر : مختصر سياسة الحروب للهرثمي (١٧) والاحكام السلطانية للماوردي (٦) .
(٦٣) انظر : الرسول القائد (٢٢٩ ـ ٢٣٠) .

١ ـ الشورى :

ملاك النظم الحكومية كلها نظام الشورى الذى أقامه عمر على أحسن ما يقام عليه في زمانه ، فجمع عنده نخبة من الصحابة للمشاورة والاستفتاء ، وضنّ بهم على العمالة في أطراف الدولة تنزيهاً لأقدارهم وانتفاعاً برأيهم واعتزازاً بتأييدهم له ومعاونتهم اياه ، فقد قيل له : ما لك لا تولي الاكابر من أصحاب رسول الله عليه السلام ؟ » ، فقال : « أكره أن أدنّسهم بالعمل »[٦٤] .

جعل موسم الحج موسماً عاماً للمراجعة والمحاسبة واستطلاع الآراء في أقطار الدولة من أقصاها الى أقصاها : يفد فيه الولاة والعمال لعرض حسابهم وأخبار ولايتهم ، ويفد فيه أصحاب المظالم والشكايات لبسط ما يشكيهم ، ويفد فيه الرقباء الذين كان يبثهم في انحاء البلاد لمراقبة الولاة والعمال .

كان عمر يستشير جميع هؤلاء ويُشير عليهم ، ويستمع لهم ويُسمعهم، ويتوخّى في جميع ذلك تمحيص الرأي وابراء الذمة والخلوص الى التبعة السليمة من العقابيل[٦٥] .

كانت الشورى عنده مبدأ لا يحيدُ عنه للأغراض السلمية والحربية على حد سواء .

علم عمر باجتماع الفرس على (يزدجرد) ، فكتب عمر الى المثنى ابن حارثة الشيباني ومن معه من المسلمين بالخروج من بين العجم والتفرّق في المياه التي تلي العجم . واجتمع الناس الى عمر فخرج من المدينة حتى نزل على ماء يدعى (ضرار) فعسكر به ولا يدري أحد ما يريد : أيسير أم يقيم ! وأحضر عمر الناس فأعلمهم الخبر واستشارهم في المسير الى العراق، فقال العامة : « سر وسر بنا معك » ، ثم جمع وجوه أصحاب رسول الله

---

(٦٤) طبقات ابن سعد (٣/٢٨٣) .
(٦٥) عبقرية عمر (١٥٠ ـ ١٥١) .

صلى الله عليه وسلم وأرسل الى علي بن ابي طالب وكان استخلفه على المدينة ، والى طلحة وكان على المقدمة فرجع ، والى الزبير وعبدالرحمن وكانا على المجنبتين ، ثم استشارهم فاجتمعوا على أن يبعث رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرميه بالجنود ، فأن كان الذى يشتهي فهو الفتح ، والا أعاد رجلاً وبعث آخر ، ففي ذلك غيظ العدو ، فجمع عمر الناس وقال لهم : « اني كنت عزمت على المسير حتى صرفني ذوو الرأى منكم ، وقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً ، فأشيروا عليّ برجل »[٦٦] • وأخيراً استقر الرأي على تولية سعد بن ابي وقاص[٦٧] •

وكان عمر لا يوافق على انسياح الجيش الأسلامي في بلاد فارس ، ويتمنى أن يكون بين العرب وبين بلاد العجم جبل من نار لا يخلصون منه الى البلاد العربية ، ولا يخلص العرب منه الى بلاد الفرس •

واستشار عمر أهل الرأى في ذلك ، وكان ممن استشارهم الأحنف ابن قيس التميمي و (الهرمزان) ، فقال الأحنف : « يا أمير المؤمنين ! انك نهيتنا عن الأنسياح في البلاد ، وانّ ملك فارس بين أظهرهم ، ولا يزالون يقاتلون مادام ملكهم فيهم ، ولم يجتمع ملكان متفقان حتى يخرج أحدهما صاحبه ، وقد رأيت أنّا لم نأخذ شيئاً بعد شيىء الا بانبعاثهم وغدرهم، وأنّ ملكهم هو الذي يبعثهم ، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا بالانسياح ، فنسيح في بلادهم ونزيل ملكهم ، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس » ، فقال عمر : « صدقني والله » ، وأذن في الأنسياح في بلاد فارس[٦٨] •

وعندما حشد الفرس جيوشهم في (نَهَاوند) حتى بلغ عدد الجند مائة وخمسين ألفاً بأمرة (الفيرزان)[٦٩] ، أخبر سعدُ بن أبي وقاص عمرَ

---

(٦٦) ابن الاثير (٢/١٧٢ ـ ١٧٣) ، وانظر تفاصيل ذلك في : قادة فتح العاق والجزيرة (٢٣١ ـ ٢٣٢) •

(٦٧) انظر الطبري (٣/٤) ومروج الذهب على هامش ابن الاثير (٥/١١٦) وتاريخ عمر بن الخطاب (٧٦) • وانظر البلاذري (٢٥٥) •

(٦٨) الطبري (٣/١٨٤ ـ ١٨٥) وابن الاثير (٢/٢١٣) •

(٦٩) ابن الاثير (٣/٣) •

بهذا التحشد الفارسي العظيم ، فقرّر عمر أن يسير بنفسه لمعالجة الموقف هناك ، ولكن أصحاب الشورى وعلى رأسهم علي بن ابي طالب نصحوه أن يبقى في المدينة المنورة ويرسل قائداً يعتمد عليه ليفرق شمل القوات الفارسية[٧٠] .

لقد كان عمر يؤمن ايماناً عميقاً بالشورى ... حتى الخلافة جعلها شورى بين الرجال الستة الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ[٧١] ، ولم يول رجلاً بعينه ...

وبلغ به ايمانه القاطع بالشورى انه كان يستشير حتى العدو الذى لا يأمنه ، كما فعل في سماع رأى (الهرمزان) في أمر الحرب الفارسية[٧٢] ، بل انه كان يدعو حتى الأحداث يستشيرهم لحدّة عقولهم[٧٣] ، وعمر هو القائل في المشورة : « الرأى الفرد كالخيط السَّحِيل[٧٤] ، والرأيان كالخيطين المبرمين ، والثلاثة مرارٍ[٧٥] لا يكاد ينتقض »[٧٦] .

ان القائد الذى يحسن فن الاستشارة ، تكون قراراته غالباً أقرب الى الكمال .

٢ ـ المعلومات :

كان عمر يحرص على الحصول على المعلومات من الوافدين عليه ومن القادة والأمراء وأفراد الناس الذين يحضرون الحج ومن منابع المعلومات الاخرى .

---

(٧٠) الطبري (٣/٢١٢) .
(٧١) طبقات ابن سعد (٣/٣٣٦) .
(٧٢) انظر عبقرية عمر (١٥٢) .
(٧٣) انظر عبقرية عمر (١٥٢) .
(٧٤) السحيل : الثوب لا يبرم غزله . انظر المعجم الوسيط (١/٤٢٢) .
(٧٥) مرار : جمع مرة ، وهي الفعلة الواحدة . انظر ترتيب القاموس المحيط (٤/٢٠١) .
(٧٦) انظر عبقرية عمر (٣٠٤) .

كان يطالب قادته دائماً باطلاعه على تفاصيل المعلومات عن العدو وعن الأرض التي يقاتلون عليها • كتب الى سعد بن أبي وقاص قبيل القادسية يقول : « ••• اكتب اليّ أين بلغك جمعهم ومن يلي مصادمتكم ، فانه قد منعني من بعض ما أردت الكتاب به قلّة علمي بما هجمتم عليه والذي استقرّ عليه أمر عدوّكم ، فصف لنا منازل المسلمين والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كأني أنظر اليها ، واجعلني من أمركم على الجليّة ••• » ، فكتب اليه سعد يذكر تفاصيل دقيقة عن طبيعة الأرض وعن العدو وقائده[٧٧] •••

والذين يقرؤون رسالة عمر الى سعد وجواب سعد من العسكريين المختصين لا يسعهم الا أن يبدوا اعجابهم الشديد بهاتين الرسالتين ، فلن يستطيع قائد أعلى في القرن العشرين بعد أن أصبحت الدراسات العسكرية دراسات أكاديمية أن يكون أكثر دقّة من عمر في رسالته هذه ، ولن يستطيع قائد عام من ضباط الركن اللامعين أن يكتب تفاصيل أدقّ وأوفى من رسالة سعد بن ابي وقاص •

وكان جواب عمر على رسالة سعد هذه : « جاءني كتابك وفهمته ، فأقم بمكانك حتى ينغض[٧٨] الله لك عدوك ، واعلم أن لها ما بعدها ، فان منحك الله أدبارهم فلا تنزع حتى تقتحم عليهم المدائن ، فانه خرابها ان شاء الله »[٧٩] •

لقد كان عمر يُحيط علماً بتفاصيل ودقائق المعلومات عن جيوشه وعن جيوش عدوه وعن طبيعة الأرض ، فكان لذلك يُصدر قراراته العسكرية على هدى وبصيرة •

---

(٧٧) الطبري (٣/١١) •

(٧٨) نغض : نغض الشيء نغضا ونغضانا ، تحرك في ارتجاف واضطراب • ويقال : نغضوا الى العدو أي نهضوا • انظر المعجم الوسيط **(٢/٩٤٥) •**

(٧٩) الطبري (٣/١٢) •

٣ ـ الحــرص :

كان عمر يحرص غاية الحرص على مصائر جيوشه ، فقد كان يخشى الله أن يسأله عن كل اهمال يؤدي الى ضياع الأرواح ، كما أن تكوينه الطبيعي وخلقه ونفسيته كانت نموذجاً رفيعاً للحرص على مصائر الناس .

كان عمر يأمر عمّاله أن يوافوه بالموسم ، فاذا اجتمعوا قال : « أيها الناس ! اني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم ، انما بعثتهم ليحجزوا بينكم وليقسموا فيئكم بينكم ، فمن فعل به غير ذلك ، فَلْيَقُمْ » ، فما قام أحد الا رجل واحد قام فقال : « يا أمير المؤمنين ! ان عاملك فلاناً ضربني مائة سوط » ، قال : « فيمَ ضربته ، قم فاقتص منه » ، فقام عمرو بن العاص فقال : « يا أمير المؤمنين ! انك ان فعلتَ يَكْثُر عليك ويكون سنّة ، يأخذ بها من بعدك » ، فقال : « أنا لا أُقِيدُ ! ! وقد رأيت رسول الله يقيد من نفسه ! » ، قال : « فدعنا فلنُرْضِه » ، فقال: « دونكم فأرضوه » ، فافتدى منه بمائتي دينار ، كل سوط بدينارين[٨٠] .

وقال مرة : « فوالله ما استطيع أن أصلي وما أستطيع أن أرقد ، واني لأفتتح السورة فما أدرى في أولها أنا أو في آخرها ... من همي بالناس منذ جاءني هذا الخبر »[٨١] . أي منذ توليت أمرهم .

وبعث عمر بن الخطاب جرير بن عبدالله البجلي[٨٢] على الجيش ، فسقطت رِجْلُ رَجُلٍ من المسلمين من البرد ، فبلغ عمر فأرسل اليه : « يا جرير مستمعاً . انه من يسمع يسمع الله به » ، يعني انك خرجت في البرد ليقال : قدغزا في البرد[٨٣] .

وخرج عمر ذات يوم الى سوق المدينة ، فجاء رجل فجعل ينادي : « يا عمراه يا عمراه ! » ، فنادى عمر : « ياليكاه ! » ، ثم سأله عن خبره ،

---

(٨٠) طبقات ابن سعد (٣/٢٩٣ ـ ٢٩٤) .
(٨١) تاريخ عمر لابن الجوزي (٥٢) .
(٨٢) انظر ترجمته في : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٢٤ ـ ٣٣٩) .
(٨٣) تاريخ عمر لابن الجوزي (٨٨) .

فقيل له : « ان عاملاً من عمالك أمر رجلاً ينزل في واد ينظر عمقه ، فقال الرجل : اني أخاف . فعزم عليه فنزل . فلما خرج كز[٨٤] فمات » ، فبعث عمر الى الوالي : « أما لو لا اني أخاف أن تكون سُنّة بعدي لضربت عنقك ، ولـكن لا تبرح حتى تؤدي ديته . والله لا اوليت أبدا »[٨٥] .

وكتب أبو عبيدة بن الجراح الى عمر ، فذكر جمـوعاً من الروم وشدّة ، فكان يوقظ أحد أصحابه فيقـول : « قم فصل ، فني لأقـوم فأصلى واضطجع فما يأتيني النوم »[٨٦] .

وكان عمر يخلف الغزاة في أهليهم[٨٦أ] فيقوم على أمرهم كله . وكان يقدّر المجاهدين حقّ قدرهم ويكبر المضحّين منهم أعظم الأكبار . قال عبدالله بن عمر : « بينما الناس يأخذون أعطياتهم بين يدى عمر ، فرفع رأسه فنظر الى رجل في وجهه ضربة ، فسأله فأخبر به أنه اصابته في غزاة كـان فيها ، فقال : عدّوا له ألفاً ، فأعطى الرجل الف درهم . ثم قال : عدّوا له ألفاً ، فأعطى لـه ألف أخرى . ثم قال له ذلك أربع مرات ، كل ذلك يعطيه ألف درهم ، فاستحى الرجل من كثرة ما أُعطى فخرج . فسأل عنه ، فقيل له : انا رأينا أنه استحى من كثرة ما تعطيه فخرج . فقال : أما والله لو أنه مكث مازلت أعطيه ما بقى منها درهم : رجل ضرب ضربة في سبيل الله حفرت وجهه »[٨٧] .

ولم يقتصر حرصه على المسلمين فقـط ، بل شـمل حتى المرتد عـن الأسلام ، فلما أتى بفتح(تُسْتَر)[٨٨] ، فقال : « هل كان شيء ؟ » ،

---

(٨٤) كز : يبس وانقبض من البـرد . انظـر المعـجم الوسيط (٧٩٢/٢) .

(٨٥) تاريخ عمر (٥٥) .

(٨٦) تاريخ عمر (٥٥) .

(٨٦أ) تاريخ عمر (٤٧) .

(٨٧) تاريخ عمر (٥٢ ـ ٥٣) .

(٨٨) تستر : أعظم مدينة بخوزستان ، وهي تعريب شوشتر . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٦/٢) والمسالك والممالك (٦٤) وآثار البلاد وأخبار العباد (١٧٠) وتقويم البلدان (٣١٤) .

فقالوا : « نعم • رجل من المسلمين ارتدّ عن الأسلام » ، فقال : « فما صنعتم به ؟ » ، فقالوا : « قتلناه » ، فقال : « فهلا أدخلتموه بيتاً وأغلقتم عليه باباً ، وأطعمتموه كل يوم رغيفاً فاستتبتموه ، فأن تاب والا قتلتموه ؟! اللهم اني لم أشهد ، ولم آمر ، ولم أرض اذ بلغني »[٨٩] •

بل شمل حرصه حتى الحيوانات • قال الأحنف بن قيس التميمي : « وفدنا الى عمر بفتح عظيم ، فقال : أين نزلتم ؟ فقلت : في مكان كذا • فقام معي حتى انتهينا الى مناخ ركائبنا ، فجعل يتخللها ببصره ويقول : ألا اتقيتم الله في ركائبكم هذه ؟؟ ألا علمتم أن لها عليكم حقا ؟؟ ألا خليتم عنها فأكلت من نبت الأرض[٩٠] ؟؟ » •

لقد كان عمر اذا استعمل عاملاً كتب عليه كتاباً وأشهد عليه رهطاً من الأنصار ، أن لا يركب برذوناً ولا يأكل نقياً ولا يلبس رقيقاً ولا يغلق بابه دون حاجات المسلمين • وكان يكتب الى أمراء الأمصار : « بأن لكم معاشر الولاة حقاً على الرعية ولهم مثل ذلك ، فأنه ليس من حلم أحب الى الله ولا أعمّ نفعاً من حلم امام ورفقه ، وأنه ليس جهل ابغض الى الله ولا أعمّ ضررا من جهل امام وخرقه ، وانه من يطلب العافية فيمن بين طهرانيه ينزل الله عليه العافية من فوقه »[٩١] •

وعلم عمر أن حُرْقُوص بن زهير التميمي السعدي نزل جبل الأهواز وكان يشقّ على الناس الاختلاف اليه ، فكتب اليه يأمره بنزول السهل وأن : « لا تشق على مسلم ولا معاهد ولا تدركك فترة ولا عجلة فتكدّر دنياك وتُذهب آخرتك »[٩٢] •

وأنشأ سعد بن ابي وقاص لسكناه داراً في الكوفة ، وكانت الأسواق قريبة من داره ، وكانت الأصوات المرتفعة تمنع سعداً الحديث فلما أنجز

(٨٩) تاريخ عمر (٥٥) •
(٩٠) تاريخ عمر (٨٣) •
(٩١) تاريخ عمر (٨٥) •
(٩٢) ابن الاثير (٢/٢١١) •

هـذا البناء ادّعى الناس عليه ما لم يقل ، فقالوا : « قال سعد : سكّن عني الصُوَيْت »[٩٣] . وبلغ عمر ذلك عن دار سعد ، وأن الناس يسمونه : قصر سعد ؛ فدعا محمد بن مَسْلَمَة[٩٤] وأرسله الى الكوفة وقال له : « أعمد الى القصر حتى تحرق بابه ، ثم ارجع عودك على بدئك » . فخرج حتى قدم الكوفة ، فاشترى حطباً ثم أتي به القصر ، فأحرق الباب[٩٥] .

كان عمر يقول : « ان الناس لم يزالوا مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم »[٩٦] ، فكان يطعم الناس الطيب ويأكل الغليظ ، ويكسوهم اللين ويلبس الخشن ، وكان يعطيهم حقوقهم ويزيدهم[٩٧] ، وكان يأكل مع القوم كما يأكلون[٩٨] . اتي عمر بخبز مفتوت بسمن عام الرمادة ، فدعا رجلاً بدوياً فجعل يأكل معه . فجعل البدويّ يتبع باللقمة الوَدَك[٩٩] في جانب الصّحفة ، فقال له عمر : « كأنك مُقفر من الودك ! » ، فقال : « أجل ما أكلت سمناً ولا زيتاً ولا رأيت أكلاً له منذ كذا وكذا الى اليوم » ، فحلف عمر لا يذوق لحماً ولا سمناً حتى يحيا الناس أول ما أحيوا[١٠٠] . وقد تغيّر لونه عام الرمادة حين أكل الزيت ، فكان رجلاً عربياً يأكل السمن واللبن ، فلما أمحل الناس حرّمهما على نفسه فأكل الزيت حتى غيّر لونه وجاع فأكثر[١٠١] .

قال عمر : « من استعمل رجلاً لمودّة أو لقرابة لا يُشغله الا ذاك ،

---

(٩٣) الطبري (٣/١٥٠) .
(٩٤) انظر ترجمته في : قادة فتح العراق والجزيرة ٢٤٦) في الهامش برقم (٣) .
(٩٥) الطبري (٣/١٥٠) .
(٩٦) طبقات ابن سعد (٣/٢٩٢) .
(٩٧) تاريخ عمر (٥٦) .
(٩٨) طبقات ابنن سعد (٣/٣١٢) .
(٩٩) الودك : الدسم أو دسم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه . انظر المعجم الوسيط (٢/١٠٣٣) .
(١٠٠) طبقات ابن سعد (٣/٣١٣) .
(١٠١) طبقات ابن سعد (٣/٢٢٤) .

فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » . وقال : « من استعمل فاجراً وهو يعلم أنه فاجر ، فهو مثله »[١٠٢] .

وقال عمر : « أيما عامل لي ظلم أحداً فبلغني مظلمته فلم أغيرها ، فأنا ظلمته »[١٠٣] .

ان عمر قبل أن يضع دستوراً للولاة والأمراء وضع دستوراً لنفسه قوامه : أن الحكم محنة للحاكم ومحنة للمحكومين ، وأنه « لا يصلح الا بشدّة لا جبرية فيها ولين ولا وهن فيه » ، وأن الخليفة مسؤول عن ولاته واحداً واحداً في كل كبيرة وصغيرة ، ولا يعفيه من اللوم أنه أحسن الأختيار . قال يوماً لمن حوله : « أرأيتم اذا استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل ، أكنت قضيت ما عليّ ؟ » ، فقالوا : نعم ! . قال : « لا ، حتى انظر في عمله ، أعمل بما أمرته أم لا ! »[١٠٤] .

لقد بلغ من حرصه على أرواح المسلمين أنه لم يوافق على الانسياح في بلاد العجم الا في الوقت المناسب وبعد تأكّد من ضرورة الأنسياح الملحّة . كما لم يوافق على ركوب البحر وعاقب العلاء بن الحضرمي على ركوبه خلافاً لأوامره الصريحة[١٠٥] ... وقد كان معاوية لجّ على عمر في غزو البحر ، فكتب عمر الى عمرو بن العاص : « صف لي البحر وراكبه » فكتب اليه عمرو بن العاص : « اني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير ، ليس الا السماء والماء . ان ركد خرق القلوب ، وان تحرّك أزاغ العقول ، يزداد فيه اليقين قلة والشك فيه كثرة . هم فيه كدود على عود ، ان مال غرق ، وان نجا برق » ، فلما قرأه كتب الى معاوية : « والذي بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالحق ، لا أحمل فيه مسلماً أبداً ... فكيف أحمل الجنود على هذا الكافر ، وبالله لمسلم أحبّ مما حوت الروم ،

(١٠٢) تاريخ عمر (٥٦) .
(١٠٣) تاريخ عمر (٨٧) .
(١٠٤) عبقرية عمر (١٥٨) .
(١٠٥) الطبري (٣/١٧٨) .

واياك أن تعرض اليّ ، فقد علمت ما لقي العلاء مني »[١٠٦] •

وكان حين يتوقع اصطدام جيوشه بالعدو ، يعيش في دوّامة من القلق والاضطراب من شدّة حرصه على مصائر المسلمين • قال السائب بن الأقرع الثقفي : « ••• وقدمت على عمر ، وكان قد قدّر الوقعة فبات يتمملل ويخرج ويتوقع الأخبار ••• فخـرج عمر من الغد يتوقّع الأخبـار ، فأتيته فقال : ما وراءك ؟ فقلت : خيراً يا أمير المؤمنين ، فتح الله عليك وأعظم الفتح ،واستشهد النعمان بن مُقَرِّن ، فقال عمر : انا لله وانا اليه راجعون ••• ثـم بـكى فنشج حتى بانت فروع كتفيه ••• فلما رأيت ذلك وما لقي : قلت : يا أمير المؤمنين ! ما أصيب بعده رجل تعرف وجهه • فقال : أولـئـك المستضعفون من المسلمين ، ولـكن الذى أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وأسابهم ، وما يصنع اولئك بمعرفة عمر ؟!؟[١٠٧] •

وقصة عمر حين كان يخطب بالمدينة خطبة الجمعة ، فالتفت من الخطبة فنادى : « يا سارية[١٠٨] الجبل ••• الجبل ! ومن استرعى الذئب ظلم » ، فـلم يفهم السامعون مراده •

وقضى عمر صلاته ، فسأله علي بن ابي طالب رضي الله عنه : « ما هذا الذي ناديت به ؟» ، قال : «أوَ سمعته ؟» فقال : نعم ، أنا وكل من في المسجد ، فقال : « وقـع في خلدي انّ المشركين هزموا اخواننا وركبوا أكتافهم وانهم يمرّون بجبل فأن عدلوا اليه قاتلوا من وجدوه وظفروا ، وان جاوزوه هـلكوا ، فخرج مني هـذا الـكلام » •

وجاء البشير بعـد شـهر ، فذكر انهم سمعوا في ذلـك اليوم وتلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتاً يشبه صوت عمر يقول : « يا سارية الجبل

---

(١٠٦) ابن الاثير (٣/٣٦) وانظر البلاذري (١٥٧) •

(١٠٧) ابن الاثير (٣/٦) وانظر الخراج (٤١) •

(١٠٨) ذكر العقاد في كتابه : عبقرية عمر (٣١) : انه سارية بن حصن ، والحقيقة انه سارية بن زنيم الكناني وانظر الاصابة (٣/٥٢) وأسد الغابة (٢/٢٤٤) وتهذيب ابن عساكر (٦/٤٣) •

... الجبل ! » ، فعد لنا اليه ، ففتح الله علينا[109] .

لقد كان عمر في حرصه نسيج وحده ... انه كان لا ينام ولا ينيم حرصاً على مصائر المسلمين .

٤ ـ الفطنة وبعد النظر :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون ، فان يكن في أمتي منهم أحد ، فان عمر بن الخطاب منهم » ، والمحدثون هم الملهمون[110] .

وقال عبدالله بن مسعود : « لو أن علم عمر وضع في كفّة ميزان ، ووضع علم أحياء الأرض في كفّة ، لرجح علم عمر بعلمهم ، وقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم[111] . وقال حذيفة بن اليمان : « كأن علم الناس كان مدسوساً في حجر عمر » . وقالت عائشة أم المؤمنين : « كان والله أحوذياً نسيج وحده[112] .

لقد كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن ، وما قال الناس في شيء وقال فيه عمر ، الا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر : قال : « يارسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى ، فنزلت : (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى)، وقال : « يارسول الله ! يدخل على نسائك البر والفاجر ، فلو أمرتهنّ يحتجبن » ، فنزلت آية الحجاب . واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في

---

(١٠٩) انظر الطبري (٣/٢٥٤) وابن الاثير (٣/١٦) . وانظر ما جاء عن هذه القصة في ترجمة سارية الواردة في الجزء الثالث من كتاب قادة الفتح الاسلامي ، وانظر العددين (٤٩٣ و٤٩٥) من مجلة الرسالة المصرية عن : (التلباثي Telepathy) للاستاذ العقاد وكتاب عبقرية عمر (٣١ـ٣٢) وكتاب الفاروق عمر (٢/٥١) .

(١١٠) شرح الامام النووي على صحيح مسلم (٥/١٥٠) وفتح الباري بشرح البخاري (٧/٤٠ ـ ٤١) .

(١١١) اخرجه الطبراني في الكبير والحاكم . انظر تاريخ الخلفاء (٨١) .

(١١٢) تاريخ الخلفاء (٨١) .

الغيرة ، فقال عمر : « عسى ربه ان طلّقكنّ أن يبدله أزواجاً خيراً منكنّ » ، فنزلت آية كذلك • ونزل القرآن في موافقته بأسرى بدر وفي الخمر ، فقد قال : « اللهم بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً ، فأنزل الله تحريمها[113] •

وكان أول من كتب التاريخ من الهجرة وأول من اتخذ بيت المال ، وأول من حرّم المتعة ، وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد ، وأول من اتخذ الديوان ، وأول من مسح السواد ، وأول من احتبس صدقة في الاسلام ، وأول من استقضى القضاة في الامصار وأول من مصّر الامصار : الكوفة والبصرة ، وهو الذي اتخذ دار الدقيق فجعل فيه الدقيق والسويق والتمر والزبيب وما يحتاج اليه يعين به المنقطع، وهو الذي وضع فيما بين مكة والمدينة بالطريق مايصلح من ينقطع به ، وهو الذي أخرج اليهود من الحجاز الى الشام واخرج أهل نجران الى الكوفة[114] •

وكانت له فراسة عجيبة نادرة يعتمد عليها ويرى أن : « من لم ينفعه طنه ، لم تنفعه عينه » ، وتُروى له روايات في أمر هذه الفراسه قد يصدّق منها القليل وتتسّرب المبالغة الى الكثير ، ولكنها على كلتا الحالتين تنبئنا بحقيقة لاشك فيها ، وهي انه اشتهر بالفراسة وحبّ التفرس والاستنباط بالنظرة العارضة[115] •

روى سالم عن أبيه قال : « ما سمعت عمر رضى الله عنه يقول لشيء قط اني لأظنه كذا ، الا كان كما يظن ، بينما عمر جالس اذ مرّ به رجل جميل ، فقال : لقد أخطأ ظني أو ان هذا على دينه في الجاهلية ، أو قد كان كاهنهم ، عليّ الرجل ، فدُعي له ، فقال له : لقد أخطأ ظني أو انك لعلى دينك في الجاهلية ، أو لقد كنت كاهنهم في الجاهلية • فقال ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم • فقال : اني أعزم عليك ! الا ما أخبرتني ! قال : كنت

(١١٣) تاريخ الخلفاء (٨٣) وانظر تاريخ عمر (١٣ ــ ١٤) •
(١١٤) تاريخ الخلفاء (٩٣) •
(١١٥) عبقرية عمر (٢٧) •

كاهنهم في الجاهلية »[116] •

وكان عمير بن وهب الجمحي وصفوان بن أمية يذكران مصاب أهل بدر ، فقال صفوان : « والله ما ان في العيش بعدهم خير » ، فقال عمير : صدقت والله • أما والله لو لا دين عليّ ليس له عندى قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضّيعة بعدي ، لركبت الى محمد حتى أقتله ، فأن لي فبلَهم علّة : ابني أسير في ايديهم » ، فاغتنمها صفوان وقال : « عليّ دينك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا ، ولا يسعني شيء ويَعْجز عنهم » ، فقال عمير : « فاكتم شأني وشأنك » • ثم أمر عمير بسيفه فشُحِذَ له[117] ، وسُمّ ، ثم انطلق حتى قدم به المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نفر من المسلمين يتحدّثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم من عدوّهم ، اذ نظر عمر الى عمير حين أناخ على باب المسجد متوشحاً السيف ، فقال : « هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب والله ما جاء الا لشر ، وهو الذى حرّش[118] بيننا وحزرنا[119] للقوم يوم بدر » ، ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا نبي الله ! هذا عدوّ الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه » ، قال : « فأدخله عليّ » ، فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبَّبَه بها،وقال لرجل ممن كان معه من الأنصار : « ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده واحذروا هذا الخبيث ، فانه غير مأمون » ، ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال : « أرسله يا عمر ! أُدن يا عمير » •

وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عميراً وهو يراوغ ، حتى

---

(١١٦) تيسير الوصول (٣/٢٦٧) •

(١١٧) شحذ له : أي أحد له • تقول : شحذت السكين اذا أحددتها •

(١١٨) حرش بيننا : أفسد • والتحريش : الافساد بين الناس واغراء بعضهم ببعض •

(١١٩) حزرنا : قدر عددنا • تقول : هم محزرة ألف ، تريد أنهم تقدير ألف •

ضاقت به منافذ الأنـكار ، فباح بسرّه ، وأعلن الأسلام والتوبة[١٢٠] •

هذه الفراسة وشبيهاتها هي ضرب من استيحاء الغيب واستنباط الأسرار بالنظر الثاقب •

لقد كانت له فطنة الرجل العليم بنقائص الأخلاق وخبايا النفوس ، ولم يحـكم عليها قط كأنه ينظر اليها من جانب واحد أو يطبعها في تفكيره بطابع واحد ، بل علم الدنيا وعلم كيف يتقلّب الانسان ، وراح في علمه هذا يراقب الناس مراقبة الحذر ، ويقيم عليهم الأرصاد اقامة الرجل الذي لا يفوتـه أن ينتظر منهم ما ينتظر من خير وشر وقوّة وضعف وصـلاح وفسـاد • وكفى من كلماته الدالة عليه أن تذكر أنه كان يحبّ أن يعرف الشر كما يعرف الخير ، لأن الذي لا يعرف الشر أحرى أن يقـع فيـه » ، وهـو القائل : « احترسوا من الناس بسوء الظن »[١٢١] •

وقد عاشره أناس من الدهاة فخبروه وحذروه ! قال المغيرة بن شعبة لعمرو بن العاص : « أأنت كنت تفعل أو توهم عمر شيئاً فيلقنه عنك ؟ والله ما رأيت عمر مستخلياً بأحد الا رحمته كائناً من كان ذلك الرجل • كان عمر والله أعقل من أن يُخدع وأفضل من أن يخدع » •

انما كان عمر كما وصف نفسه : « ليس بالخب[١٢٢] ولـكن الخب لا يخدعه »[١٢٣] •

على أن القدرة الذهنية التي امتاز بها عمر في غنى عن الاستدلال عليها بما قال وما قيل فيه وما دار بينه وبين القوم من المساجلات والمحاورات • انه عمل ما لم يعمله الا القليل من أقدر الحـكام في تاريخ بني الأنسان وكفى بذلك دليلاً على قدرته الذهنية[١٢٤] •

---

(١٢٠) سيرة ابن هشام (٢/٣٠٧ ـ ٣٠٨) •
(١٢١) عبقرية عمر (٦١) •
(١٢٢) الخب : الخادع الغشاش •
(١٢٣) عبقرية عمر (٦٢) وانظر العقد الفريد (٢/٦٨) •
(١٢٤) عبقرية عمر (٦٤) •

لقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم سبعة وثلاثين وخمسمائة حديث[١٢٥] وكان من أصحاب الفتيا من الصحابة[١٢٦] ، وكان مجتهداً يقتدى بقوله وفعله[١٢٧] .

ولكن أعظم ما يدل على بعد نظره وحدّة ذكائه - في ما أرى - ، هو : في تركه السواد غير مقسوم ووضعه الخراج عليه[١٢٨] وتركه أرض مصر غير مقسومة [١٢٩] أيضاً لتكون تلك الأرض للمسلمين كافة لا لأفراد منهم، هذا اولا ، وتدوين الدواوين[١٣٠] ثانياً ، وفكرته الملهمة في تقسيم المال فقد قال : « لو استقبلت من أمري ما استدبرت ، لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسّمتها على الفقراء المهاجرين »[١٣١] ثالثاً ، وكثرة فتوحاته رابعاً، وحثّه أبا بكر الصديق على جمع القرآن الكريم خامساً ، فقد قال زيد بن ثابت : « أرسل اليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة وكان عنده عمر ، فقال : ان هذا أتاني فقال : ان القتل قد استحرّ بالقرّاء ، واني أخشى أن يستحرّ القتل بالقراء في سائر المواطن فيذهب القرآن ، وقد رأيت أن تجمعوه . فقلت لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : هو والله خير ! فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدره ، ورأيت فيه الذي رأي »[١٣٢] فجمع أبو بكر القرآن الكريم .

تلك انجازات مصيرية خالدة ، كل انجاز منها دليل قاطع على ذكاء خارق وبعد نظر فذ ، لذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم عن عمر : « ما

---

(١٢٥) اسماء الصحابة الرواة لابن حزم (٢٧٦) وانظر مسند الامام أحمد بن حنبل (١/١٤/٥٥) .

(١٢٦) أصحاب الفتيامن الصحابة لابن حزم (٣١٩) .

(١٢٧) انظر الرياض النضرة (١/٢٧٩ - ٢٨٠) .

(١٢٨) انظر تاريخ عمر (٦٨) والخراج (٣٢ - ٤٦) .

(١٢٩) فتوح مصر والمغرب (١٢٢) .

(١٣٠) انظر الخراج (٤٩ - ٥٦) والبلاذري (٢٩٨ و ٤٣٥) وابن الاثير (٢/١٩٤ - ١٩٦) .

(١٣١) المحلى لابن حزم (٦/١٥٨) .

(١٣٢) كتاب المصاحف للسجستاني (٦) .

طلعت الشمس على رجل خير من عمر »[١٣٣] ، وقال : « ان الله جعل الحق على لسان عمر »[١٣٤] .

٥ ـ الشجاعة :

كان النبي صلى الله عليه وسلم مجتمعاً مع أصحابه في بيت الارقم بن ابي الارقم عند (الصفا) بمكة ومن بينهم عمه حمزة وابن عمه علي بن ابي طالب وأبو بكر الصديق وغيرهم من سائر المسلمين فعرف عمر اجتماعهم فقصد اليهم يريد أن يقتل محمداً صلى الله عليه وسلم كي تستريح قريش وتعود الى وحدتها . ولقى عمر نُعَيْم بن عبدالله في الطريق وعرف أمره فقال له : والله لقد غشتّك نفسك من نفسك يا عمر ! أتُرى بني عبد مناف تاركيك تمشي على وجه الأرض وقد قتلت محمداً ؟! أفلا ترجع الى أهل بيتك وتقيم أمرهم » ، وكانت فاطمة أخت عمر وزوجها سعد بن زيد قد أسلما . فلما عرف عمر أمرهما كرّ راجعاً اليهما ودخل البيت عليهما ، فاذا عندهما من يقرأ عليهما القرآن ، فلما أحسّوا دنوّ داخل عليهم اختفى القارىء واخفت فاطمة الصحيفة . وسأل عمر : « ما هذه الهينَمة التي سمعت ؟؟! » ، فلما أنكرا صاح بهما : « لقد علمتُ أنكما تابعتما محمداً على دينه » ، ثم وثب على ختنه فوطئه وطأً شديدا ، فجاءت أخته فدفعته فنفحها بيده نفحة فدمي وجهها[١٣٥] ؛ فقالت وهي غضبى : « يا عمر ! ان كان الحق في غير دينك ؟ اشهد أن لا اله الا الله

---

(١٣٣) الترمذي الكتاب (٤٦) الباب (١٧) انظر مفتاح كنوز السنة (٣٥٧) .

(١٣٤) الترمذي الكتاب (١٩) الباب (١٧) وابن ماجة . انظر مفتاح كنوز السنة (٣٥٧) .

(١٣٥) طبقات ابن سعد (٣/٢٦٨) وسيرة ابن هشام (١/٣٦٥ ـ ٣٦٦) وتاريخ الخلفاء (٧٤ ـ ٧٨) وتاريخ عمر (٧ ـ ١٠) والرياض النضرة (١/٢٤٨ ـ ٢٥٨) وعيون الاثر (١/١٢١ ـ ١٢٦) والسيرة الحلبية (١/٣٦٧ ـ ٣٦٨) . وابن خلدون (٢/٩) وانظر الاستيعاب (٣/١١٤٥) .

واشهد أن محمداً رسول الله » ، فلما يئس عمر قال : « اعطوني هـذا الكتاب الذى عندكم فأقرأه • وقرأ عمر فتغيّر وجهه وأحسّ الندم على صنيعه ، ثم اهتزّ لما قرأ في الصحيفة وأخذه اعجازها وجلالها وسموّ الدعوة التي تدعو اليها ، فقال : « دُلّوني على محمد » ، فلما سمع خبّاب رجل من المهاجرين قول عمر خرج من مخبئه في الدار وقال : « أبشر يا عمر ! فاني أرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ليلة الخميس : اللهم أعزّ الاسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام • ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدار التي في أصل (الصفا) » ، فانطلق عمر حتى اتى الدار وعلى باب الدار حمزة وطلحة وأناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى حمزة وجَلَ القوم من عمر ، فقال : « نعم ، فهذا عمر ، فأن يرد الله بعمر خيراً يُسْلم ويتّبع النبي صلى الله عليه وسلم ، وان يُرد غير ذلك يكن قتله علينا هيّناً • وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اتى عمر ، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال : « أما أنت منتهياً يا عمر حتى يُنزل الله بك من الخِزْي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة ؟ اللهم هذا عمر بن الخطاب اللهم أعِزّ الدين بعمر بن الخطاب» ، فقال عمر: «أشهد أنك رسول الله» ، فأسلم وقال: « اخْرُج يا رسول الله »(١٣٦) •

وفَتّ اسلام عمر في عَضُد قريش ، لأن اسلام عمر عزّز المسلمين بعنصر جديد قوي غاية القوة •

ولما أسلم عمر قال : « أيُّ قريش أنقل للحديث ؟ » ، فقيل له : « جميل بن مَعْمَر الجُمَحي » ، فغدا عليه حتى جاءه ، فقال له : « أعلمت يا جميل أني قد أسلمت ودخلت في دين محمد ؟ » ، فما راجعه جميل حتى قام يجرّ رداءه ، حتى اذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته :

---

(١٣٦) طبقات ابن سعد (٣/٢٦٨ ـ ٢٦٩) وانظر حياة محمد (١٥٨ ـ ١٥٩) والفاروق عمر (١/٤١ ـ ٥٢) •

« يا معشر قريش ! ألا ان عمر بن الخطاب قد صبأ » ، فقال عمر وكان خلفه « كذب ، ولكني قد أسلمت وشهدت أن لا اله الا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله » • وثاروا اليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم ، فطَلَح(١٣٦أ) فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لتركناها لكم أو لتركتموها لنا »(١٣٦ب) •

قال عمر : « لما أسلمت تلك الليلة ، تذكّرت أيّ أهل مكة أشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوةً حتى آتيه فأخبره اني قد أسلمت ، فقلت : أبو جهل ، فأقبلت حين أصبحت حتى ضربت عليه بابه ، فقال : مرحباً وأهلاً يا ابن أختي(١٣٦ج) ، ما جاء بك ؟ فقلت : جئت لأخبرك أني قد آمنت بالله وبرسوله محمد وصدّقت بما جاء به ، فضرب الباب في وجهي وقال : قَبّحك الله وقَبّح ما جئت به »(١٣٥) •

وبعد اسلامه ظهر الأسلام ودُعي اليه علانية ، وجلس المسلمون حول البيت حلَقاً وطافوا بالبيت وانتصفوا ممن غلظ عليهم وردوا عليه بعض ما يأتي به(١٣٦) قال عبدالله بن مسعود : « ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر » • وقال محمد بن عبيد : « لقد رأيتُنا وما نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر فلما اسلم عمر قاتلهم حتى تركونا نصلي»(١٣٧) • وقال عبدالله بن عباس: «أول من جهر بالاسلام عمر بن الخطاب»(١٣٨)، فقد قال عمر:«يارسول الله! ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا ؟ » ، قال : « بلى والذي نفسي بيده انكم

(١٣٦أ) طلح : أي أعيا ، ومنه البعير الطليح ، ومنه قالوا : راكب الناقة طليحان ، أي هو والناقة طليحان ، أي متعبان قد جهدهما السير وأعياهما •

(١٣٦ب) سيرة ابن هشام (١/٣٧٠) •

(١٣٦ج) أم عمر هي حنتمة بنت هشام بن المغيرة •

(١٣٥) سيرة ابن هشام (١/٣٧١) •

(١٣٦) طبقات ابن سعد (٣/٢٦٩) •

(١٣٧) طبقات ابن سعد (٣/٢٧٠) •

(١٣٨) تاريخ الخلفاء (٧٨) •

على الحق ان متّم وان حييتم » ، فقال : ففيم الاختفاء ؟ ! والذي بعثك بالحق لتخرجَنّ » ، فخرج المسلمون في صفين : في أحدهما حمزة وفي الآخر عمر ، حتى دخلوا المسجد ، فنظرت قريش الى حمزة والى عمر فأصابتهم كآبة لم تصبهم مثلها ، فسمى النبي صلى الله عليه وسلم عمر يومئذ الفاروق[١٣٩] .

وردّ عمر جوار خاله العاص بن هشام لأنه رأى المسلمين يُضربون وهو لا يُضرب ، فما زال يَضرِبو يُضرب حتى أظهر الله الأسلام[١٤٠] .

لقد أبدى عمر يوم اسلامه وبعده ضروباً من الشجاعة الخارقة التي قلّ أن تجد لها مثيلاً في تاريخ الشجاعة والفداء .

وأذن النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالهجرة الى المدينة ، فما هاجر منهم أحد الا مختفياً غير عمر . فانه لما همّ بالهجرة تقلّد سيفه وتنكّب قوسه[١٤١] وانتضى في يده أسهماً[١٤٢] وأتى الكعبة والملأ من قريش بفنائها[١٤٣] ، فطاف بالبيت سبعاً ثم صلى ركعتين عند المقام متمكناً ، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة فقال لهم : « شاهت الوجوه ، لا يرغم الله الا هذه المعاطس[١٤٤] ، من أراد أن تثكله أمه وييتّم ولده وترمل زوجته ، فليلقني وراء هذا الوادي » ، فما تبعه أحد[١٤٥] !! .

وفي غزوة بدر الكبرى قتل عمر خاله العاص بن هشام بن

---

(١٣٩) تاريخ عمر (٧) .

(١٤٠) تاريخ عر (٨) .

(١٤١) نكب قوسه : القاه على منكبيه .

(١٤٢) انتضى في يده أسهما : استلمها من كنانته وتركها في يده .

(١٤٣) الفناء : المتسع أمام الدار .

(١٤٤) المعاطس : جمع معطس ، وهو الانف ، وارغامها : الصاقها بالرغام وهو التراب ، كنى بذلك عن الاهانة والاذلال .

(١٤٥) تاريخ الخلفاء (٧٨) والرياض النضرة (٢٥٨) وانظر رواية أخرى عن هجرته في طبقات ابن سعد (٣/ ٢٧١ ــ ٢٧٣) وتاريخ عمر (١٢) وسيرة ابن هشام (٢/ ٨٤ ــ ٨٨) .

المغيرة[١٤٦] ، وبعد هذه المعركة جاءوا بالأسرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما تقولون في هؤلاء ؟ » ، فقال أبو بكر : « يا رسول الله ! قومك وأهلك ، استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم ، وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار » . وقال عمر : « يا رسول الله ! كذّبوك وأخرجوك ، قدّمهم نضرب أعناقهم : مكّن علياً من عقيل فيضرب عنقه ، ومكّني من فلان (نسيب عمر) فأضرب عنقه ، فان هؤلاء أئمة الكفر » ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم . ثم دخل ، فقال ناس يأخذ بقول ابي بكر ، وناس يأخذ بقول عمر ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله تعالى ليليّن قلوب رجال حتى تكون ألين من اللين ويشدّد قلوب رجال حتى تكون أشدّ من الحجارة ، وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال : (فمن تبعني فانه مني ، ومن عصاني فانك غفور رحيم) ، ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال : (ان تعذّبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم) . وان مثلك يا عمر مثل نوح قال : (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) ومثلك مثل موسى قال : (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم) » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنتم اليوم عالة ، فلا يفلتنّ منهم أحد الا بفداء أو ضرب عنق » ، فنزل قول الله تعالى بموافقة عمر : (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم . لو لا كتاب من الله سبق لمسّكم فيما اخذتم عذاب عظيم)[١٤٦] . قال عمر بن الخطاب : « فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت ، فلما كان من الغد ، جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدان يبكيان ، قلت : يا رسول الله ، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك ؟ فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما » ، فقال رسول الله صلى الله عليه

---

(١٤٦) سيرة ابن هشام (٢/٢٧٧) .

(١٤٦أ) الآيتان الكريمتان من سورة الانفال (٨ : ٦٦/٦٧) .

وسلم : « أبكي للذي عرض على اصحابك من أخذهم الفداء ، لقد عرض عليّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة ـ لشجرة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنزل الله تعالى : (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ـ الى قوله ـ فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً)[١٤٧] .

وبعد غزوة (أُحُد) حين أراد أبو سفيان الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته : « ان الحرب سجَال[١٤٨] ، يوم بيوم بدر ، أعل هُبَل[١٤٩] !! » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قم يا عمر فأجبه » ، فقال : « الله أعلى وأجل ، ولاسواء : قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار » . وفي رواية ، ان أبا سفيان وقف عليهم فقال : « أفيكم محمد ؟ » ، فقال صلى الله عليه وسلم : «لاتجيبوه» ، قال: «أفيكم محمد ؟ » فلم يجيبوه ، ثم قال الثالثة فلم يجيبوه ، ثم قال : « أفيكم ابن ابي قحافة » قالها ثلاثاً فلم يجيبوه . ثم قال : « أفيكم ابن الخطاب ؟ » ثلاثاً فلم يجيبوه ، فقال : « أما هؤلاء فقد كفيتموهم » ، فلم يملك عمر نفسه أن قال : « كذبت يا عدوّ الله ، هاهو رسول الله وأبو بكر وأنا احياء »[١٥٠] ، وكان عمر ممن ثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم (أُحُد)[١٥٠أ] .

وفي غزوة (حُنين) كمنت هوازن في جنبتي وادي حُنَيْن وذلك في عَمَاية الصبح[١٥١] ، فحملوا على المسلمين حملة رجل واحد ، فولىّ

---

(١٤٧) قوله : أسرى ، جمع أسير ، مثل قتلى وقتيل . وقوله : حتى يثخن في الارض ، أي يبالغ في قتل المشركين وأسرهم . قوله : تريدون عرض الدنيا ، أي تريدون أيها المؤمنون أخذ الفداء وهذا عرض الدنيا . انظر تفسير ابن كثير (٤/٩٣ ـ ٩٦) والبغوي بهامشه (٤/٩٣ ـ ٩٥) والكشاف للزمخشري (٢/٢٠ ـ ٢١) وأنوار التنزيل للبيضاوي (٣/٥٦ ـ ٥٧) وفي ظلال القرآن (١٠/٢٤ ـ ٢٧) .

(١٤٨) الحرب سجال : نصرتها بينهم متداولة . انظر المعجم الوسيط (٢/٤١٩) .

(١٤٩) هبل : أعظم الاصنام عند الكعبة . انظر التفاصيل في كتاب الاصنام للكلبي (٢٧ ـ ٢٨) .

(١٥٠) الرياض النضرة (١/٢٧٣ ـ ٢٧٤) .

(١٥٠أ) تاريخ الخلفاء (٧٩) .

(١٥١) عماية الصبح : ظلامه قبل أن يتبين .

المنهزمون لا يَلْوي أحد على أحد ، فناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرجعوا ، وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة فقط من أصحابه وآل بيته ، كان أحدهم عمر بن الخطاب(١٥٢) .

تلك هي نماذج قليلة على شجاعة عمر النادرة ، ولكن هل تحتاج شجاعة الفاروق الى دليل ؟؟

لا عجب بعد ذلك ان يقول عنه عبدالله بن مسعود : « كان اسلام عمر فتحا ، وكانت هجرته نصراً ، وكانت امارته رحمة ، ولقد رأيتُنا وما نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر ، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا فصلينا » ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه ، وهو الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل »(١٥٣).

٦ ـ القابلية البدنية :

كان عمر يأخذ بأذن الفرس ويأخذ بيده الاخرى أذنه ثم يَنْزو على متن الفرس(١٥٤) كان يصارع في سوق عكاظ ، ضخماً طويلاً جسيماً(١٥٥) يسرع في مشيته(١٥٦) . قالت الشفاء ابنة عبدالله ورأت فتياناً يقصدون في المشي ويتكلمون رويداً ، فقالت : « ما هذا ؟ » ، فقالوا : « نسّاك !! » ، فقالت : كان والله عمر اذا تكلّم أسمع ، واذا مشى أسرع ، واذا ضرب أوجع ، وهو الناسك حقاً » غليظ القدمين والكفين ، مجدول اللحم(١٥٧) .

وكان فارساً ماهراً ، قال أبو مسعود الأنصاري : « كنا جلوساً في

---

(١٥٢) جوامع السيرة لابن حزم (٢٣٨ ـ ٢٣٩) .
(١٥٣) طبقات ابن سعد (٣/٢٧٠) .
(١٥٤) طبقات ابن سعد (٣/٢٩٣) .
(١٥٥) طبقات ابن سعد (٣/٣٢٥) .
(١٥٦) طبقات ابن سعد (٣/٣٢٦) .
(١٥٧) طبقات ابن سعد (٣/٢٩٠) وانظر العقد الفريد (٣/٦٨)

نادينا ، فأقبل رجل على فرس يُركضه يجري حتى كاد يوطئنا ، فارتعنا لذلك وقمنا ، فاذا عمر بن الخطاب ، فقلنا : فمن بعدك يا أمير المؤمين ! ، قال : وما أنكرتم ؟ وجدت نشاطاً فأخذت فرساً فركضته »[158] .

لقد كان عمر رجلاً مفتول العضل ، قوي الشكيمة ، حاد الطبع ، سريع الغضب[159] ، وكان ماهراً في الفروسية مدرباً تدريباً ممتازاً على استعمال السلاح . انه كان من الناحية البدنية والتدريبية مثالاً للرجل العربي القوي المدرّب .

وبالفطرة التي فطر عليها كان يحب ما يحسن بالجندي في بدنه وطعامه ، ويكره ما ليس بالمستحسن فيه ، فكان يقول : « اياكم والسمنة ، فانها عقلة » ، وكان يقول : « اياكم والبطنة فانها مكسلة عن الصلاة ومفسدة للجسم ومؤدية الى السقم ، وعليكم بالقصد في قوتكم فهو أبعد من السرح وأصح للبدن وأقوى على العبادة »[160] . ورأى عمر رجلاً غليظ البطن فقال : « ما هذا ؟ » ، قال : « بركة من الله » ، فقال : « بل عذاب ! ! »[161] .

ومن أقواله : « تمعددوا واخشوشنوا واقطعوا الركب وانزوا على الخيل نزواً » ، أي تزيوا بزي العرب من معد بن عدنان[162] .

لقد كان عمر جنديا ممتازاً من كافة الوجوه .

٧ـ تحمل المسؤولية :

كان عمر يتحمّل مسؤوليته كاملةً ويشعر شعوراً عميقاً بثقل أعبائها . كان يتحمّل المسؤولية قبل تولية الحكم وبعد أن أصبح أميراً للمؤمنين .

---

(١٥٨) طبقات ابن سعد (٣/٣٢٦) .
(١٥٩) حياة محمد (١٥٨) .
(١٦٠) عبقرية عمر (٩٣) .
(١٦١) تاريخ عمر (١٤٤) .
(١٦٢) عبقرية عمر (٣٠٥) .

حين أسلم قال للنبي صلى الله عليه وسلم : « ألسنا على الحق ؟ » ، فقال : « بلى » ، فقال ففيم الأختفاء ؟؟ » فخرج المسلمون الى البيت العتيق يعلنون دعوتهم ،فاصابت قريش كآبة شديدة لم يصبهم مثلها[١٦٣] .

لقد أظهر الأسلام ودعا اليه علانية ، فجلس المسلمون حلقاً حول البيت وطافوا بالبيت[١٦٤] ... وبعض هذا دليل قاطع على شدّة تحمل عمر للمسؤولية ، لذلك سمّاه النبي صلى الله عليه وسلم : الفاروق ، لأنه أظهر الأسلام وفرق بين الحق والباطل[١٦٥] ، اذ ليس من السهل اقدام المسلمين في ظروفهم القاسية تلك ـ وهم قلة مستضعفون ، أن يظهروا اسلامهم متحدّين التيّار الجارف للكثرة الكاثرة من المشركين وفي عقر دارهم .

كما أن اقدام عمر على ابداء رأيه حتى للرسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل : في اتخاذ مقام ابراهيم مصلى ، وفي أمر الحجاب على نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي اجتماع نسائه على الغيرة ، وفي أسرى بدر ، وفي تحريم الخمر[١٦٦] ، كل ذلك يدلّ على انه كان ذا رأي سديد يتحمل بشجاعة مسؤولية نتائجه .

وبعد أن اختار الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة ، فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة عامر بن الجراح . وبعد مناقشات حادة قال عمر لأبي بكر : « ابسط يدك أبايعك » ، فبسط يده فبايعه عمر وبايعه الناس[١٦٦أ] ، قال عمر : « ... ان مبايعة ابي بكر فلتة الا أن الله وقى شرها ... »[١٦٧] .

---

(١٦٣) تاريخ الخلفاء (٧٧ ـ ٧٨) .
(١٦٤) تاريخ الخلفاء (٧٨) .
(١٦٥) تاريخ الخلفاء (٧٨) .
(١٦٦) انظر تاريخ الخلفاء (٨٣ ـ ٨٥) وتاريخ عمر (١٣ ـ ١٤) وأسد الغابة (٤/٦٣) و (٣/٦٦) .
(١٦٦أ) ابن الاثير (٢/١٣٤) .
(١٦٧) تاريخ الخلفاء (٤٥) .

لقد فكّر عمر في أمر الخلافة لأول ما أيقين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ، وسرعان ما تبيّن في وضوح أن الأمر اذا ترك فلم يتولّه في الحال من ينهض به ويدير سياسة المسلمين ، أوشك المهاجرون والأنصار أن يختلفوا وأوشكت الثورة أن تضطرم في بلاد العرب كلها فكان موقف عمر في مبايعة أبا بكر أول موقف له بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو موقف حزم وبعد نظر وحسن سياسة وشعور عميق بمسؤليته الكبرى أمام الله وأمام المسلمين .

وتولى أبو بكر الخلافة ، فدعا الناس الى الجهاد في ساحات أرض الشام وطلب رأي أهل الرأي في ذلك ، فكان عمر أسبقهم الى اجابته ، فقال : « والله ما استبقنا الى شيء من الخير قط الا سبقتنا اليه . قد والله أردت لقاءك بهذا الرأي الذي ذكرت ، فما قضى الله أن يكون ذلك حتى ذكرته الآن ، فقد أصاب الله بك سبل الرشاد . سرّب اليهم الخيل في أثر الخيل ، وابعث الرجال تتبعها الرجال والجنود تتبعها الجنود ، فان الله عزّ وجل ناصر دينه ومعزّ الأسلام وأهله ، ومنجز وعد رسوله .

لم يتحمس الحاضرون لهذه الدعوة مع ما كان من كلام ابي بكر وعمر ، بل تداولوا الحديث وقد اخذتهم هيبة الروم . فلما فرغوا عاد أبو بكر يدعوهم للتجهّز فسكتوا ! عند ذاك صاح عمر فيهم : « مالكم يا معشر المسلمين لا تجيبون خليفة رسول الله اذا دعاكم لما يحييكم ؟! » . وهزت هذه الصيحة الحاضرين ، فرضوا الجهاد[١٦٨] .

وبعد توليه الخلافة قال : « لو علمت أنّ أحداً من الناس أقوى على هذا الأمر مني ، لكنت قد أمرته فتضرب عنقي أحب اليّ من أن أليه »[١٦٩] .

وكان مقام ابراهيم لاصقاً بالكعبة ، فقال عمر : « اني لأعلم ما كان

---

(١٦٨) الفاروق عمر (١/٨٥) .
(١٦٩) تاريخ عمر (٤١) .

موضعه ههنا ، ولكن قريش خافت عليه من السيل فوضعته هذا الموضع » ثم وضعه موضعه الأول[170] .

وكان أول من كتب التاريخ في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أول من جمع القرآن في المصحف ، وهو أول من سنّ قيام رمضان ، وهو أول من جمع الناس على قيام رمضان وكتب به الى البلدان ، وهو أول من ضرب في الخمر ثمانين ، وهو أول من عسّ في عمله بالمدينة وحمل الدرة وأدّب بها ، وهو أول من استقضى القضاة في الأمصار ، وهو أول من دوّن الدواوين[171] ... ومنع الصدقات عن المؤلفة قلوبهم فقال : « ان الله أعزّ الأسلام وأغنى عنكم ، فأن ثبتم اليه والا فبيننا وبينكم السيف »[172] . وأمضى طلاق الثلاث بكلمة واحدة ، قال ابن عباس : « وكان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ، فأمضاه عليهم »[173] ، ونهى عن نكاح المتعة ، ودرأ الحدّ بالضرورة ، وقرّر مبدأ المساواة أمام القضاء[174] ، واجتهد في تفصيل ما لم يرد عنه نص صريح في كتاب الله[175] .

لقد كان يعرف تماماً عظم مسؤوليته وضخامتها حاكماً للناس عليه حقوق وواجبات لا تحصى .

خرج عمر في سواد الليل ، فرآه طلحة ، فدخل عمر بيتاً . وأصبح طلحة فذهب الى ذلك البيت ، فاذا عجوز عمياء مقعدة ، فقال لها : « ما بال هذا الرجل يأتيك ؟ » ، قالت : « انه يتعاهدني منذ كذا وكذا : يأتيني بما

---

(١٧٠) تاريخ عمر (٤٢ ـ ٤٣) .
(١٧١) تاريخ عمر (٤٣) .
(١٧٢) الفاروق عمر (٢/٢٨٣) .
١٧٣) الفاروق عمر (٢/٢٨٤ ـ ٢٨٥) .
(١٧٤) الفاروق عمر (٢/٢٩٤) .
(١٧٥) الفاروق عمر (٢/٢٩٥) .

يصلحني ، ويخرج عني الأذى » ، فقال طلحة : « ثكلتك أمك طلحة ! أعثرات عمر تتبع ؟؟! » •

وقدمت رفقه من التجار المدينة فنزلوا المصلي ، فقال عمر لعبد الرحمن ابن عوف : « هل لك أن نحرسهم الليلة من السرق ؟! » ، فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما ، فسمع عمر بكاء صبي فتوجّه نحوه فقال لأمه : « اتقي الله واحسني الى صبيك » ثم عاد الى مكانه • وسمع بكاءه مرة أخرى فعاد الى أمه ، فقال لها ذلك ثم عاد الى مكانه ، فلما كان آخر الليل ، سمع بكاءه فقال : « ويحك ! اني لأراك أم سوء • مالى أرى ابنك لا يقرّ منذ الليلة ؟ » ، فقالت : « يا عبدالله قد أبرمتني منذ الليلة ، اني أربعه عن الفطام فيأبى عليّ » ، فقال : « ولم ؟! » ، قالت : لأن عمر لا يفرض الا للفطيم » ، فقال : « وكم له ؟ » ، فقالت : « كذا وكذا شهراً » ، فقال : « ويحك لا تعجليه » ؛ فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء ، فلما سلّم قال : « يا بؤساً لعمر ! كم قتل من أولاد المسلمين ؟! » » ، ثم أمر منادياً فنادى : « أن لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام » فانا نفرض لكل مولود في الاسلام »[176] •

وروى زيد بن أسلم عن أبيه انه قال : « خرجنا مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى (حرّة واقم)[177] ، حتى اذا كنا بـ (صِرار)[178] اذ نار ، فقال : يا أسلم ! اني لأرى ههنا ركباً قد ضربهم الليل والبرد • انطلق بنا ؛ فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم ، فاذا بامرأة معها صبيان صغار وقدر منصوبة على نار وصبيانها يتضاغون ، فقال : السلام عليكم يا أصحاب الضوء ، وكره أن يقول : يا أصحاب النار ، فقالت وعليك السلام • فقال :

---

(١٧٦) تاريخ عمر (٤٨ ـ ٤٩) •

(١٧٧) حرة واقم : احدى حرتي المدينة وهي الشرقية ، سميت برجل من العماليق اسمه واقم ، وكان قد نزلها ، في الدهر الاول : انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٢٦٢) •

(١٧٨) صرار : موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق • انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٣٤٦) •

أأدنو ؟ فقالت : أدن بخير أو دع . فدنا وقال : ما بالكم ؟ فقالت : قد ضربنا البرد والليل ! فقال : وما بال الصبية يتضاغون ؟ قالت : الجوع . فقال : فأي شيء في هذا القدر ؟ قالت : ما أسكتهم به حتى يناموا ، والله بيننا وبين عمر . قال : أي رحمك الله ، وما يدري عمر بكم ؟! قالت : يتولى أمرنا ثم يغفل عنا ؟! ... فأقبل عمر على أسلم فقال : انطلق بنا ، فانطلقنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق ، فأخرج عدلاً من دقيق وكبة من شحم ، فقال : احمله عليّ !!! فقلت : أنا أحمله عنك ، فقال : أنت تحمل وزري يوم القيامة ، لا أم لك ! فحملته عليه . وانطلقت معه اليها نهرول ، فألقى ذلك عندها . وأخرج من الدقيق شيئاً فجعل يقول : ذري عليّ وأنا أحرّك لك . وجعل ينفخ تحت القدر ثم أنزلها ، فقال : أبغني شيئاً ، فأتته بصفحة فأفرغها فيها ثم جعل يقول لها : أعطيهم وأنا أسطح لهم ، فلم يزل حتى شبعوا ، وترك عندها فضل ذلك ، وقام وقمت معه ، فجعلت تقول : جزاك الله خيراً ... كنت أولى بهذا الأمر من أمير المؤمنين فيقول: قولي خيرا ! اذا جئت أمير المؤمنين وجدتني هناك ان شاء الله . ثم تنحى ناحية عنها ثم استقبلها فربض مربضاً ، فقلت له : لك شان غير هذا ... فما كلّمني حتى رأيت الصبية يصطرعون ، ثم ناموا وهدوا ، فقال : يا أسلم ! ان الجوع أسهرهم وأبكاهم ، فأحببت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت »(179) .

وكان عمر يصوم الدهر ، فكان زمن الرمادة (180) اذا أمسى أتى بخبز قد ثرد بالزيت ، الى أن نحروا يوماً من الأيام جَزوراً(181) فأطعمها الناس وغرفوا له طيبها فأتى به ، فأذا قديد من سنام ومن كبد ، فقال : « بَخْ بَخْ ! (182) بئس الوالي أنا ان أكلت طيبها وأطعمت الناس

(179) تاريخ عمر (49 – 50) .

(180) هو عام الرمادة ، وانما سمي عام الرمادة لان الارض كلها صارت سوداء فشبهت بالرمادة ، وكانت تسعة أشهر .

(181) الجزور : ما يصلح أن يذبح من الابل .

(182) بخ : كلمة تقال عند الرضا والاعجاب بالشيء أو المدح أو الفخر : تقول : بخ .. بخخ بالتسكين أو التنوين .

كراديسها[١٨٣] . أرفع هذه الجفنة ! هات غير هذا الطعام » ، فأتى بخبز وزيت فجعل يكسر بيده ويثرد ذلك الخبز » ، ثم أمر بحمل تلك الجفنة الى أهل بيت من بيوت المسلمين[١٨٤] .

ونظر عمر عام الرمادة الى بطيخة في يد بعض ولده ، فقال : بخ .. بخ .. يا ابن أمير المؤمنين . تأكل الفاكهة وأمة محمد هزلى ؟! » ، فخرج الصبي هارباً وبكى ، فقالوا : اشتراها بكف من نواة ...

وقال عياض بن خليفه : « رأيت عمر عام الرمادة وهو أسود اللون ، ولقد كان أبيض ـ كان رجلاً عربياً يأكل السمن واللبن ، فلما أمحل الناس حرمهما ، فأكل الزيت حتى غير لونه وجاع فأكثر .

وقال زيد بن أسلم عن أبيه : « كنا نقول : لو لم يرفع الله عام الرمادة لظننا أن عمر يموت هماً بأمر المسلمين » .

وقال عمر حين نزل به مغيث : « الحمد لله . فوالله لو أن الله ما يفرجها ما تركت بأهل بيت من المسلمين لهم سعة الا أدخلت معهم أعدادهم من الفقراء فلم يكن اثنان يهلكان من الطعام على ما يُقيم واحداً[١٨٥] .

وقدم الأحنف بن قيس التميمي في وفد من العراق في يوم صائف شديد الحر ، وعمر محتجز بعباءة يهنأ بعيراً من ابل الصدقة ، فقال : « يا أحنف ! ضع ثيابك وهلمّ فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير ، فانه لمن ابل الصدقة ، وفيه حق لليتيم والمسكين والأرملة » ، فقال رجل من القوم : « يغفر الله لك يا أمير المؤمنين فهلا تأمر عبداً من عبيد الصدقة ، يكفيك هذا » ، فقال عمر : « وأي عبد هو أعبد مني ومن الأحنف . انه من ولي أمر المسلمين فهو عبد المسلمين ، يجب عليه لهم مثل ما يجب على العبد لسيده من النصيحة وأداء الأمانة[١٨٦] .

---

(١٨٣) الكراديس : جمع كردوس ، وهو كل عظم تام ضخم .
(١٨٤) تاريخ عمر (٥٠) .
(١٨٥) تاريخ عمر (٥١) .
(١٨٦) تاريخ عمر (٥٢) .

وبينما كان عمر يعسّ ليلاً ، اذ مرّ بامرأة جالسة على سرير وهي تقول :

تطاول هذا الليل واسودّ جانبه وأرقني إذ لا خليل ألاعبه
فوالله لو لا الله اني اراقبه لحرّك من هذا السرير جوانبه

فقال عمر : « أوّاه ! » ، ثم خرج فضرب الباب على حفصة أم المؤمنين ، فقال : « أي بنية ! كم تحتاج المرأة الى زوجها » ، قالت : « في ستة أشهر » ، فكان لا يغزي جيشاً له أكثر من ستة أشهر[187] .

وذات ليلة كان يعسّ ، فاذا هو ببيت مبني من شعر لم يكن بالأمس ، فدنا منه فسمع أنين امرأة ورآى رجلاً قاعداً ، فدنا منه فسلمّ عليه ثم قال : « من الرجل ؟ » ، فقال : « رجل من أهل البادية أتيت أمير المؤمنين أصيب من فضله » ، فقال : « فما هذا الصوت الذي أسمع في البيت ؟ » ، فقال : « انطلق رحمك الله لحاجتك » ، فقال : « على ذلك ما هو ؟ » ، فقال: « امرأة تمخض » فقال : « هل عندها أحد ؟ » ، فقال : « لا » . وانطلق عمر حتى أتى منزله ، فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي بن ابي طالب : « هل لك في أجر ساقه الله اليك ؟ » ، قالت : « وما هو ؟ » ، فقال : « امرأة غريبة وليس عندها أحد » ، فقالت : « نعم إن شئت » ، قال : « فخذي ما يصلح المرأة لولادتها من الخرق والدهن وجيئيني ببرمة شحم وحبوب » ، فجاء بكل ذلك ، فقال : « انطلقي ! » ، وحمل البرمة ومشت خلفه حتى انتهى الى الباب ،فقال لها : « أدخلي الى المرأة » ، وجاء حتى قعد الى الرجل فقال له : « أوقد لي ناراً » ، ففعل وأوقد تحت البرمة ناراً حتى أنضجها . وولدت المرأة فقالت : « يا أمير المؤمنين ! بشّر صاحبك بغلام » . فلما سمع الرجل بأمير المؤمنين هابه فجعل يتنحّى عنه ، فقال : « مكانك كما أنت » ، فحمل عمر البرمة ووضعها

---

(187) تاريخ عمر (60) وفي رواية أخرى انها قالت ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر .

على الباب ثم قال : « شبعيها » ففعلت ثم أخرجت البرمة فوضعتها على الباب ، فقام عمر فوضعها بين يدي الرجل ، فقال : « كل ويحك ، فانك قد سهرت من الليل » وقال له : « اذا كان غداً فأتنا نأمر لك بما يصلحك »[187] .

وعن سالم بن عبدالله ، أن عمر بن الخطاب كان يدخل يده في دبر البعير ويقول : « اني لخائف أن أسأل عما بك » . وعن المسيب بن دارم قال: « رأيت عمر يضرب جمّالاً وهو يقول : حمّلت جملك ما لا يطيق » . وقال : « رأيت عمر مرّ به سائل وعلى ظهره جراب مملوء طعاماً ، فأخذه فنثره للنواضح[188] ثم قال : « الآن فسل ما بدالك »[189] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « كنا عند عمر بن الخطاب ، اذ جاءه رجل من أهل مصر فقال : يا أمير المؤمنين ! هذا مقام العائذ بك . قال : وما لك ؟ قال : أجرى عمرو بن العاص الخيل بمصر ، فأقبلت فرس لي ، فلما تراآها الناس ، قام محمد بن عمرو فقال : فرسي ورب الكعبة . فلما دنا مني عرفته فقلت : فرسي ورب الكعبة ، فقام يضربني بالسوط ويقول : خذها ... خذها ... وأنا ابن الأكرمين » . فوالله ما زاد عمر على أن قال : اجلس ، ثم كتب الى عمرو : اذا جاءك كتابي هذا ، فاقبل وأقبل معك بابنك محمد . فدعا عمرو ابنه فقال : أحدثت حدثاً ؟! أجنيت جناية ؟! قال : لا . قال : فما بال عمر يكتب فيك ؟ ... فقدما على عمر ، فوالله اِنا لعند عمر بـ (مِنَى)[190] اذ نحن بعمرو وقد أقبل في إزار ورداء ، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه ، فاذا هو خلف أبيه ، فقال : أين المصري ؟ فقال : ها أنا ذا . قال : دونك الدرّة اضرب ابن

(187) تاريخ عمر (61 ـ 62) .
(188) نواضح : جمع ناضح ، وهي الدابة يستقى عليها .
(189) تاريخ عمر (72) .
(190) منى : بليدة على فرسخ من مكة تعتمر أيام الموسم وتخلو أيام السنة الا ممن يحفظها . انظر التفاصيل في معجم البلدان (8/158 ـ 159) .

الأكرمين ••• اضرب ابن الأكرمين ••• اضرب ابن الأكرمين ، فضربه حتى أثخنه ، ثم قال : أجلها على صلعة عمرو فوالله ما ضربك الا بفضل سلطانه ، فقال : يا أمير المؤمنين ! لقد ضربت من ضربني • فقال : أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه ! يا عمرو ! متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أحراراً أمهم ؟؟ ثم التفت الى المصري فقال : انصرف راشداً ، فان رابك ريب فاكتب اليّ »[191] •

وقال الأحنف بن قيس : « ••• فقلنا يا أمير المؤمنين انا قدمنا بفتح عظيم ••• ثم انصرف راجعاً ونحن معه ، فلقيه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ! انطلق معي فأعدني على فلان فانه ظلمني ، فرفع عمر الدرة فخفق بها رأسه وقال : تدعون عمر وهو معترض لكم ، حتى اذا شغل بأمر من أمور المسلمين اتيتموه : أعدني ••• أعدني ، فانصرف الرجل وهو يتذمّر ! فقال عمر : عليّ بالرجل ، فألقى اليه المخفقة ، فقال : امتثل ! قال : لا ، ولكن أدعها لله ولك • قال عمر : ليس كذلك • اما تدعها لله وارادة ما عنده ، أو تدعها لي فأعلم ذلك • قال : أدعها لله • قال : انصرف ••• ثم جاء يمشي حتى دخل منزله ونحن معه ، فافتتح الصلاة فصلى ركعتين ثم جلس فقال : يا ابن الخطاب ! كنت وضيعاً فرفعك الله ،وكنت ضالاً فهداك الله ، وكنت ذليلاً فأعزك الله ، ثم حملك على رقاب المسلمين ، فجاءك رجل يستعديك فضربته ! ما تقول لربك غداً اذا أتيته ؟؟ فجعل يعاتب نفسه معاتبة ظننت أنه من خير أهل الأرض »[192] •

وعن اياس بن سلمة عن أبيه قال : « مرّ عليّ عمر بن الخطاب وأنا في السوق ، وهو مار في حاجة له ومعه الدرّة ، فقال : « هكذا أمط عن الطريق يا سلمة ، ثم خفقني بها خفقة فما أصاب الا طرف ثوبي ••• فأمطت عن الطريق ، فسكت عني حتى كان العام المقبل ، فلقيني في السوق

---

(١٩١) تاريخ عمر (٧٣) •
(١٩٢) تاريخ عمر (٨٣) •

فقال : يا سلمة ! أردت الحج العام ؟ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين . فأخذ بيدي فما فرقت يده يدي حتى دخل بي بيته ، فاخرج كيساً فيه ستمائة درهم فقال : يا سلمة ! استعن بهذه واعلم أنها من الخفقة التي خفقتك عام أول . فقلت : يا أمير المؤمنين ! ما ذكرتها حتى ذكرتنيها ! قال : والله ما نسيتها بعد »(١٩٣) .

وقال عمر : « لئن عشت ان شاء الله ، لأسيرنّ في الرعية حولا واني أعلم أن للناس حوائج تقطع عني آمالهم فلا يصلون اليّ ، وأما عمالهم فلا يرفعونها اليّ ، فأسير الى الشام فأقيم بها شهرين ، ثم أسير الى مصر فأقيم بها شهرين ، ثم أسير الى البحرين فأقيم بها شهرين ، ثم أسير الى الكوفة فأقيم بها شهرين ، ثم أسيرَ الى البصرة فأقيم بها شهرين »(١٩٤) .

وقال عمر : « ان الناس لم يزالوا مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم وهُداتهم » . وقال : « الرعية مؤدية الى الأمام ما أدىّ الأمام الى الله ، فأذا رتع الأمام رتعوا »(١٩٥) .

ورأى الهرمزان عمر مضطجعاً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « هذا والله الملك الهنيء »(١٩٦) .

وقال عمر : « انما مثل العرب مثل جمل أنف اتبعّ قائده ، فلينظر قائده حيث يقوده . فأما أنا فوربّ الكعبة لأحملنّهم على الطريق » . وقال نافع العبسي : « دخلت حَيْرَ(١٩٧) الصدقة مع عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب ، فجلس عثمان في الظل يكتب وقام على رأسه عليّ يملي ما يقول عمر ، وعمر في الشمس قائم في يوم حار شديد الحر ، عليه بردان أسودان متزراً بواحد وقد لفّ على رأسه آخر يعدّ ابل الصدقة

---

(١٩٣) تاريخ عمر (٨٣ ـ ٨٤) .
(١٩٤) تاريخ عمر (٩٠) وانظر ابن الاثير (٢/٢١٣ ـ ٢١٤) .
(١٩٥) طبقات ابن سعد (٣/٢٩٢) .
(١٩٦) طبقات ابن سعد (٣/٢٩٣) وانظر رواية أخرى في ابن الاثير (٢/٢١٢) .
(١٩٧) حير : شبه الحظيرة أو الحمى .

يكتب ألوانها وأسنانها • فقال علي لعثمان : في كتاب الله : (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين) ، ثم أشار عليٌّ بيده الى عمر فقال : هذا القوي الأمين » • وقال عمر : « اذا كنت في منزلة تسعني وتعجز عن الناس ، فوالله ما تلك بمنزله حتى أكون أسوة للناس »(١٩٨) •

وخطب عمر يوماً فقال : « والذي بعث محمداً بالحق ، لو أن جملاً هلك ضياعاً بشط الفرات ، خشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب » •

وكان رجل بينه وبين عمر قرابة ، فسأله فزبره(١٩٩) وأخرجه ، فقيل لعمر : يا أمير المؤمنين ! فلان سألك فزبرته وأخرجته » ، فقال : « انه سألني من مال الله ، فما معذرتي ان لقيته ملكاً خائناً ؟ فلو لا سألني من مالي ! »(٢٠٠) •

وخطب عمر فقال : « يا أيها الناس ! اني والله ما أرسل اليكم عمالاً ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكني أرسلهم ليعلموكم دينكم وسنتكم ، فمن فُعل به شيء سوى ذلك ، فليرفعه اليّ ، فوالذي نفس عَمر بيده ، لأقصنّه منه » فوثب عمرو بن العاص فقال : « يا أمير المؤمنين ! أرأيتك ان كان رجل من أمراء المسلمين على رعيّة ، فأدّب بعض رعيته ، انك لتقتصّه منه ؟؟ » ، فقال : « إي والذي نفس عمر بيده ، اذاً لأقصنّه منه ، وكيف لا أقصّه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصّ من نفسه • ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تجمروهم فتفتنوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم »(٢٠١) •

وقال الشعبي : « كان عمر يطوف في الاسواق ويقرأ القرآن ، ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصُوم »(٢٠٢) •

---

(١٩٨) الطبري (٣/٢٧١) وابن الاثير (٣/٢١) •
(١٩٩) زبره بالحجارة زبراً : رماه بها •
(٢٠٠) الطبري (٣/٢٧٣) •
(٢٠١) الطبري (٣/٢٧٣ ــ ٢٧٤) •
(٢٠٢) ابن الاثير (٣/٢٣) •

لقد كان عمر رجل دولة مثالياً : يعرف تفاصيل مسؤوليته ودقائقها ، ويتحمل هذه المسؤولية كاملة ولا يتهرّب منها ، ويحاسب نفسه وعماله محاسبة عسيرة قبل أن يحاسبه ويحاسبهم الناس ، ويسهر على مصالح المسلمين ناسياً مصلحته الشخصية ومصالح أهله وذويه ، عن سالم بن عبدالله عن أبيه قال : « ان عمر اذا أراد ان ينهى الناس عن شيء تقدّم الى أهله فقال : لا أعلمنّ أحداً وقع في شيء مما نهيت عنه الا أضعفت له العقوبة »[٢٠٣] . وقال عمر : « أحبّ الناس اليّ من رفع اليّ عيوبي »[٢٠٤] . وعن سهل بن حُنَيْف عن أبيه قال : « مكث عمر زماناً لا يأكل من المال شيئاً حتى دخلت عليه في ذلك خَصَاصة ، فأرسل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشارهم وقال : قد شغلت نفسي في هذا الأمر ، مما يصلُح لي منه ؟ فقال عثمان : كُلْ وأطْعِم . وقال ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل ، فقال لعلي : ما تقول أنت ؟ قال : غداءً وعشاءً ؟ فأخذ عمر بذلك »[٢٠٥] .

وقال أنس بن مالك : « رأيت عمر بن الخطاب وهو يومئذ أمير المؤمنين ، وقد رقَعَ بين كتفيه برقاع ثلاث لَبَّدَ بعضها فوق بعض » ، وقال: « رأيت عمر بن الخطاب يرمي جمرة العقبة وعليه ازار مرقوع بفرو ، وهو يومئذ وال »[٢٠٦] ، وكان عمر قد قدّم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أول صدقة تُصدّق بها في الاسلام[٢٠٧] ، وحين حضرته الوفاة أوصى بالربع من ماله صدقة[٢٠٨] ، كما اوصى ابنه عبدالله بن عمر أن يقي ما في ذمته من ديون لبيت المال[٢٠٩] .

---

(٢٠٣) طبقات ابن سعد (٣/٢٨٩) .
(٢٠٤) طبقات ابن سعد (٣/٢٩٣) .
(٢٠٥) طبقات ابن سعد (٣/٣٠٧) .
(٢٠٦) طبقات ابن سعد (٣/٣٢٧) .
(٢٠٧) طبقات ابن سعد (٣/٣٥٨) .
(٢٠٨) طبقات ابن سعد (٣/٣٥٧) .
(٢٠٩) طبقات ابن سعد (٣/٣٥٨) .

انني لا أعرف أحداً حمل مسؤوليته في تاريخ الانسانية كلها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد أبي بكر الصديق ، مثل عمر بن الخطاب •

لقد أتعب عمر نفسه ، وأتعب غيره ••

٨ ـ معرفة مبادىء الحرب :

كان عمر أحد خريجي مدرسة الرسول القائد صلى الله عليه وسلم في ممارسة فنون الحرب ومعاناة أهوالها •

كان عمر قبل إسلامه كأي عربي ليس غريباً على ساحات الوغى وأخبار الحروب ، ولكن هذه المعلومات الابتدائية عن المعارك صقلها وهذّبها بالممارسة الفعلية وبالتوجيه العملي والنظري لسيد القادة وقائد السادة عليه الصلاة والسلام •

ولقد كان لعمر طبيعة موهوبة للجندي الممتاز كما أسلفنا ، فاجتمع لديه بعد تجاربه الطويلة للحرب بعد إسلامه ، الطبع الموهوب والعلم المكتسب ، وبذلك أصبح قائداً مثالياً له مزايا القائد المثالي علماً وعملاً •

شهد عمر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدراً وأُحداً والخندق وبيعة الرضوان وخيبر والفتح وحُنَيْناً وغيرها من المشاهد ، وكان أشد الناس على الكفّار ، وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرسله الى مكة يوم الحديبية : فقال : « يا رسول الله ! قد علمت قريش شدّة عداوتي لها ، وان ظفروا بي قتلوني » ، فتركه وأرسل عثمان بن عفان رضى الله عنه[٢١٠] •

وقد ولاه النبي صلى الله عليه وسلم قيادة سرية من المسلمين ، فقد بعثه في شعبان سنة سبع من مُهَاجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم في

(٢١٠) أسد الغابة (٤/٥٩) •

ثلاثين رجلاً الى (عَجُز)[٢١١] هوازن بـ (تُرَبـة)[٢١٢] ، فخـرج وخرج معه دليل من بني هلال ، فـكان يسير الليل ويـكمن النهار ، فأتى الخبر هوازن فهربوا • وجاء عمر محالّهم فـلم يلـق منهم أحداً ، فانصرف راجعاً الى المدينة[٢١٣] ، فلما كان بمحل بينه وبين المدينة ستة أميال قال لـه الدليل : « هل لك في جمع آخر من خثعم ؟ » ، فقال عمر : « لـم يأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ، انما أمرني بقتال هوازن »[٢١٤] .

هذه الغزوة تدلّنا على ثلاث نتائج عسكرية : الأولى أن عمر أصبح مؤهلاً للقيادة اذ لو لا ذلك لما ولاّه النبي الـكريم صلى الله عليه وسلم قيادة سرية من سرايا المسلمين تتّجه الى منطقة بالغة الخطورة والى قبيلة من أقوى القبائل العربية وأشدهـا شكيمة •

والثانية ، أن عمر الذى كان يكمن نهاراً ويسير ليلاً ، مشبع بمبدأ المباغتة ، أهم مبادىء الحرب على الأطلاق ، مما جعله يباغت عدوّه ويجبره على الفرار ، وبذلك انتصر بقواته القليلة على قوات المشركين الكثيرة •

والثالثة ، أن عمر ينفّذ أوامر قائده الأعلى نصـاً وروحـاً ولا يحيد عنها ، وهذا هو روح الضبط العسكري روح الجندية في كل زمان ومكان •

وبعد التحاق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى وتولى ابي بـكر الصديق كان عمر أحد جنود بعث أسامة بن زيد[٢١٥] ، وحين أراد أبـو بكر الصديق انفاذ هذا البعث الى واجبه حسب اوامر النبى صلى الله عليه

(٢١١) عجز : محل بينه وبين مكة أربع ليال بطريق صنعاء يقال له : تربه بضم العين • انظر السيرة الحلبية (٣/٢١٠) • وفي معجـم البلـدان (٢/٣٧٤) : أن تربة على مسافة يومين من مكة •

(٢١٢) تربة : وادٍ بالقرب من مكة على مسافة يومين منها • انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٣٧٤) وفي طبقات ابن سعد (٢/١١٧) : انها بناحية العبلاء على أربع ليال من مكة طريق صنعاء ونجران •

(٢١٣) طبقات ابن سعد (٢/١١٧) والسيرة الحلبية (٣/٢١٠) •

(٢١٤) السيرة الحلبية (٣/٢١٠) •

(٢١٥) ابن الاثير (٢/١٢٧) والطبري (٢/٤٦٢) •

وسلم شيّع هذا الجيش فقال لقائده أســامة : « ان رأيت أن تعينني بعمر فافعل»، فأذن له[٢١٦]،فكان عمر أبرز عضو من أعضاء المجلس الأعلى للقيادة العامة في عهد أبي بكر الصديق .

كان أبو بكر يستشير عمر في تعيين القادة الذين يوليهم قيادة جيوش المسلمين،فقد عقد أبو بكر أول لواء الى أرض الشام خالد بن سعيد بن العاص، ولـكنه عزلـه قبل ان يسيّره ، وكان سبب عزله أنه تربّص ببيعة أبـي بكر شهرين ، ولقي علي بن ابي طالب وعثمان بن عفان ، فقال : « يا أبا الحسن ! يا بني عبد مناف ! أغُلبتم عليها ؟ » ، فقال علي : « أمغالبة ترى أم خلافة ؟! » ... أما أبو بـكر فـلم يحقدها عليه ، وأمـا عمر فاضطغنها عليه ، فـلما ولاّه أبو بـكر لم يزل به عمر حتى عزله عن الأمـارة وجعله ردئاً للمسلمين بـ (تَيْماء)[٢١٧] وأمـره لا يفارقهـا الا بأمـره وان يدعو من حولـه من العرب الا من ارتدّ ، وأن لا يقاتل الا من قاتله[٢١٨] .

وكان يستشيره في تسيير الجيوش الى الجهاد ، فقد دعـا أبو بـكر أهـل الرأي وفي مقدمتهم عمر ، وذكر لهـم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عوّل أن يصرف همته الى الشام ، فقبضه الله اليه واختار له ما لديه ، وطلب رأيهم في ذلك ، فكان عمر أسبقهم الى اجابته فقال : « ... سرّب الخيل في أثـر الخيل وابعث الرجال تتبعها الرجال والجنود تتبعها الجنود ... » ، فلما لـم يتحمّس الحاضرون لهذه الدعوة لأن هيبة الروم أخذتهم صاح فيهمعمر : «ما لكم يامعشر المسلمين لاتجيبون خليفةرسول الله اذا دعاكم لمـا يحييكم ؟! » فهزّت هذه الصيحة الحاضرين ، فرضوا بالجهاد[٢١٩] ،

---

(٢١٦) الطبري (٢/٤٦٢) وابن الاثير (٢/١٢٧) .

(٢١٧) تيماء : بليد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٤٤٢) وتهذيب الاسماء واللغات القسم الثاني (١/٤٤) .

(٢١٨) ابن الاثير (٢/١٥٤) والطبـري (٢/٥٨٦) . وفي البلاذري (١١٦) : ان عمر كلم أبا بكر في عزل خالد وقال : انه رجل فخور يحمل أمره على المغالبة والتعصب ، فعزله .

(٢١٩) الفاروق عمر (١/٨٥) .

فكتب أبو بكر الى اليمن وأهل مكة[٢٢٠] يستنفرهم للجهاد في أرض الشام.

وكان يستشيره عند اعداد الخطط السوقية (الاستراتيجية) لجيوشه ، فكان عمر يعاونه في ذلك أعظم المعاونة .

ولما حضرت أبا بكر الوفاة ، دعا عبدالرحمن بن عوف فقال : « أخبرني عن عمر » فقال : « انه أفضل من رأيك ، ولكن فيه غلظه » ، فقال أبو بكر : « ذلك لأنه يراني رقيقاً ، ولو أفضى الأمر اليه لترك كثيراً مما هو عليه، وقد رمقته فكنت اذا غضبت على رجل أراني الرضا عنه ،واذا لنت لـه أراني الشدّة عليه » . ودعا عثمان بن عفان وقال له : « أخبرني عن عمر » ، فقال « سريرته خير من علانيته ، وليس فينا مثله » . ودخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر فقال : « استخلفت على الناس عمر ، وقد رأيت ما يلقى الناس منه وانت معه ،فكيف به اذا خلا بهم ، وأنت لاقٍ ربك فسائلك عن رعيتك » ، فقال أبو بكر : « أجلسوني ثم قال : « أبالله تخوّفني ؟؟ اذا لقيت ربي ، فسألني ، قلت : استخلفت على أهلك خير أهلك »[٢٢١] .

وأصبح عمر بعد وفاة أبي بكر رضى الله عنه القائد الأعلى لقوّات المسلمين المسلّحة ، فكان أول ما عمل ، أن ندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيباني الى أهل فارس ، وذلك قبل صلاة الفجر من الليلة التي مات بها الصديق أبو بكر ، ثم أصبح فبايعه الناس ، فعاد فندب الناس لقتال الفرس . وتتابع الناس على البيعة ثلاثة أيام ، كل يوم يندبهم فلا ينتدب أحد الى فارس ، وكان وجه فارس من أكره الوجوه اليهم وأثقلها عليهم ، لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزّهم وقهرهم الأمم ؛ فلما كان اليوم الرابع عاد فندب الناس الى العراق ، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود ، فأمرّه على الجيش لانه كان أول الناس انتدابا[٢٢٢] .

---

(٢٢٠) فتوح الشام للواقدي (١/٢) .
(٢٢١) ابن الاثير (١٦٣/٢) وانظر ابن خلدون (٨٥/٢) .
(٢٢٢) الطبري (٦٣١/٢) وابن الاثير (١٦٦/٢) وتاريخ عمر (٦٧) .

وأمر المثنى بن حارثـة الشيباني بالتقدم الى أن يقدم عليه أصحابه ، وأمر باستنفار من حسن اسلامه من أهل الردة[٢٢٣] ، فكان بعث ابي عبيد أول جيش سيّره عمر[٢٢٤] .

لقد طبق عمر بذلك مبدأ (التحشد) تطبيقاً رائعاً .

وكان عمر قد قال لأبي عبيد : « انك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبرية ... تقدم على قوم تجرؤا على الشر فعلموه ، وتناسوا الخير فجهلوه ؛ فانظر كيف تكون ، واحرز لسانك ، ولا تفشين سرّك ، فان صاحب السرّ ما يضبطه متحصن ولا يُؤتي من وجه يكرهه ، واذا ضيعه كان بمضيعة »[٢٢٥] .

وهذا يدل على أن عمر كان يعرف تفاصيل دقيقه عن الحالة الاجتماعية لعدوه ، لذلك أوصى قائده بالحذر واليقظة ، وأرشده الى مفتاح كل ذلك وهو كتمان السر حتى لا يعرف عدوه نواياه قبل الأوان ، فيباغته عدوّه قبل أن يباغت هو عدوه . وقبل معركة (البُوَيب)[٢٢٦] ندب عمر الناس الى المثنى بن حارثة الشيباني ، وكان فيمن ندب قبيلة (بَجيْلة)[٢٢٧] ، فجعل الناس يتحامون العراق ويتثاقلون عنه ، حتى همّ أن يغزو بنفسه . وقدم عليه خلق من الأزد يريدون غزو الشام فدعاهم الى العراق[٢٢٨] . وكتب الى أهل الردة فلم يأته أحدالا رمى به المثنى[٢٢٩] .

لقد طبّق عمر في ذلك مبدأين من مبادىء الحرب المهمة : مبدأ التحشد ، وذلك بحشد أكبر عدد من القوات في ربوع العراق ، ومبدأ

---

٢٢٣ ابن الاثير (٢/١٦٦) .
(٢٢٤) ابن الاثير (٢/١٦٦) .
(٢٢٥) ابن الاثير (٢/١٦٨) .
(٢٢٦) نهر كان بالعراق موضع الكوفة ، فمه عند دار الرزق ، يأخذ من الفرات . انظر معجم البلدان (٢/٣١٠) .
(٢٢٧) انظر جمهرة أنساب العرب (٣٨٧ - ٣٩٠) .
(٢٢٨) البلاذري (٢٥٣) وانظر الطبري (٢/٦٤٦) .
(٢٢٩) ابن الاثير (٢/١٦٩) .

(توخي الهدف) ، وذلك بالأصرار على فتح العراق مهما يكلفه الأمـر ومهمـا تـكن الظروف والأحوال •

وقبل معركة (القادسية) الحاسمة ، حين علم عمر باجتماع الفرس على « يزدجرد » بعد توليه عرش أجداده الأكاسرة وتجهزهم مما أثـار قرى العراق ومدنـه بالمسلمين ، قال : « والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب » ، ثم كتب الى عماله : « لا تدعوا أحداً له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي الا انتخبتموه ثم وجّهتموه اليّ ••• والعجل العجل[٢٣٠] ••• » ، فلم يدع رئيساً ولا ذا رأي وذا شرف وبسطة ولا خطيباً ولا شاعراً الا رماهم به ، فرماهم بوجوه الناس وغررهم ؛ وكتب الى المثنى ومن معه يأمرهم بالخروج من بين العجم ، والتفرّق في المياه التي تلي العجم ، وأن لا يدعوا في ربيعة ومضر وحلفائهم أحداً من أهل النجدات الا أحضروه اما طوعاً أو كرهاً[٢٣١] •

وأراد عمر أن يغزو بنفسه وعسكر لذلك خـارج المدينة المنورة : فاستخلف علي بن ابي طالب على المدينة ، وجعـل طلحـة على المقـدمـة ، والزبير وعبدالرحمن بن عوف على المجنبتين[٢٣٢] ، ولـكن وجوه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أشاروا عليه أن يبعث رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويرميه بالجنود ، « فان كان الذي يشتهي فهو الفتح ، والا أعاد رجلاً وبعث آخر ، ففي ذلك غيظ العدو » فجمع عمر الناس وقال لهم : « اني كنت عزمت على المسير ، حتى صرفني ذوو الرأي منـكم ، وقـد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً ، فأشيروا عليّ برجل »[٢٣٣] •

وأمّر عمر سعد بن أبي وقاص على حرب العراق بعد مشاورات طويلة أجراها عمر مع خاصة المسلمين وعامتهم[٢٣٤] ، فسرّحه فيمن اجتمع اليه

---

(٢٣٠) الطبري (٣/٦٦٠) وابن الاثير (٢/١٧٢) •
(٢٣١) ابن الاثير (٢/١٧٢) •
(٢٣٢) ابن الاثير (٢/١٧٣) •
(٢٣٣) ابن الاثير (٢/١٧٢) وابن خلدون (٢/٩١) وانظر البلاذري (٢٥٥) •
(٢٣٤) انظر : قادة فتح العراق والجزيرة (٢٣٢) •

من الرجال ، وأمدّه بعد خروج سعد بألفي يماني وألفي نجدي ، وأمر عمر بني أسد أن ينزلوا على حد أرضهم بين الحزن والبسيطة فنزلوا في ثلاثة آلاف ، ولم يدع عمر ذا رأي ولا شرف ولا خطيباً ولا شاعراً ولا وجيهاً من وجوه الناس الا سيّره الى سعد[٢٣٥] .

وكتب عمر الى سعد يأمره : أن يقاتل المسلمون الفرس على حدود أرضهم على أدنى حجر من أرض العرب ولا يقاتلوهم في عقر دارهم ، فان يظفر الله المسلمين فلهم ما وراءهم ، وان كانت الأخرى رجعوا الى فئة ، ثم يكونون أعلم بسبيلهم وأجرأ على أرضهم الى أن يردّ الله الكرّة عليهم » ، وكتب عمر أيضاً الى أبي عبيدة بن الجراح ليصرف أهل العراق ومن اختار أن يلحق بهم من أرض الشام الى العراق[٢٣٦] .

وكتب عمر الى سعد ومن معه من الجنود : « أما بعد . فاني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فأن تقوى الله أفضل العدّة على العدو وأقوى العدّة في الحرب[٢٣٧] . وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوّكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوّهم ، وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوّهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدّتنا كعدّتهم ؛ فأن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوّة ، والا نُنْصَر عليهم بفضلنا ، لم نغلبهم بقوّتنا . واعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا : ان عدوّنا شرٌّ منا يسلط علينا ، وان أسأنا فربّ قوم

---

(٢٣٥) ابن الاثير (٢/١٧٣ ــ ١٧٤) .

(٢٣٦) كان هؤلاء قد أرسلوا من العراق الى أرض الشام مع خالد ابن الوليد في أيام أبي بكر الصديق رضى الله عنه . انظر : قادة فتح العراق والجزيرة (١١٩ ــ ١٢٦) .

(٢٣٧) انظر الباب الاول من كتاب مختصر سياسة الحروب ، للهرثمي (١٥ ــ ١٦) وهو : في أن نظام الامر تقوى الله والعمل بطاعته .

سُلّط عليهم شر منهم ، كما سلّط على بني اسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفرة المجوس : (فجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولا)[٢٣٨] ، واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوّكم ، أسأل الله ذلك لنا ولكم •

« وترفق بالمسلمين في مسيرهم ، ولا تجشمهم مسيراً يتعبهم ، ولا تقصر بهم عن منزل يرفق بهم ، حتى يبلغوا عدوّهم والسفر لم ينقص قوّتهم ، فانهم سائرون الى عدو مقيم جام الأنفس والكراع ، وأقم بمن معك كل جمعة يوماً وليلة ، حتى تكون لهم راحة يجمّون فيها أنفسهم ويرمّون (أي يصلحون) أسلحتهم وأمتعتهم ، ونحّ منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة ، **فلا يدخلها من أصحابك الا من تثق بدينه** ، ولا ترزأ أحداً من أهلها شيئاً ، فإن لهم حرمة وذمة ابتليتم بالوفاء بها كما ابتلوا بالصبر عليها ، فما صبروا لكم ففوا لهم ، ولا تنتصروا على أهل الحرب بظلم أهل الصلح •

« واذا وطئت أدنى ارض العدو ، فاذكِ العيون بينك وبينهم (أي بثها) ولا يخف عليك أمرهم ، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن الى نصحه وصدقه ، فان الكذوب لا ينفعك خبره وان صدق في بعضه ، والغاش عين عليك وليس عيناً لك ، وليكن منك عند دنوّك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم ، فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم ، وتتبّع الطلائع عوراتهم ، وانتق للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك ، وتخيّر لهم سوابق الخيل ، فان لقوا عدواً كان أول ما تلقاهم القوة من رأيك ، واجعل أمر السرايا الى أهل الجهاد ، والصبر على الجلاد ، ولا تخصّ بها أحداً بهوى ، **فيضيع من رأيك وأمرك أكثر** ممـ حابيت به أهل خاصتك ، ولا تبعث طليعة ولا سرية في وجه تتخوّف فيه ضيعة ونكاية ، فاذا عاينت العدو فاضمم اليك أقاصيك وطلائعك وسراياك ،

---

(٢٣٨) الآية الكريمة من سورة الاسراء (١٧ : ٥) •

واجمع اليك مكيدتك وقوتك ، ثم لا تعاجلهم المناجزة ما لم يستكرهك قتال ، حتى تبصر عورة عدوّك ومقاتله ، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها ، فتصنع بعدوك كصنيعته بك ، ثم أذك أحراسك على عسكرك ، وتحفّظ من البيات جهدك ، ولا تُؤتي بأسير ليس له عهد الا ضربت عنقه لترهب بذلك عدوّك وعدو الله ، والله وليّ أمرك ومن معك وولي النصر لكم على عدوّكم، والله المستعان »[239] .

انّ إجراءات عمر قبل معركة القادسية تمثل ذروة تطبيق مبدأ (التحشد) ، كما أن وصيته لسعد بالقتال على حدود بلاد العرب تطبيق لمبدأ (الأمن) ومبدأ (المرونة)[240] .

أما وصيته لسعد ولرجاله بتقوى الله وطاعته والابتعاد عن المعاصي ، فتمثل أسمى غاية لتطبيق مبدأ (ادامة المعنويات) .

أما وصاياه لسعد عن الحذر واليقظة ، والمسير ، والاستراحة الاسبوعية وادامة سلاح الجيش وخيوله ، والمحافظة على أهل الذمة ، واذكاء العيون واختيارهم ، واتخاذ التدابير التعبوية للأمن ، والحصول على المعلومات عن العدو وعن أرض المعركة ، والحذر من مباغتة العدو لجيشه ، والحزم ... الخ ، فتعتبر من ألمع ما كتب في هذا الموضوع ، كما انها دليل على معرفة عمر لتفاصيل ودقائق التعبئة الصغرى واهتمامه الشديد بتطبيق مبدأ (الأمور الأدارية) ومبدأ (الاقتصاد بالمجهود)[241] .

---

(٢٣٩) نهاية الارب نقلا عن كتاب عمر بن الخطاب لمحمد صبيح (١٤٨ ـ ١٥٠) .

(٢٤٠) مبدأ المرونة : ان المبدأ الذي كان يسمى قبل الحرب العالمية الثانية بمبدأ (قابلية الحركة) أصبح الآن يسمى مبدأ (المرونة) ، ومعناها : قوة العمل السريع وقوة الحركة . انظر الرسول القائد (٣١٩) .

(٢٤١) هو استخدام أصغر القوات للامن أو لتحويل انتباه العدو الى محل آخر أو صد قوة معادية أكبر منها ، مع بلوغ الغاية المتوخاة . انظر : الرسول القائد (٣١٧) .

ووجّه عتبة بن غزوان[٢٤٢] الى البصرة وقال له : « يا عتبة ! اني قد استعملتك على أرض الهند ، وهي حومة من أحومة العـدو ، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها ويعينك عليها ؛ وقد كتبت الى الحضرمي يمدّك بعرفجة ابن هرثمة ، وهو ذو مجاهدة ومكايدة للعدو ، فأذا قدم عليك فاستشره ؛ وادع الى الله ، فمن أجابك فاقبل منه ، ومن أبى فالجزية ، والا فالسيف ؛ واتّق الله فيما وُليّت ، واياك أن تنازعك نفسك الى كبر مما يفسد عليك إخوتك ؛ وقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعـززت به بعد الذلة ، وقويت بعد الضعف ، حتى صرت أميراً مسلّطاً مطاعاً : تقول فيسمع منك ، وتأمر فيطاع أمرك ؛ فيالها نعمة ان لم ترفعك فوق قدرك ، وتبطرك على من دونك ؛ واحتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية ، ولهي أُخوفهما عندي عليك أن تستدرجك وتخدعك فتسقط سقطة تصير بها الى جهنّم ... أعيذك بالله ونفسي من ذلك . ان الناس أسرعوا الى الله حتى رفعت لهـم الدنيا فأرادوها ، فأرد الله ولا ترد الدنيا ، واتّق مصارع الظالمين »[٢٤٣] .

هذه الوصية نموذج رفيع من الوصايا : اعطـاء فـكرة عن المنطقة ، والتأكيد على الخطر المحـدق ، وتجميع للقوة درءاً لذلك الخطر ، وحثّ على الاستشارة ، وتوضيح لتعاليم الفتح في الاسلام ، وأمر بالتقوى والعدل ، ونهي عن الـكبر والبطر ...

وفي هذه الوصيـة ، دليل على معرفة عمر لرجاله فرداً فرداً ، من هو الرجل المناسب للعمل المناسب ، وتلك مزية لعمر جعلته لا يخطيء في اختيار الرجال لمعاونته في تحمل أعباء الحـكم في الحرب وفي السلم ، هذه المزيـة التي لم يكتب التاريخ لرجل دولـة أن ينجح بدونها .

وسمع عمر بأعمال خالد بن الوليد في أرض الشام بعد عزله ، وكان حينذاك يعمل قائداً مرؤوساً لأبي عبيدة بن الجراح ، فهتف من أعماق قلبه : « أمّر خالد نفسه ! يرحم الله أبا بـكر ، هو كان أعلم بالرجال مني ! » ،

---

(٢٤٢) انظر ترجمته في : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٧٧ ـ ٣٨٦).
(٢٤٣) الطبري (٣/٩٢) وابن الاثير (٢/١٨٨) .

وقال عن خالد والمثنى : « اني لم أعزلهما عن ريبة ، ولكنّ الناس عظموهما ، فخشيت أن يوكلوا اليهما »[٢٤٤] • انه أراد أن يبذل المقاتلون أقصى جهودهم لنيل النصر وأن يحسبوا في الظروف الحربية أسوأ الاحتمالات ،وأن يُعدّوا لكل احتمال عدّته ، فلا يتواكلوا معتمدين على كفاءة قادتهم أو على عددهم وعُددهم مما يؤدي الى نكبتهم كما حدث ذلك يوم (حُنَيْن) اذ أعجبتهم كثرتهم فلم تغن عنهم شيئاً • قال عمر : لأعزلنّ خالد بن الوليد والمثنى مثنى بني شيبان ، حتى يعلما أن الله انما كان ينصر عباده ، وليس اياهما كان ينصر[٢٤٤آ] • فلم يكن يرضى عمر عن غرور القائد ولا عن غرور الجنود •

وبعد فتح (انطاكية) من أرض الشام ، كتب عمر الى ابي عبيدة : « رتّب بأنطاكية جماعة من المسلمين ، واجعل بها مرابطة ، ولا تحبس عنهم العطاء »[٢٤٥] ، وهذا تطبيق عملي لمبدئي (الأمن) و (الأمور الأدارية) •

ولما فرغ سعد بن ابي وقاص من أمر القادسية ، أقام بها بعد الفتح شهرين وكاتب عمر فيما يفعل ، فكتب اليه عمر يأمره بالمسير الى (المدائن)[٢٤٦] ، وأن يخلّف النساء والعيال بـ (العتيق) ، وان يجعل معهم جنداً كثيفاً[٢٤٧] ، وأن يشركهم في كل مغنم ما داموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم • وفي هذا الامر المختصر ، طبّق عمر مبدأ (اختيار المقصد

---

(٢٤٤) ابن الاثير (٢/١٩١) •

(٢٤٤) طبقات ابن سعد (٣/٢٨٤) •

(٢٤٥) ابن الاثير (٢/١٩٢) •

(٢٤٦) المدائن : هي طيسفون على دجلة بينها وبين بغداد ستة فراسخ : انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٤١٣ ـ ٤١٥) وهي مدينة سلمان باك في الوقت الحاضر ناحية من نواحي بغداد •

(٢٤٧) ابن الاثير (٢/١٩٦) •

وادامته) ، ومبدأ (التعرّض)[٢٤٨] ومبدأ (تحشيد القوة) ومبدأ (الاقتصاد بالمجهود) ومبدأ (الأمن) ، ومبدأ (ادامة المعنويات) ومبـــدأ (الامور الأداريـة) . ولا أعلم رسالة قليلة الـكلمات كثيرة الفائـدة مثل هـذه الرسالة الموجزة .

وبعـد فتح المدائن ، انسحب الفرس باتجاه (جَلُولآء)[٢٤٩] ، وعسكرت قواتهم الضاربة هناك ، فـكتب الى عمر بذلك ، فـكتب اليه عمر : « سرّح هاشم بن عتبة الى (جلولآء) في اثنى عشر ألفاً ، واجعل على مقدمته القعقاع بن عمرو وعلى ميمنته مسعر بن مالك ، وعلى ميسرته عمرو بن مالك ، واجعل على ساقته عمرو بن مرّة الجرمي »[٢٥٠] . وهذا يدل على معرفة عمر بالرجال وبالأساليب التعبوية التي تحقق لجيشه مبدأ (الأمن) .

كما كتب الى سعد عندما علم بتجمع العدو في (تكريت) يقـول : « سرّح اليه عبدالله بن المعتم ، واستعمل على مقدمته ربعي بن الأفـكـل وعلى الخيل عرفجة بن هرثمة »[٢٥١] ، وهذا يدل على معرفة عمر بالرجال أيضا وبالاساليب التعبوية السائـدة في الجيوش حينذاك .

وعبر العلاء بن الحضرمي من البحرين الى فارس بغير اذن عمر ، فحالت الفرس بين المسلمين وبين سفنهم فـلم يجدوا الى الرجوع سبيلا . وأخذت الفرس طرقهم ، فعسكروا وامتنعوا . ولمـا بلغ عمر صنيع العلاء ، أرسل الى عتبة بن غزوان يأمره بأنفاذ جيش كثيف الى المسلمين بفـارس قبـل أن يهلـكوا ، فأرسل عتبة جشاً في اثنى عشر ألف مقاتل ، فهزموا الفـرس

---

(٢٤٨) التعرض : هو الهجوم على العدو لسحقه . انظر الرسول القائد (٣١٣) .

(٢٤٩) جلولاء : موضع على نهر ديالى على بعد سبعة فراسخ من خانقين ، تقع بين خانقين وبعقوبا . انظر التفاصيل في معجم البـــلدان (١٢٩/٣) .

(٢٥٠) الطبري (١٣٢/٣) وابن الاثير (٢٠١/٢) والبلاذري (٢٦٤) .

(٢٥١) ابن الاثير (٢٠٢/٢) .

وانقذوا جيش العلاء وعـادوا الى البصرة[٢٥٢] ؛ وعزل عمـر العـلاء بن الحضرمي عن البحرين لمخالفته الاوامر[٢٥٣] . لقد طبق مبدأ (الأمن) في منعه العلاء من العبور الى فارس بحراً وطبق مبدأ (التحشد) في ارسال المدد اليه لانقاذ جيشه من الورطة التي وقع فيها ، وكان عزل العلاء دليلا على تمسّك عمر بتنفيذ أوامره وعدم افساح المجال لمخالفتها وعدم السـكوت عن المخـالفين .

وفي (الأهواز) استطاع (يزدجرد) ان يحشد جيشاً ضخمـاً ، فجاءت الأخبار حرقوص بن زهير وصحبه ، فـكتبوا الى عمر بالخبر ، فـكتب عمر الى سعد أن : « ابعث الى الأهواز جنداً كثيفاً مـع النعمان بن مَقرِّن المزني وعجِّل فلينزلوا بازاء (الهرمزان) ويتحققوا أمـره » ، وكتب الى ابي موسى الأشعري أن : « ابعث الى (الأهواز) جنداً كثيفاً وأمرِّ عليهم سعد بن عدي أخا سهيل ، فابعث معه البراء بن مالك ومجزأة ابن ثور وعرفجة بن هرثمة وغيرهم ، وعلى أهل الـكوفة والبصرة جميعاً أبو سبرة بن ابي رهم »[٢٥٤] ... وهذا يدل على أن عمر كان يعرف رجاله ومزاياهم معرفة دقيقة ، وأنه طبق مبدأ (التحشد) تطبيقاً رائعاً .

لقد كان عمر جندياً ممتازاً ، وقائداً مجرباً ، يعرف تفاصيل النعبئة الصغرى ، ويتحلى بمزيه الضبط المتين ، ويعرف مزايا رجاله ويوليهـم المناصب استناداً لتلك المزايا فقط ، ويطبق جميع مبادىء الحرب المعروفة بشكل مثالي وبكل حرص في الحرب .

لقد كان قائـداً فذاً لا يتكرّر على تعاقب الأيام والعصور الا نادرا ... وقد لا يتكرّر أبدا .

---

(٢٥٢) الطبري (٣/١٧٨) وابن الاثير (٢/٢٠٨ ــ ٢٠٩) .

(٢٥٣) انظر تفاصيل ذلك في ترجمة العلاء بن الحضرمي في كتاب : قادة فتح ايران .

(٢٥٤) ابن الاثير (٢/٢١١) ، وانظـر كتاب الولاة وكتـاب القضاة (٨) حول تحشيد قوات المسلمين لفتح مصر .

٩ ـ اعداد الخطط السوقية[٢٥٥] :

الخطط التعبوية ، هي الخطط التي يُعدّها القادة المرؤوسون في منطقة الحركات[٢٥٦] والقادة العامون في (الجبهة)[٢٥٧] وفي (ساحات الحركات)[٢٥٨] لأدارة الحرب في معارك معيّنة ٠

وكمثال على ذلك ، كان في أيام عمر ساحات حركات عديدة : ساحة حركات العراق ، وساحة حركات أرض الشام ، وساحة حركات أرض فارس وساحة حركات مصر ••• الخ ٠

وكان في ساحة حركات العراق مثلاً عدّة جبهات : جبهة محور ديالى ، وجبهة محور دجلة حتى الموصل ، وجبهة حركات محور الفرات ، وجبهة حركات جنوبي العراق ••• الخ ٠

وكان في كل جبهة من الجبهات مناطق حركات ، فمثلاً ساحة حركات دجلة حتى الموصل شمالاً ، كان هناك منطقة حركات تكريت ومنطقة حركات الموصل ••• الخ ٠

كان القائد العام في العراق مثلاً ، سعد بن ابي وقاص مسؤولاً عن ساحة حركات العراق كله ، وكان في جبهة دجلة حتى الموصل قادة مرؤوسون : عبدالله بن المعتم مسؤول عن هذه الجبهة كلها ، وربعي بن الأفكل مسؤول عن منطقة حركات الموصل[٢٥٩] ، وهكذا كان العراق

---

(٢٥٥) هناك نوعان من الخطط (أ) الخطط التعبوية : هي خطط معركة معينة في ميدان قتال معين ، من ذلك يتضح أن الخطط التعبوية تعني نتائج معركة واحدة محلية ٠ (ب) الخطط السوقية (الاستراتيجية) : هي الخطط التي لها نتائج حاسمة على نتيجة الحرب كلها في كافة ميادين القتال ٠

(٢٥٦) منطقة الحركات : هي قسم من ساحة الحركات ٠

(٢٥٧) الجبهة : هي عدة مناطق حركات داخلة في حدود جغرافية معينة ٠

(٢٥٨) ساحة الحركات : هي الساحة التي يتمكن احد الخصمين من القتال فيها ٠٠

(٢٥٩) انظر كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة ٠

ساحة حركـات فيه عـدة جبهات في كل جبهة مناطق حركات عديدة ...

أما الخطط السوقية ، فهي الخطط التي يعدّها القائـد الأعلى لادارة الحرب في (ساحة الحرب)[٢٦٠] كلها ، ويكون لهذه الخطط السوقية تأثير على نتائج الحرب في مختلف ساحات الحركات والجبهات ومنـاطـق الحركات (انظر المخطط الايضاحي في الملحق (أ) عن ساحات الحـرب والقيادات ، وعن تفصيل القيادات ، وعن تفصيل ساحة الحرب) .

ان القائـد الأعلى ، عمر بن الخطـاب ، كان هو المسؤول الأول عن اعداد الخطط السوقية ، ويشمل ذلك ، اعداد هذه الخطط من الناحيـة العسكرية واصدار الوصايا أو الأوامر لتنفيذها ، وامداد جيوشه بالأمدادات من الرجال والمعدات لأدامة الحـرب ، وتزويد تلـك الجيوش بالأمـور الادارية ومراقبة وصول تلك المواد الادارية الى جيوشه ، والعمل على رفع معنويات رجاله في ساحة الحرب وفي كل مكان ، واختيار القادة العامين والقادة المرؤسين القادرين على تنفيذ أوامره ووصاياه نصاً وروحاً ...

لقد أنجز عمر بن الخطاب كل واجباته قائـداً أعلى بشكل يدعـو الى التقدير العميق والأعجاب الشديد .

هيأت لـه الأسباب الجوهرية لأنجـاز تلـك الواجبات بكل جدارة ، وقد مرّ بنا بعض تلك الأسباب .

كان يؤمن بالشورى ، فلا يستقل برأيه ولا يبالي أن يأخذ الحكمة من أي وعاء ، وهذا يقلّل من فرص الخطأ والأهمال .

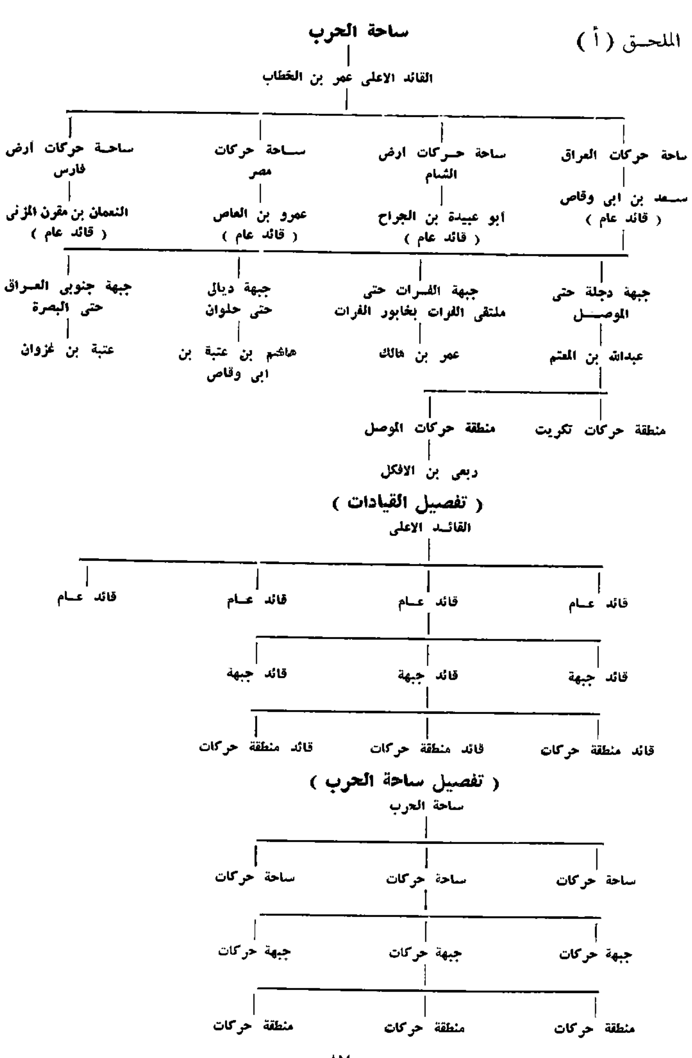
وكان يحرص على جمع المعلومات من منابعها بشتى الطرق والأساليب ، وهذا يجعله يعمل على هدى وبصيرة ولا يسير أبداً مغمض العينين .

وكان يتّسم بالحرص الشديد على الأرواح ، وهذا يؤدي الى عدم زج جيوشه في المهالك دون مبرّر .

---

(٢٦٠) ساحة الحرب : هي جميع البلاد التي يحتمل أن يتقاتل فيها الفريقان المتخاصمان في البر والبحر .

الملحق (أ)


ساحة الحرب
القائد الاعلى عمر بن الخطاب
ساحة حركات العراق
سعد بن ابى وقاص (قائد عام)
ساحة حركات ارض الشام
أبو عبيدة بن الجراح (قائد عام)
ساحة حركات مصر
عمرو بن العاص (قائد عام)
ساحة حركات أرض فارس
النعمان بن مقرن المزنى (قائد عام)
جبهة دجلة حتى الموصل
عبدالله بن المعتم
جبهة الفرات حتى ملتقى الفرات بخابور الفرات
عمر بن مالك
جبهة ديالى حتى حلوان
هاشم بن عتبة بن ابى وقاص
جبهة جنوبى العراق حتى البصرة
عتبة بن غزوان
منطقة حركات تكريت
منطقة حركات الموصل
ربعى بن الافكل
(تفصيل القيادات)
القائد الاعلى
قائد عام
قائد عام
قائد عام
قائد عام
قائد جبهة
قائد جبهة
قائد جبهة
قائد منطقة حركات
قائد منطقة حركات
قائد منطقة حركات
(تفصيل ساحة الحرب)
ساحة الحرب
ساحة حركات
ساحة حركات
ساحة حركات
جبهة حركات
جبهة حركات
جبهة حركات
منطقة حركات
منطقة حركات
منطقة حركات

وكان فطناً عالماً بعيد النظر ، ومن نتائج ذلك استكمال دراساته العسكرية بدقة واتقان مع ادخال أسوأ الاحتمالات في الحساب •

وكان شجاعاً يُعد لكل أمر عدّته ثم لا يحجم عن تنفيذ خططه ولا يتردّد ولا يتراجع •

وكانت له قابلية بدنية ممتازة تعينه على تحمل المشاق والصعاب بصبر وحزم واقدام •

وكان يعرف عظم مسؤوليته وضخامة عبئها ، فلا يتردد في تحمل أعبائها ولا يتهرّب من نتائجها ،ولا يلقي بأعباء تلك النتائج على الآخرين •

وكانت له تجارب طويلة للحرب جندياً وقائداً مرؤساً ومستشاراً خبيراً للرسول القائد ولخليفته من بعده ، كما كان خبيراً بمبادىء الحرب مطبقاً لها عالماً بتفاصيلها حريصا على مراعاتها •

تلك هي الأسس الموضوعية التي تهيىء لكل قائد أعلى فرصة النجاح في اعداد الخطط السوقية ، والتي تهيأت لعمر بشكل واضح ملموس قلّ أن نجد له مثيلاً في تاريخ الحروب بكل زمان ومكان •••

فلا عجب ـ بعد ذلك ـ أن تكون خططه السوقية دقيقة متكامنة عملية بعيدة عن المخاطر ، ولا عجب أن تكون نتائجها فتحاً مستداماً لم تتراجع راياته منذ أربعة عشر قرناً حتى اليوم •

لقد كان عهد عمر عهداً ذهبياً للفتح الاسلامي العظيم •

كان دستوره في الحرب أن يضع الأسس العامة ، ويعهد في تنفيذها الى ذي خبرة وأمانة ، ولا يتخلى عن تبعته العظمى في مصائر الحرب كل التخلّي اعتماداً على القائد وحده ، اذ ليس القائد بالمسؤول الوحيد عن المصير •

فاذا رأى القائد العام رأياً وخالفه هو في رأيه ، أعانه بالمدد والمشورة على الأخذ بالرأي الذي دعاه اليه ، وأبطل معاذيره بتوضيح الأمر واعانته عليه•

ولقد كان الى جانب السهر على الميادين عامة ، لا يغلّ يد القائد فيما يحسن أن تنطلق فيه ، فاذا تجاوز الأمر سياسة الحرب العامة من فتح

الميادين وفك الحصار وانتظار الهجوم ، فمن حق القائد عنده أن يختار لنفسه ولا ينتظر الرجوع اليه ، وأن يجري في ادارة المعركة على النوجه الذي تمليه ضرورة الساعة • استشاره أبو عبيدة في دخول الدروب خلف العدو ، فكتب اليه : « أنت الشاهد ، وأنا الغائب ، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب • وأنت بحضرة عدوك ، وعيونك يأتونك بالأخبار ، فان رأيت الدخول الى الدروب صواباً ، فابعث اليهم السرايا ، وادخل معهم بلادهم ، وضيّق عليهم مسالكهم وان طلبوا اليك الصلح ، فصالحهم ••• » •

فهو يضع القواعد العامة للحملة كلها منذ بدايتها ، وهو يختار القائد الضليع بتسيير تلك الحملة ، وهو بعد هذا لا يعفى نفسه من التبعة ، ولا يعفى القائد من واجب الرجوع اليه في المواقف الحاسمة ، ولا يغل يده فيما هو أدرى به وأقدر على الأختيار فيه ، ولا ينسى أن يعينه اذا خالفه في الرأي ليتفق الرأيان المختلفان ؛ فاذا رجع القائد الى الحصار الذي أزمع أن يتركه مثلاً ، رجع اليه وهو مؤمن بصواب ما يعمل ليستمد من الايمان بالصواب قوة لن يشعر بها وهو يؤدي عملاً يخالف الصواب في تقديره •

وهذه السياسة هي التي جرى عليها عمر في جميع بعوثه وغزواته وسراياه ، وهي السياسة التي لا يستطيع الحاكم أن يجري على غيرها في حرب قديمة أو حديثة ؛ وقد جرى عليها فجعلته كاسب النصر كما يكسبه القائد في الميدان ، وجعلت بطل الفرس (رستم) المشهور في التواريخ والأساطير يقول : « ان عمر هو هازمه في الميدان » و « أنه هو الذي يكلم الكلاب فيعلمهم العقل ! أكل كبدي ، أحرق الله كبده »[٢٦١] •

وربما يتبادر الى الأذهان أن عمر كان مركزياً في قيادته يشل أيدي قادته العامين وقادته المرؤوسين ، وهذا وهم ليس له من الحق نصيب • انه يضع الخطط العامة ويترك لقادته التفاصيل بعد ان يبذل قصارى جهده في

(٢٦١) عبقرية عمر (١٥٥ ـ ١٥٧) •

اختيارهم لتحمل تبعاتهم بجدارة وقوة وايمان ... انه يضع الخطط السوقية ، ويترك لقادته أمر وضع الخطط التعبوية .

كان يشتد اغتباطه حين يرى قادته وعماله يتجردون لخير الرعية ويثني عليهم لذلك أعظم الثناء ؛ فقد كتب الى عمير بن سعد الأنصاري الأوسي(٢٦٢) وهو على حمص : « أقبل بما جبيت من فيء المسلمين » ، فلما أقبل عمير سأله عما صنع ، فقال : بعثتني حتى أتيت البلد ، فجمعت صلحاء أهلها فوليتهم جباية فيئهم ، حتى اذا جمعوه وضعته مواضعه ، ولو نالك منه شيء لأتيتك به ! » ، فقال عمر : « فما جئتنا بشيء ؟! » ، فلما أكد له أنه أنفق كل شيء على أهل حمص قال : « جددوا لعمير عهداً »(٢٦٣) .

لقد كان عمر قائداً سوقياً يعد الخطط السوقية ويصدر أوامره ووصاياه الى قادته العامين وقادته المرؤوسين مبيناً لهم السياسة العامة للحرب ، ثم يترك لهؤلاء القادة تحمل أعباء كل التفاصيل التنفيذية .

ان التاريخ ليذكر لنا نماذج حية رائعة من خطط عمر السوقية أصدرها الى قادته : أوامر جازمة صريحة ، ووصايا حاسمة واضحة ، كان من نتائجها العصر الذهبي للفتح الاسلامي في أيام عمر الفاروق .

بعد معركة (اليرموك) في أرض الشام ، استخلف أبو عبيدة على اليرموك بشير بن كعب الحميري وسار حتى نزل بـ (الصُفَّر)(٢٦٤) ، فأتاه الخبر ان الروم وحلفاءهم المنهزمين اجتمعوا بـ (فِحْل)(٢٦٥) . وأتاه الخبر أيضاً بأن المدد قد أتى أهل دمشق من حمص ، فكتب الى عمر

---

(٢٦٢) انظر ترجمته في كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة (٤٦٩ ـ ٤٧٥) .

(٢٦٣) بقي عمير والياً على حمص وقنسرين طيلة أيام عمر بن الخطاب . انظر ابن الاثير (٣/٨) و (٣/٣٠) والطبري (٣/٢٢٧) و (٣/٣٠٤) و (٣/٣٣٩) .

(٢٦٤) الصفّر : موضع بين دمشق والجولان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٣٦٧) .

(٢٦٥) فحل : اسم موضع بالشام . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٣٤٠) .

في ذلك ، فأجابه : بأمره : بأن يبدأ بدمشق فانها حصن الشام وبيت ملكهم ، ويشغل أهل (فحل) بخيل تكون بأزائهم ؛ واذا فتح دمشق سار الى (فحل) ، فاذا فتحت عليهم سار هو وخالد الى حمص وترك شرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص بالأردن وفلسطين(٢٦٦) •

تلك هي الخطة السوقية لعمر التي بموجبها فتحت أرض الشام (سورية والأردن ولبنان وفلسطين) ، ومنها يتضح أن عمر بدأ (بهدف الحركات الخطير)(٢٦٧) وهو مدينة دمشق عاصمة البلاد ، وبعد فتحها تتوجه الجيوش الى الأهداف الثانوية • ولكي يحرم الروم وحلفاءهم من تعاون قواتهم في مختلف مناطقها عند فتح دمشق ، أمر عمر بتخصيص قوات من الفرسان لمشاغلتهم اثناء محاولة المسلمين فتح دمشق •

لقد أدى تطبيق هذه الخطة السوقية الى فتح أرض الشام بسهولة ويسر •

وقبل معركة (القادسية) الحاسمة أمر عمر أبا عبيدة بن الجراح أن يصرف جند العراق الى العراق ـ وهم الذين شهدوا معركة اليرموك ـ وأمرهم بالحث الى سعد بن أبي وقاص(٢٦٨) وذلك لتحشيد أكبر قوة ممكنة في الزمان والمكان المناسبين ، فكان لحضور هؤلاء معركة القادسية أثر كبير في انتصار المسلمين في هذه المعركة •

ان مهمة القائد الأعلى هي أن يحشد أكبر عدد من الرجال قبل المعركة الحاسمة ليضمن لجيوشه النجاح والنصر ، فاذا كانت قوات العراق قد شهدت معركة اليرموك الحاسمة ، فلا مبرّر لبقائها في أرض الشام بعد انتصار المسلمين في تلك المعركة وبعد فتح دمشق ، ومن الضروري

---

(٢٦٦) ابن الاثير (٢/١٦٤) •

(٢٦٧) هدف الحركات الخطير : هو الهدف الذي متى ما تم الاستيلاء عليه تنتهي الحرب ، أو أن العدو يضطر الى قبول الصلح ؛ وتؤلف عواصم البلاد هدف الحركات الخطير •

(٢٦٨) الطبري (٢/٦٢٧) •

أن تعمل تلك القوات في ساحة أخرى أكثر أهمية من ساحات أرض الشام ، خاصة بعد انكشاف الموقف في تلك الساحات ، لأن المعارك المتوقعة فيها لا تزيد على معارك تعبوية هي من أجل استثمار الفوز الذي حققه المسلمون في اليرموك وبعد فتح دمشق .

وكتب إلى سعد بن أبي وقاص بعد اختياره لحرب فارس : « اذا انتهيت الى القادسية ، وهو منزل رغيب خصيب دونه قناطر وأنهار ممتنعة ، فتكون مسالحك[٢٦٩] على انقابها[٢٧٠] ، ويكون الناس بين الحجر والمدر على حافات المدر والجراع[٢٧١] بينها ، ثم الزم مكانك فلا تبرحه ؛ فأنك اذا أحسوك[٢٧٢] أنغصتهم ورموك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدّهم وجدّهم ، فان أنتم صبرتم لعدوّكم واحتسبتم لقتاله وقوّيتم الأمانة ، رجوت أن تنصروا عليهم ، ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبداً ، الا أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم . وان تكن الأخرى كان الحجر في أدباركم فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم الى أدنى حجر من أرضكم ، ثم كنت عليهم أجرأ وبها أعلم ، وكانوا عنها أجبن وبها أجهل ، حتى يأتي الله بالفتح »[٢٧٣] .

ونلاحظ في هذه الخطة السوقية الفذّة أموراً عسكرية كثيرة أهمها : أولاً ، ان عمر أصاب في معرفة المنطقة التي ستدور عليها المعركة الحاسمة ، وهي القادسية . وثانياً ، ان معلوماته عن طبيعة أرض المعركة دقيقة جداً .

---

(٢٦٩) المسالح : جمع مسلحة ، وهي الحامية الامامية او المركز الذي تقيم فيه قوة عسكرية وهما كالمخافر الحديثة .

(٢٧٠) انقاب : جمع نقب ، وهو الطريق في الجبل . انظر ترتيب القاموس المحيط (٣٧٦/٤) والمعجم الوسيط (٩٥٢/٢) ، وهي تعني : الطرق التقربية للعدو الى قوات المسلمين .

(٢٧١) الجراع : جمع أجرع ، وهي الارض ذات الحزونة تشاكل الرمل : انظر المعجم الوسيط (١١٨/١) .

(٢٧٢) حس : حسّ الشيء حساً ، استأصله وحسوهم استأصلوهم قتلا .

(٢٧٣) انظر عبقرية عمر (١٥٤) .

وثالثاً ، انه أعطى خطة واضحة للعمل : ترسل المسالح لتطوق منطقة القادسية وتستطلع أخبار العدو وتمنعه من التسرب إلى مواضع المسلمين الأصلية وتقوم هذه المسالح بواجب حماية القوات الضاربة للمسلمين ؛ وتبقى قوات المسلمين الضاربة في منطقة قريبة من الصحراء لكي تنسحب اليها عند الضرورة بسهولة ودون خسائر في الأرواح والمواد . رابعاً : ان العدو اذا اندحر كانت هذه المعركة قاضية على قواته الضاربة ، أما اذا انتصر العدو كان من السهولة على المسلمين الانسحاب الى الصحراء التي يعرفونها ويطيقون القتال عليها ولا يعرفها العدو ولا يطيق القتال في مجاهلها ، وعند ذاك يفشل العدو حتماً في مطاردته المسلمين فيعيد المسلمون على عدوّهم الكرة حتى يأتي الله بالفتح ...

انها خطة سوقية سليمة مضمونة النجاح في حالتي النصر أو الاندحار .

وفي سنة سبع عشرة هجرية (٦٣٨م) قصد الروم أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين بـ (حمص) ، فقد أرسل أهل (الجزيرة) الى امبراطور الروم يحثونه على ارسال الجنود الى الشام ويذكرون له أنهم سيعاونونه . وحين علم المسلمون باجتماع الروم وأهل الجزيرة ، سحب أبو عبيدة مسالحه من مواضعها وعسكر بفناء مدينة حمص . وأقبل خالد من (قِنَّسْرِين)[٢٧٤] اليهم ، فاستشارهم في المناجزة أو التحصين الى مجيء الغياث ، فأشار خالد بالمناجزة وأشار آخرون بالتحصين ومكاتبة عمر ، فأطاعهم أبو عبيدة وكتب الى عمر بذلك . وقد كان عمر اتّخذ في كل مصر خيولاً على قَدرِه من فضول أموال المسلمين عدّة للحوادث الطارئة ، فكان بالكوفة من ذلك أربعة آلاف فرس ، وكان القيّم عليها سلمان بن ربيعة الباهلي ونفر من أهل الكوفة ، وكان في كل مصر

---

(٢٧٤) قنسرين : مدينة تقع في ديار ربيعة منها الى حلب مرحلة صغيرة ومنها الى معرة النعمان مرحلة كبيرة . انظر تقويم البلدان (٢٦٦-٢٦٧) ومعجم البلدان (١٦٨/٧) والمسالك والممالك لابن خرداذبة (٧٥) وأحسن التقاسيم (١٥٤) والبلدان لابن الفقيه (١١١) .

من الأمصار الثمانية على قدره ، فان تأتها آتية ركبها الناس وساروا الى أن ينجّهز الناس ، فلما سمع عمر كتب الى سعد بن أبي وقاص : « اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرّحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي الى حمص ، فان أبا عبيدة قد أحيط به ، وتقدّم اليهم في الجد والحث » ، وكتب اليه أيضا : « سرِّح سهيل بن عدي الى الجزيرة في الجند ، وليأت (الرقة) فان أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص ، وسرِّح عبدالله بن عبدالله بن عتبان الى (نصيبين) ثم ليقصد (حرّان) و (الرها) ، وسرّح الوليد بن عتبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ ، وسرّح عياض بن غنم ، فان كانقتال فقد جعلت أمرهمجميعاً الى عياض بن غنم »[٢٧٥] ؛ فمضى القعقاع في أربعة آلاف من يومهم الذي أتاهم فيه الكتاب نحو حمص ، وخرج عياض بن غنم وأمراء الجزيرة فأخذوا طريق الجزيرة على (الفِراض)[٢٧٦] وغير الفراض ، وتوجه كل أمير الى الكورة التي أُمِّر عليها • وخرج عمر بنفسه من المدينة مغيثاً لأبي عبيدة يريد حمص حتى نزل (الجابية)[٢٧٧] ؛ ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص وهم معهم خبر الجنود الأسلامية تفرّقوا الى بلادهم وفارقوا الروم • عند ذاك استشار أبو عبيدة خالداً في الخروج ، فخرج اليهم وقاتلهم ففتح الله عليهم • وقدم القعقاع بن عمرو بعد الوقعة بثلاثة أيام ، فكتب أبو عبيدة بالفتح وبقدوم المدد عليهم والحكم في ذلك ، فكتب اليه : « أشركوهم ، فانهم نفروا اليكم وانفرق لهم عدوّكم ، وقال:

---

(٢٧٥) الطبري (٣/١٥٤) وابن الاثير (٢/٢٠٥) •

(٢٧٦) الفرض : جمع فرضة وهي المشرعة ، والاصل في الفرضة الثلمة في النهر • والفراض تخوم الطرق والشام والجزيرة • انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٣٥٠) •

(٢٧٧) الجابية : قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفّر في شمالي حوران • انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٣٣) •

« جزى الله أهل الكوفة خيراً : يكفّون حوزتهم ويمدّون أهل الأمصار »[278] •

أول ما نلاحظ من خطة عمر السوقيه هذه ، أنه كان قد أعدّ في الأمصار خيولاً للطوارىء تتحرك بانذار قصير الى الأماكن المهدّدة بالخطر من دار الاسلام ، وقد حمى عمر بعض المراعي لتلك الخيول ، فحمى (الرَّبَذَة)[279] ـ مثلاً ـ لخيول المسلمين[280] ، وكان عنده خيل موسومة على أفخاذها : حبيس في سبيل الله[281] ، يحمل الغزاة عليها • ونلاحظ ثانياً ، أن عمر أمر بمشاغلة قوات الروم في حمص بعد ان حرم الروم من معاونة أهل الجزيرة الأشداء وذلك بمهاجمتهم في عقر دارهم • ونلاحظ ثالثاً أن الامدادات تحرّكت بسرعة هائلة من العراق ومن الحجاز باتجاه حمص لضرب القوات الرومانية ، مما جعل التفوق بالعدد الى جانب المسلمين • ونلاحظ رابعاً ، أن هذه الاجراءات السريعة الحاسمة رفعت معنويات المسلمين وحطمت معنويات أعدائهم •

ان حركة أربعة آلاف فارس في يوم واحد الى هدف بعيد ليس سهلاً ••• انه يكاد يكون مستحيلاً حتى في أيامنا الحاضرة هذه ، فكيف أنجزه المبلمون قبل أربعة عشر قرناً ؟؟ وهذا يدّلنا على ما بلغته الجيوش الاسلامية حينذاك من دقة ومتانة في التنظيم ، وهو بعض الجواب على تساؤل المؤرخين قديماً وحديثاً : كيف تمّ الفتح الأسلامي بالسرعة التي تمّ بها ؟؟! ان عمر شخصياً كان يندخل في أدق تفاصيل تنظيم هذه الجيوش حسب خطة مرسومة وتفكير عميق • قال

---

(٢٧٨) الطبري (١٥٤/٣) وابن الاثير (٢٠٥/٢) •

(٢٧٩) الربذة : من قرى المدينة على ثلاثة أميال على طريق ذات عرق على طريق الحجاز اذا رحلت من فيد تريد مكة • انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٢١/٤) •

(٢٨٠) ابن الاثير (٢٠٣/٢) •

(٢٨١) طبقات ابن سعد (٣٠٦/٣) •

السائب بن يزيد : « رأيت عمر بن الخطاب السنة يُصلح أداة الأبل التي يحمل عليها في سبيل الله براذعها وأقتابها ، فأذا حَمَل الرجل على البعير جعل معه أداته » ، وكان عمر يُغزي الأعزبَ عن ذي الحليلة ، ويغزي الفارس عن القاعد ، وكان يعقب بين الغزاة[٢٨٢]... فما أروع دقة تفاصيل هذا التنظيم ، وما أحرى انتصار مثل هذه الجيوش التي على رأسها مثل عمر قائداً أعلى .

وحين قدم الأحنف بن قيس التميمي على رأس وفد على عمر بعد فتح (تُسْتَر) كما ذكرنا سأل عمر الوفد قائلاً « لعلّ المسلمين يؤذون أهل الذمة ، فلهذا ينتقضون بكم ! » ، وكان يشير الى انتقاض الهرمزان الذي كان مع الوفد بعد صلحه مع المسلمين ، فقال الأحنف : « يا أمير المؤمنين ! انك نهيتنا عن الأنسياح في البلاد ، وان ملك فارس بين أظهرهم ، ولا يزالون يقاتلون ما دام ملكهم فيهم ، ولم يجتمع ملكان متفقان حتى يخرج أحدهما صاحبه ؛ وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئاً بعد شيء الا بانبعاثهم وغدرهم ، وان ملكهم يبعثهم ، ولا يزال هذا دأبهم حتى تأذن لنا بالأنسياح ، فنسيح في بلادهم ونزيل ملكهم ، فهنالك ينقطع رجاء أهل فارس » ، فقال عمر : « صدقتني والله » ، وأذن في الانسياح في بلاد فارس[٢٨٣] .

واطمأن عمر الى انتصار جنده في معركة (نَهَاوَنْد) الحاسمة ، فذكر نصيحة الأحنف له بالانسياح في أرض فارس ، فأمر أبا موسى الأشعري أن يسير من البصرة الى نهر منقطع ذمة البصرة فيكون هناك حتى يأتيه أمره ، ودفع لواء خراسان الى الأحنف بن قيس ، ولواء (أردشيرخرّة) الى مجاشع بن مسعود السلمي ، ولواء (اصطخر) الى عثمان بن ابي العاص الثقفي ، ولواء (فسا) و (دارا بجرد) الى سارية بن زنيم الكناني ، ولواء

---

(٢٨٢) طبقات ابن سعد (٣/٣٠٦) .

(٢٨٣) الطبري (٣/١٨٤ ـ ١٨٥) وأبن الاثير (٢/٢١٣) .

(كرمان) الى سهيل بن عدي ، ولواء سجستان الى عاصم بن عمرو ، ولواء (مكران) الى الحكم بن عمير التغلبي ؛ وأمدّهم عمر بنفر من أهل الكوفة ، فأمدّ سهيل بن عدي بعبدالله بن عبدالله بن عتبان ، وأمد الأحنف بعلقمة بن النضر وبعبدالله بن ابي عقيل وبربعي بن عامر ، وأمدّ عاصم بن عمرو بعبدالله بن عمير الأشجعي ، وأمدّ الحكم بن عمير بشهاب بن المخارق في جموع[284] ...

هذه الخطة السوقية لعمر ، الذي بدأ تنفيذها بعد معركة (نهاوند) الحاسمة ، هي خطة لاستثمار الفوز من أجل القضاء على مقاومات الفرس التعبوية في بلادهم وتطهير أرض فارس من الجيوب المعادية للمسلمين . ان هذه الخطة الرصينة حرمت الفرس من تعاون قواتهم في منطقة معينة في وقت معين تحت قيادة موحدة ، وجعلت أهل كل منطقة يدافعون عن منطقتهم وحدهم أمام تيار المسلمين الجارف الذي حشد له عمر أكبر عدد ممكن من الرجال بقيادة أكفأ القادة البارزين المجربين الذين تسنموا مناصبهم بجدارة تامة وبدون محاباة ... أو عاطفة ...

تمّ فتح فارس بموجب هذه الخطة ، فوجد الفرس أن حكم العرب المسلمين أكثر انصافاً ومعدلة وأقلّ ارهاقاً لهم من حكم الأكاسرة ؛ فقد تركهم المسلمون لم يزعجوهم عن دينهم ولم يتدخلوا في شؤونهم ، ثم جعلوا لأمراء الولايات من الاستقلال أكثر مما كان لهم في عهد (يزدجرد) وأسلافه ، كما تركوا لهم المناصب العامة ولم يحاولوا استغلالها لأنفسهم ، مكتفين بالجزية يقتضونها وفاقاً للمعاهدات المعقودة بينهم وبين مختلف الولايات[285] .

وفي فتح مصر ، أشفق عمر على جيش عمرو بن العاص ، فبعث الزبير بن العوام في اثني عشر ألفاً[286] وبذلك استطاع عمرو فتح أرض

---

(٢٨٤) ابن الاثير (٢/٢١٤) .

(٢٨٥) الفاروق عمر (٢/٥٨) .

(٢٨٦) انظر فتوح مصر والمغرب (٩٢) وانظر كتاب : الولاة وكتاب القضاة (٨) .

وادي النيل .

هذه هي بعض خطط عمر السوقية : خطة لفتح العراق ، وخطة لفتح أرض الشام ، وخطة لفتح بلاد فارس ، وخطة لفتح مصر هذا الفتح الذي امتد من هناك الى ليبيا وأرض النوبة ...

تلك أمثلة رائعة من خططه السوقية للفتح ، تصوّر لك كيف نهض عمر بتبعات قيادته قائداً أعلى لجيوش المسلمين في عصرها الذهبي . انها تكشف لك عن السر في قدرته الممتازة على الأضطلاع بأعبائه الجسام على نحو لا يزال مثاراً لعجب الناس واعجابهم ، كما تبين لك كيف كانت قابليات عمر القيادية من أهم الأسباب التي هيأت لامتداد الفتح ودفعت المسلمين اليه ورغّبتهم فيه . لقد كانوا يرون أمير المؤمنين خير كفيل بحقوقهم وبمن يخلّفون وراءهم من عيالهم وكانوا يرونه يؤثر على نفسه واهله ويؤدي لكل ذي حق حقه فلا جرم انهم لیندفعون الى ميادين القتال وكلهم الطمأنينة الى غدهم والى مصير أبنائهم وذويهم . وماضرّ أحدهم أن يقتل في سبيل الله وفي سبيل الفتح الاسلامي ، وهو على يقين أن بنيه سيجزون اذا استشهد بخير مما يجزون اذا ظلّ حياً ، وأنه ستفتح له أبواب الجنة بما وهب الله نفسه مجاهداً في سبيله[٢٨٧] .

واذا كتب لخطط عمر السوقية النجاح الفذ ، فلأنه بناها على أسس قويمة ، ولعل من أهم هذه الأسس هو تطبيقه مبدأ (التحشد) تطبيقاً بلغ حدّ الروعة عَدداً وعُدداً ، فكان قادته لا يخوضون غمار معركة قبل ان تتوالى عليهم امدادات عمر : الخيل تتبعها الخيل ، والرجال تتبعها الرجال ، كما يقول عمر عن تلك الامدادات .

لقد حرم أبو بكر الصديق المرتدين من مشاركة المجاهدين في شرف الجهاد من أجل نشر الاسلام ولتكون كلمة الله هي العليا ، فقد كتب الى خالد بن الوليد وعياض بن غنم : « استنفرا من قاتل أهل الردّة ومن ثبت على الأسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يغزونّ أحد ارتدّ

---

(٢٨٧) انظر الفاروق عمر (٢٢٦/٢) .

حتى أرى رأيي » ، فلم يشهد الأيام مرتد[٢٨٨] .

اما عمر ، فقد استفتح خلافته بقوله : « انه لقبيح بالعرب أن يملك بعضهم بعضاً ، وقد وسّع الله عزّ وجل وفتح الأعاجم » ، واستشار في فداء سبايا العرب في الجاهلية والأسلام الا امرأة ولدت لسيّدها ، وجعل فداء كل انسان سبعة أبعرة وستة ابعرة الا حنيفة وكندة ، فإنه خفف عنهم لقتل رجالهم ، فتتبع النساء بكل مكان وفدوهن[٢٨٩] . كما أمر عمر باستنفار من حسن اسلامه من أهل الردة[٢٩٠] ، وندب أهل الردة فأقبلوا سراعاً من كل أوب فرمى بهم الشام والعراق[٢٩١] .

لقد كان عمر ، يرى أن العرب مادة الاسلام ، وأنهم هم مادة الفتح الاسلامي قادة وجنودا ، لذلك كتب عمر الى ملك الروم حين أخبره الوليد ابن عقبة عن دخول بعض القبائل العربية من أهل الجزيرة ديار الروم : « بلغني أنّ حياً من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك ، فوالله لتخرجنّه الينا أو لنخرجنّ النصارى اليك » ، فأخرجهم ملك الروم ، فخرج منهم أربعة آلاف وتفرّق بقيتهم فيما يلي الشام والجزيرة وبلاد الروم . فكل إيادي في أرض العرب من أولئك الأربعة آلاف . وأبى الوليد بن عقبة أن يقبل من (تغلب) الا الأسلام ، فكتب فيهم الى عمر ، فكتب اليه عمر : « انما ذلك بجزيرة العرب لا يقبل منهم الا الأسلام ، فدعهم على الا ينصرّوا وليداً ولا يمنعوا أحداً منهم من الأسلام »[٢٩٢] ، وأضعف عمر الصدقة عليهم عوضاً عن الخراج[٢٩٣] ، فقد اراد عمر ان يأخذ الجزيه منهم فانطلقوا هاربين في أرض الله الواسعة ، فقال عبادة بن النعمان

---

(٢٨٨) الطبري (٢/٥٥٠) و (٢/٥٥٤) .
(٢٨٩) الطبري (٢/٥٤٩) وأبن الاثير (٢/١٤٧) .
(٢٩٠) ابن الاثير (٢/١٦٦) .
(٢٩١) الطبري (٢/٦٣٤) .
(٢٩٢) ابن الاثير (٢/٢٠٦) .
(٢٩٣) الخراج (١٤٤) .

التغلبي[٢٩٤] : « يا أمير المؤمنين ! ان بني تغلب قد علمت شوكتهم ، وأنهم بازاء العدو ، فاذا ظاهروا عليك العدو اشتدّت مؤونتهم ، فان رأيت أن تعطيهم شيئاً ، فافعل » ، فصالحهم عمر على مضاعفة الصدقة عليهم عوضاً عن الجزية[٢٩٥] .

انه استمال قلوب العرب بكل ذلك وأراد أن يشعروا كل الشعور بعزّتهم وكرامتهم ، وبذلك استطاع أن يطبق مبدأ (التحشد) على العرب كافة وبعثهم الى ساحات القتال جيوشاً ومددا ...

وكانت الوحدة السياسية لبلاد العرب ، بعض ما شُغِل به عمر في خلافة ابي بكر الصديق فلما استُخْلِف كان تثبيت هذه الوحدة وتوطيد دعائمها أول ما اتجّه اليه همُّه . وقد هداه تفكيره الى أن هذه الوحدة لن تكون سليمة الا أن تصفو من كل شائبة ، وذلك بأن يكون الجنس العربي كُله متحداً في موطنه وعقيدته كاتحاده في لغته . واليهودية والنصرانية لا تزالان قائمتين في شبه الجزيرة ، أتراه يستطيع اجلاءهما عنها من غير أن يخالف كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم ؟

لقد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود أول ما نزل بيثرب ، فلما نقضوا عهدهم وحاولوا الغدر به ، أجلاهم عن المدينة . ثم انه أجلاهم عن أكثر مواطنهم في شبه الجزيرة لما ناصبوه العداوة ، ألا يدلّ ذلك على أن بقاء اليهود في موطنهم لم يكن حقاً لهم يجب احترامه ، وان موادعتهم ، كانت سياسة قضت بها مصلحة الدولة أوّل العهد بيثرب ، فلما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم مصلحة الدولة العليا لا تستقيم بها عدل عنها الى سياسة غيرها ! ومصلحة الدولة العليا توجب في رأى عمر أن تُوحّد العقيدة في شبه الجزيرة العربية كلها . لذلك كان من أول ما استفتح به عهده أن أجلى نصارى (نَجْران) عن شبه الجزيرة ، فأمرَ يَعْلي بن

---

(٢٩٤) هكذا ورد في الخراج (١٤٣) . وفي البلاذري (١٨٥) ورد اسمه : النعمان بن زرعة أو زرعة بن النعمان .

(٢٩٥) الخراج (١٤٣) البلاذري (١٨٥ ـ ١٨٦) .

أُمَيَّة ألا يفتنهم عن دينهم وأن يُخرج معهم من أقام على نصرانيته ، وأن يُعْطَوْا بالعراق أرضاً كأرضهم بنجران ، وأن تحسن معاملتهم[٢٩٦] . كذلك فعل بمن بقى من اليهود بخَيْبَر أو بفَدَك : أجلاهم عن أرضهم الى الشام ، وعوّضهم عنها بمال يعدل قيمتها ، ولم يُسيء الى أحد منهم . بذلك خلصت شبه الجزيرة العربية من كل عقيدة الا الأسلام ، فتوطدت فيها قواعد الوحدة التي قصد اليها أمير المؤمنين .

هذا تصوير واضح للباعث الذى دفع الى اخراج اليهود والنصارى من شبه الجزيرة ، وهو في ذلك لم يُخالف سُنّة ولم يخرج عليها ؛ فعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اليهود والنصارى لم يكن سُنّة تثبت حكماً ، بل كان سياسة تغيّرت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا بأس أن تتغيّر بعده . وانما غيّرها عمر لأن أحداث الوقت وامتداد الفتح وشدّة الحرص على تمكين أواصر الوحدة في شبه الجزيرة قضت بتغييرها ، وما كان عمر ليجمد على عهد تغيّر عليه العهد وأصبح مضراً بمصلحة الدولة وسياستها العليا ، فكيف به وهو موقوت بطبيعته ، ينقضي بانقضاء مدّته ، ولا يتجدد الا اذا رضي أمير المؤمنين بتجديده .

---

(٢٩٦) انظر الخراج لابى يوسف (٨٧ ـ ٨٨) .

وفيه ما كتب لهم عمر : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما كتب به عمر أمير المؤمنين لأهل نجران . من سار منهم آمن بأمان الله ، لا يضره أحد من المسلمين ، وفاءً لهم بما كتب لهم محمد النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه .

أما بعد . فمن مرّوا به من أمراء الشام وأمراء العراق ، فليوسقهم (الوسق : ستون صاعاً . قال الخليل : الوسق حمل البعير . وأوسق البعير : حمّله حمله) من حرث الأرض ، فما احتملوا من ذلك فهو لهم صدقة لوجه الله وعقبة لهم مكان أرضهم لا سبيل عليهم فيه لأحد ولا مغرم .

« أما بعد . فمن حضرهم من رجل مسلم فلينصرهم على من ظلمهم ، فانهم أقوام لهم الذمة . وجزيتهم عنهم متروكة أربعة وعشرين شهراً بعد أن يقدموا ، ولا يكلّفوا الا من صنعهم البر غير مظلومين ولا معتدى عليهم » ...

لقد استند عمر في اجلاء اليهود والنصارى الى ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : « لا يجتمع ببلاد العرب دينان » ، وأن عمر خافهم على المسلمين[٢٩٧] ، وأن نصارى نجران بعد ان استخلف عمر أصابوا الربا وكثروا فخافهم على الاسلام فأجلاهم[٢٩٨] ، ولكن عمر أمر عماله بالعراق والشام أن يعوّضوهم من أرضهم وان يحسنوا معاملتهم ؛ ولو انه أجلاهم لأنهم نقضوا عهدهم لما لطف بهم كل هذا اللطف ، ولما أحسن معاملتهم كل هذا الأحسان •

ولكن ، لا يكفي لتثبيت دعائم الوحدة في بلاد العرب ألا يبقى بها دين غير الأسلام ، اذا بقى من الفوارق بين أهلها من العرب ما يجعلهم يشعرون بأن بعضهم أكثر حرية من بعض أو أوفر كرامة من بعض ، واذا لم تقم المساواة الصحيحة الكاملة بينهم علَماً على سلامة تضامنهم • وقد بقيت بعض الفوارق بينهم بسبب الردّة والحروب التي قضت عليها ، أما وعمر يريد الوحدة الصحيحة الكاملة ، فلابد من القضاء على هذه الفوارق بازالة أسبابها ؛ لذا رفع عن أهل الردّة ما كان أبو بكر قد فرضه عليهم : الا يحاربوا في صفوف المسلمين ، كما أمر بردّ السبي من العرب الى عشائرهم وردّ حريتهم اليهم ، لأنه كره أن يكون السبي سنة في العرب • بذلك استفتح عهداً سرى معه في نفوس العرب جميعاً روح أشعرهم ـ على اختلاف مواطنهم من شبه الجزيرة ـ بأنهم أمة واحدة ، لها هدف واحد مشترك ، وتوجّهها سياسة عامة ومصلحة عليا يهيمن عليها عمر •

هذه هي المصلحة العليا التي أملت على عمر ما قدّمتُ تحقيقاً لوحدة العرب تحت ظل الاسلام[٢٩٩] ، وبذلك أصبح العرب المسلمون قوة جبارة وجدت متنفساً في الفتح الاسلامي واستطاعت تحمل أعبائه الجسام بكل جدارة واندفاع •

---

(٢٩٧) الخراج (٨٧) •
(٢٩٨) البلاذري (٧٧) •
(٢٩٩) انظر الفاروق عمر (٢/٢٠٤ ـ ٢٠٥) •

ان قرار توطيد أركان الوحدة العربية في شبه الجزيرة العربية تحت لواء الاسلام ، وذلك بالقرارين السوقيين : لا يجتمع ببلاد العرب دينان ، ولا فرق بين العرب في الحقوق والواجبات ، هو قرار مصيري ما كان الفتح الاسلامي في عهد عمر ليتم بمثل ماتم عليه من قوة وسعة وشمول وسرعة ، لو لم يتخذه عمر هدفاً حاسماً ويعمل على وضعه في حيز التنفيذ بحزم وحكمة ، لأن الفتح لابد أن يستند على قاعدة أمينة ، وشبه الجزيرة العربية كانت قاعدة[٣٠٠] الفتح الذي انطلق منها مكتسحاً الحدود والسدود والعقبات .

ولكن هذه القاعدة الأمينة وهي شبه الجزيرة العربية كانت (قاعدة حركات)[٣٠١] بالدرجة الاولى عليها تستند الجيوش الأسلامية في الفتح الأسلامي الأول ومنها تنطلق الى واجباتها وعلى سكانها تعتمد في تكوينها وتزويدها بالرجال وادامة سيل امدادها بالمجاهدين .

ولم تكن هذه القاعدة الأمينة (قاعدة تموين)[٣٠٢] للجيوش الأسلامية بالمعنى الواسع لقاعدة التموين ، لأن المسلمين كانوا يأخذون منها السلاح والعتاد الضروري لخوض معاركهم ، ويتزودون منها بما يبلغهم مناطق حركاتهم من الأرزاق وهي المنبع الأول لأبلهم وخيولهم . ولكنهم اذا وصلوا الى مناطق الحركات تزوّدوا من هناك بمتطلباتهم الأدارية من سلاح وعتاد وأرزاق وابل وخيل وتجهيزات ، ويكون اعتمادهم الأول على ما يفييء الله به عليهم منها نتيجة للمعارك التي يخوضونها وعلى الجزية والخراج والغنائم والأنفال ... الخ التي يحصلون عليها نتيجة لتلك المعارك .

---

(٣٠٠) القاعدة : هي البلاد التي يستند اليها الجيش قبل شروعه في الحركات . انظر الجغرافية العسكرية (١١) .

(٣٠١) قاعدة الحركات : هي القاعدة التي يشرع منها الجيش أو تشرع منها الجيوش في الحركات الفعلية وتستند عليها .

(٣٠٢) قاعدة التموين : هي البلاد أو المدينة التي يأخذ الجيش مهماته وأرزاقه منها .

هذا هو الفرق بين قاعدة الجيوش الاسلامية الأمينة ، وبين قواعد الجيوش الغازية الأخرى : قاعدة المسلمين قاعدة حركات ، وقاعدة غير المسلمين قاعدة حركات وقاعدة تموين على حد سواء .

من هنا جاءت الفروق بين التشريعات الاسلامية التي وضع عمر أكثر أسسها وبين التشريعات غير الاسلامية ، فما هي تلك التشريعات والأسس التي قرّرها المسلمون الأولون وعلى رأسهم أمير المؤمنين ؟؟

شغل عمر بكثرة الأموال التي كان عماله يبعثون بها ، ورأى أن لابد من وضع نظام لاحصائها وتوزيعها . ولم تكن هذه الأموال ما يؤديه المسلمون في شبه الجزيرة العربية من الزكاة والصدقات ، فتلك كانت توزّع على الذين نزل فيهم قوله تعالى : (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله ، والله عليم حكيم)[٣٠٣] ، وكان الكثير من هذه الصدقات لا يرسل الى المدينة ، بل يوزّع على الفقراء والمساكين من أهل القبائل والأمم التي تؤديها . فأما ما كان يرسل منها الى المدينة ومعظمه من الابل والماشية ثم يفيض بعد التوزيع عن حاجة من ورد ذكرهم في آية الصدقات ، فكان يوسم بميسم خاص ويوضع على مقربة من المدينة بمكان أطلق عليه اسم : الحِمَى . فاذا غزا المسلمون أعانوا بهذه الأبل والأموال من لا يجد دابة تحمله أو سلاحاً يقاتل به ، وعالوا فقراء المسلمين بما بقي منها .

وأما ما كان المسلمون يغنمونه في غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفيء ، فكان هو يوزعه بعد المعركة ولا يبقى منه شيئاً . وقد سار أبو بكر سيرته وصنع صنيعه ، فكان ما يرد من فيء العراق يوزّع بين أهل المدينة ولا يبقى منه شيء .

(٣٠٣) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٦٠) . وانظر تفسيرها في تفسير ابن كثير (١٨٥/٤) والبغوي بهامش ابن كثير (١٨٦/٤) وتفسير الكشاف (٣٨/٢) وأنوار التنزيل (٧٢/٣) وفتح الباري بشرح البخاري (٢٤٨/٨) .

وجرى الأمر على ذلك في العهد الأول من خلافة عمر ، ولكن اتساع رقعة الفتح زاد في أموال الفيء ، كما فتح مورداً آخر أغزر مادة وأبقى ، ذلك هو مورد الخراج والجزية ، فقد صالح المسلمون أهل البلاد التي فتحوها في العراق وفارس وفي أرض الشام ومصر ، على أن يدفعوا جزية كان متوسطها على كل رأس دينارين[٣٠٤] ، وذلك فضلاً عن الخراج الذي كان الزراع يدفعونه عن أرضهم ، فينفق جانب منه على مرافقهم وعلى تنظيم الحكم فيهم ، ويرسل ما بقى منه بعد ذلك الى المدينة ، وقد بلغت غزارة هذا المورد قبل ان يتم فتح فارس وقبل ان يبدأ غزو مصر مبلغاً حمل الخليفة على التفكير في اقامة نظام مالي للدولة الناشئة .

قدم أبو هريرة من البحرين ، فسأله عن الناس ثم قال : « ماجئت به » ؟ قال : « جئت بخمسمائه ألف درهم » فدهش عمر وقال : « هل تدري ماذا تقول ؟ » ، فأعاد أبو هريرة أنه جاء بخمسمائه ألف درهم . وظن عمر أن الرجل يبالغ فكرّر عليه السؤال ، فلما سمع الجواب الاول قال له : « انك ناعس فارجع الى أهلك فَنَم ، فاذا أصبحت فأتني » ، فلما غدا عليه أبو هريرة وأكّد له انه جاء بخمسمائه ألف درهم ، قال عمر للناس : « انه قدم علينا مال كثير ، فأذا شئتم أن نعدّه لكم عدا ، وان شئتم أن نكيله لكم كيلا » ، فقال له رجل : « يا أمير المؤمنين ! اني رأيت هؤلاء الأعاجم يدونون ديواناً يعطون الناس عليه » فدوّن عمر الديوان[٣٠٥] .

وقيل : ان عمر استشار الناس في تدوين الديوان ، فقال له علي بن أبي طالب : « تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من مال ولا تبق منه شيئاً » ، وقال عثمان بن عفان : « أرى مالاً كثيراً يسع الناس ، وان لم يُحْصَوا حتى نعرف من أخذ ممن لم يأخذ ، خشيت أن ينتشر الأمر » ، فقال الوليد ابن هشام بن المغيرة : « يا أمير لمؤمنين ! قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دوّنوا ديواناً وجنّدوا جنوداً ، فدوّن ديواناً وجنّد جنوداً » ، فأخذ بقوله ،

---

(٣٠٤) انظر تفصيل ذلك في الخراج (٢٨ ــ ٣٢) .
(٣٠٥) انظر طبقات ابن سعد (٣/٣٠٠) .

فدعا عَقيل بن ابي طالب ومَخْرَمة بن نوفل وجُبير بن مُطعم وكانوا من نُسّاب قريش ، فقال لهم : « اكتبوا الناس على منازلهم »[٣٠٦] ، وقال : « ابدؤوا بقرابة النبي صلى الله عليه وسلم ، الأقرب فالأقرب ، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله »[٣٠٧] .

بدأ ببني هاشم ، ثم الأقرب فالأقرب برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان الناس اذا استووا في القرابة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قدّم أهل السابقة حتى انتهى الى الأنصار ، فقالوا : « بمن نبدأ » ، فقال عمر : « ابدأوا برهط سعد بن مُعاذ الأشهلي ثم الأقرب فالأقرب بسعد بن معاذ . وفرض عمر لأهل الديوان ، ففضّل أهل السوابق والمشاهد في الفرائض ، فبدأ بمن شهد بدراً من المهاجرين والأنصار ، ففرض لكل رجل منهم خمسة آلاف درهم في كل سنة ، حليفهم ومولاهم معهم بالسواء . وفرض لمن كان له اسلام كاسلام أهل بدر من مهاجرة الحبشة ومن شهد **(أُحداً)** أربعة آلاف درهم لكل رجل منهم . وفرض لأبناء البدريين ألفين ألفين الا حَسناً وحُسيناً فأنه ألحقهما بفريضة أبيهما لقرابتهما برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف درهم ، وفرض للعباس بن عبدالمطلب خمسة آلاف درهم لقرابته برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يفضل أحداً على أهل بدر الا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فانه فرض لكل امرأة منهن اثنى عشر ألف درهم . وفرض لمن هاجر قبل الفتح لكل رجل ثلاثة آلاف درهم ، وفرض لمسلمة الفتح لكل رجل منهم ألفين ، وفرض لغلمان أحداث من أبناء المهاجرين والأنصار كفرائض مسلمة الفتح . وفَرض لأسامة بن زيد أربعة آلاف درهم ، فقال عبدالله بن عمر : « فرضت لي ثلاثة آلاف وفرضت لأسامة أربعة آلاف وقد شهدت ما لم يشهد أسامة » ، فقال عمر : « زدته لأنه كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك ، وكان أبوه أحب الى رسول

---

(٣٠٦) طبقات ابن سعد (٣/٢٩٥) .

(٣٠٧) طبقات ابن سعد (٣/٢٩٥) .

الله صلى الله عليه وسلم من أبيك » . ثم فرض للناس على منازلهم وقراءتهم للقرآن وجهادهم ، ثم جعل من بقي من الناس باباً واحداً فألحق من جاءهم من المسلمين بالمدينة في خمسة وعشرين ديناراً لكل رجل ، وفرض لأهل اليمن وقيس بالشام والعراق لكل رجل ألفين الى ألف الى تسعمائة الى خمسمائة الى ثلاثمائة لم ينقص أحداً عن ثلاثمائة . وقال : « لئن كثر المال ، لأفرضنّ لكل رجل أربعة آلاف درهم : ألف لسفره وألف لسلاحه وألف يخلّفها لأهله وألف لفرسه وبغله » . وفرض لنساء مهاجرات : فرض لصفية بنت عبدالمطلب ستة آلاف ، ولأسماء ابنة عُميس ألف درهم ، ولأم كلثوم بنت عقبة ألف درهم ... الخ . وكان عمر يفرض للمنفوس مائة درهم ، فأذا ترعرع بلغ به مائتى درهم فأذا بلغ زاده . وكان اذا أُتي باللقيط فرض له مائة درهم وفرض له رزقاً يأخذه وَليُّه كل شهر ما يصلحه ، ثم ينقله من سنة الى سنة ، وكان يوصي بهم خيراً ويجعل رضاعتهم ونفقتهم من بيت المال . قال حزام بن هشام الكلبي : « رأيت عمر يحمل ديوان خُزاعة حتى ينزل (قُدَيْداً)[٣٠٨] فتأتيه بقُدَيد ، فلا يغيب عنه امرأة بكر وثيِّب ، فيعطيهن في أيديهن ، ثم يروح فينزل (عسفان)[٣٠٩] فيفعل مثل ذلك ، حتى توفي[٣١٠] .

كان عمر يحرس بعض التجار من السرق ، فسمع بكاء صبي فتوجه نحوه ، فقال لأمه : « اِتقي الله وأحسني الى صبيك» ثم عاد الى مكانه ، فسمع بكاءه فعاد الى أمه فقال لها ذلك . فلما كان آخر الليل سمع بكاءه فقال: «ويحك ! اني لأراك أم سوء . مالي أرى ابنك لا يقرّ منذ الليلة ؟ » ،

---

(٣٠٨) قديد : اسم موضع قرب مكة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٨/٧) .

(٣٠٩) عسفان : منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة . انظر الخراج لابي يوسف في معجم البلدان (١٧٤/٦) .

(٣١٠) طبقات ابن سعد (٢٩٥/٣ ـ ٢٩٨) الطبري فتوح البلدان للبلاذري .

فقالت : « يا عبدالله ! قد أبرمتني منذ الليلة ، اني أربعه عن الفطام فيأبى عليّ ! » ، قال : « ولم ؟ قالت لأن عمر لا يفرض الا للفطيم » . وصلى عمر الصبح وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء عليه ، فلما سلّم قال : « يا بؤساً لعمر ! كم قتل من أولاد المسلمين ؟! » ، ثم أمر منادياً فنادى ألا تعجلوا صبيانكم عن الفطام ، فأنا نفرض لكل مولود في الاسلام » ، وكتب بذلك الى الآفاق[٣١١] .

وقال عمر : « والله لئن بقيت ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظّه من هذا المال وهو مكانه قبل أن يحمرّ وجهه » يعني في طلبه[٣١٢] ...

وكتب عمر الى حذيفة بن اليمان أن أعط الناس أعطيتهم وأرزاقهم فكتب اليه : « إنا قد فعلنا وبقي شيء كثير » ، فكتب اليه عمر : « انه فيؤهم الذي أفاء الله عليهم ، ليس هو لعمر ولا لآل عمر ، اقسمه بينهم »[٣١٣] .

عن سالم بن عبدالله قال : « فرض عمر بن الخطاب للناس حتى لم يدع أحداً من الناس الا فرض له ، حتى بقيت بقية لا عشائر لهم ولا موالي ، ففرض لهم ما بين المئتين الى ثلاثمائة »[٣١٤] .

قال عمر : « لئن بقيت الى الحول لألحقنّ أسفل الناس بأعلاهم »[٣١٥] . وقال : « لئن عشت لأجعلن عطاء المسلمين ثلاثة آلاف[٣١٦] ، ورزق الناس جريبين كل شهر : المرأة والرجل والمملوك جريبين جريبين كل شهر[٣١٧] وكان عمر يحمي (النَقيْع)[٣١٨] لخيل المسلمين ويحمي

---

(٣١١) تاريخ عمر (٤٨ ـ ٤٩) وطبقات ابن اسعد (٣/٣٠١) .
(٣١٢) طبقات ابن سعد (٣/٣٠٠) .
(٣١٣) طبقات ابن سعد (٣/٩٩٩) .
(٣١٤) طبقات ابن سعد (٣/٣٠٤) .
(٣١٥) طبقات ابن سعد (٣/٣٠٢) .
(٣١٦) طبقات ابن سعد (٣/٣٠٤) .
(٣١٧) طبقات ابن سعد (٣/٣٠٥) .
(٣١٨) النقيع : وادٍ من أودية الحجاز يدفع سيله الى المدينة . والنقيع موضع قرب المدينة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣١٢) .

(الرَّبَذَة) و (الشرف)[٣١٩] لأبل الصدقة ، يَحْمِل على ثلاثين ألف بعير في سبيل الله كل سنة[٣٢٠] .

دوّن عمر الديوان وفرض العطاء ليتفرّغ العرب للجهاد في سبيل الله ، وقد أعان تدوين الديوان وفرض العطاء أولئك العرب الأولين على أداء الرسالة التي فرضت الأقدار عليهم أداءها .

والديوان كلمة فارسية معرّبة معناها : مجتمع الصحف ، يكتب فيها رجال الجيش ومن فرض لهم العطاء . وقد تطوّر مدلول هذه الكلمة من بعد ، فصارت تطلق على الأمكنة التي يجلس فيها القائمون على هذه السجلاّت ، كماتطلق على السجلاّت نفسها . وبديهي انها لم تتعدَ في عهد عمر معناها الأول ، فكان الديوان سجلاً أحصي فيه من فرض لهم العطاء من رجال الجيش ومن غيرهم وذكر فيه أمام كل اسم عطاء صاحبه[٣٢١] .

ان تدوين الديوان ، جعل لكل جندي يقاتل في الجبهة عطاءً مضموناً يجعله قرير البال على أهله وذويه في مدينته أو في صحرائه ، وهذا له تأثير معنوي كبير عليه ، لأن الجندي الذي لا يطمئن كل الأطمئنان الى الحالة المعيشية لأهله وذويه لا يقاتل كما ينبغي .

ولكن لابد للجيوش من موارد ثابتة تُديم الأمور الأدارية لهم في أيام الفتح وبعده ، لذلك أبى عمر أن يقسم أرض السواد[٣٢٢] على

---

(٣١٩) الشرف : موضع في الربذة . انظر معجم البلدان (٥/٢٥٣) .

(٣٢٠) طبقات ابن سعد (٣/٣٠٥) .

(٣٢١) الفاروق عمر (٢/٢٢٧ ـ ٢٣١) ، وانظر ما جاء عن تدوين الديوان وفرض العطاء في الطبري (٣/١٠٨ ـ ١١٣) وابن الأثير (٢/١٩٤ ـ ١٩٥) ومقدمة ابن خلدون (٢٤٣ ـ ٢٤٤) والاحكام السلطانية للماوردي (١٩٩ ـ ٢٠٣) وكتاب الوزراء والكتاب (١١) والادارة الاسلامية في عز العرب (٤٤ ـ ٤٦) والخراج (٤٩ ـ ٥٦) ... الخ .

(٣٢٢) أرض السواد : ارض العراق وضياعها ، سماه العرب : سواداً لخضرته بالزروع والاشجار . وحد السواد من حديثة الموصل طولاً الى عبادان ، ومن العذيب بالقادسية الى حلوان عرضاً . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/١٥٩) .

الفاتحين • سأل بلال بن رباح وأصحابه عمر قسمة ما أفاء الله عليهم من العراق والشام وقالوا : « اقسم الأرضين بين الذين افتحوها كما تقسم غنيمة العسكر » ، فقال عمر : « لقد أشرك الله الذين يأتون من بعدكم في هذا الفيء ، فلو قسمته لم يبق لمن بعدكم شيء ، ولئن بقيت ليبلغن الراعي بصنعاء نصيبه من هذا الفيء ودمه في وجهه » • وكتب عمر الى سعد بن ابي وقاص حين افتتح العراق : « أما بعد • فقد بلغني كتابك تذكر فيه أن الناس سألوك أن تقسم بينهم مغانمهم وما أفاء الله عليهم • فاذا أتاك كتابي هذا ، فانظر ما أجلب الناس عليك به الى العسكر من كراع ومال ، فاقسمه بين من حضر من المسلمين ، واترك الأرضين والأنهار لعمالها ليكون ذلك في أعطيات المسلمين ، فأنك ان قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شيء • وقد كنت أمرتك أن تدعو من لقيت الى الأسلام قبل القتال ، فمن أجاب الى ذلك قبل القتال فهو رجل من المسلمين له مالهم وعليه ما عليهم • وله سهم في الأسلام ؛ ومن أجاب بعد القتال وبعد الهزيمة ، فهو رجل من المسلمين وماله لأهل الأسلام لأنهم قد أحرزوه قبل اسلامه • فهذا أمري وعهدي اليك »(٣٢٣) •

وأصاب سعد مائة ألف فلاح في بعض غزواته ، فأرسل الى عمر يسأذنه ، فأجابه : « ان من جاءكم من الفلاحين ممن لم يعينوا عليكم فهو أمانة ، ومن هرب فأدركتموه فشأنكم به » ، فخلى سعد عنهم • وأرسل الى الدهاقين ودعاهم الى الاسلام أو الجزية ولهم الذمة ، فلم يبق غربي دجلة الى أرض العرب سوادي الا آمن واغتبط بملك الاسلام(٣٢٤) •

وبعد فتح مصر كتب عمرو بن العاص الى عمر يعلمه بفتحها وشأنها وأن المسلمين طلبوا قسمها ، فكتب اليه عمر : « لا تقسمها وذرهم يكون خراجها فيئاً للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم »(٣٢٥) •

---

(٣٢٣) الخراج (٢٨ ـ ٢٩) وانظر البلاذري (٤٣٣) •
(٣٢٤) أبن الأثير (٢/١٩٧) •
(٣٢٥) فتوح مصر والمغرب (١٢٤) •

وبذلك أصبح خراج الأراضي وجزية الرؤوس وما كان بمعناها ، موارد ثابتة للدولة تصرف الى عمارة الدين والمصالح العامة ، ومنها رواتب الولاة والقضاة وأهل الفتوى من العلماء والجيش واصلاح الطرق وعمارة المساجد والرباطات (للجهاد) والقناطر والجسور وسدّ الثغور واصلاح الأنهار العامة[٣٢٦] .

لم يسترح بعض الفاتحين الى رأي عمر في تأميم الأرض المفتوحة ، فلما ألحّ عليه بعضهم بقسمة الأرض استشار المهاجرين الأولين فاختلفوا ؛ فأرسل الى عشرة من الأنصار : خمسة من الأوس وخمسة من الخزرج من كبرائهم وأشرافهم ، فلما اجتمعوا حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : « انى لم أزعجكم الا لأن تشتركوا في أمانتي فيما حملت من أموركم ، فاني واحد كأحدكم ، وأنتم اليوم تقرّون بالحق : خالفني من خالفني ، ووافقني من وافقني ؛ ولست أريد أن تتّبنوا هذا الذي هو هواي . معكم من الله كتاب ينطق بالحق ، فوالله لئن كنت نطقت بأمر ما أريد به الا الحق » . قالوا : « قل نسمع يا أمير المؤمنين » ، فقال : قد سمعتم كلام هؤلاء القوم الذين زعموا أني أظلمهم حقوقهم ، واني أعوذ بالله أن أركب ظلماً ؛ لئن كنت ظلمتهم شيئاً هو لهم وأعطيته غيرهم ، لقد شقيت ! ولكن رأيت أنه لم يبق شيء يفتح بعد أرض كسرى ، وقد غنمنا الله أموالهم وأرضهم وعلُوجهم[٣٢٦] ، فقسمت ما غنموا من أموال بين أهله وأخرجت الخمس فوجّهته على وجهه وأنا في توجيهه ؛ وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها وأضع عليهم الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها ، فتكون فيئاً للمسلمين : المقاتلة والذرية ولمن يأتي بعدهم . أرأيتم هذه الثغور[٣٢٧] لابد لها من رجال يلزمونها ! أرأيتم هذه المدن العظام ، لابد

---

(٣٢٦) اشتراكية الاسلام للسباعي (٢٠٨) الطبعة الثانية وانظر النزعة الاشتراكية في الاسلام (١٨٧) .

(٣٢٦أ) علج : بوزن العجل ، الواحد من كفّار العجم ، والجمع : علوج وأعلاج وعلجة .

٣٢٧) الثغور : جمع ثغر ، موضع المخافة من فروج البلدان .

لها من أن تُشحن بالجيوش ، ولابدّ من ادرار العطاء عليهم ! فمن أين يُعطى هؤلاء اذا قُسمت الأرضون والعلوج ؟؟! » ؟ فقالوا جميعاً : « الرأي رأيك ، فنعم ما قلت وما رأيت ، ان لم تُشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال وتجري عليهم ما يتقوون به رجع أهل الكفر الى مدنهم » ، فقال : « بان لي الأمر ، فمن رجل له جزالة وعقل يضع الأرض مواضعها ويضع على العلوج ما يحتملون ؟ » فاجتمعوا على عثمان بن حُنَيْف وقالوا : « تبعثه الى أهم ذلك ، فأن له بصراً وعقلاً وتجربة » ، فأسرع اليه عمر وولاه مساحة الأرض ، فأدّت جباية سواد الكوفة قبل ان يموت عمر بعام مائة ألف ألف درهم ، والدرهم يومئذ درهم ودانقان ونصف ، وكان وزن الدرهم يومئذ وزن المثقال[٣٢٨] .

وقال عمر للذين أرادوه أن يقسم أرض الشام : « اذن أترك من بعدكم من المسلمين لا شيء لهم »[٣٢٩] ، ولم يقسم الأرض ، بل تركها لعمالها ليكون خراجها في أعطيات المسلمين .

ولم يقسم أرض مصر كما أسلفنا ، ليكون خراجها في أعطيات المسلمين أيضاً .

وكان عمل عمر هذا ، كما يقول الامام أبو يوسف في الخراج : « والذي رأى عمر من الأمتناع من قسمة الأرضين بين من افتتحها عندما عرّفه الله ما كان في كتابه من بيان ذلك ، توفيقاً من الله كان له فيما صنع وفيه الخيرة لجميع المسلمين ، وفيما رآه من جمع خراج ذلك وقسمته عموم النفع لجماعتهم ، لأن هذا لو لم يكن موقوفاً على الناس في الأعطيات والأرزاق لم تشحن الثغور ولم تقو الجيوش على السير في الجهاد ، ولما أمن رجوع أهل الكفر الى مدنهم اذا خلت من المقاتلة والمرتزقة »[٣٣٠] .

---

(٣٢٨) الخراج (٣٠ ــ ٣١) وانظر الخراج لقدامة بن جعفر ملحق بالمسالك والممالك (٢٣٧ ــ ٢٣٩) حول تفاصيل واردات السواد .

(٣٢٩) الخراج (٣١) .

اذا خلت من المقاتلة والمرتزقة »[330]

ولم تقف همة عمر على تأمين ركوب المقاتلين ورواتبهم وتأميم الأرض المفتوحة لتكون رصيداً لا ينضب لرواتب الجيوش وتسليحهم ونقلهم ، بل ذهبت همته الى أبعد من ذلك : تأمين السكن لهم .

ففي سنة سبع عشرة للهجرة (٦٣٨م) أرسل سعد بن أبى وقاص وفداً الى عمر بفتوح العراق ، فلما رآهم عمر سألهم عن تغيّر ألوانهم وحالهم فقالوا : « لوخومة البلاد عندنا » ، فأمرهم عمر أن يرتادوا منزلاً ينزله الناس[331] .

وقيل : بل كتب حُذيفة بن اليمان الى عمر : « أن العرب قد رقّت بطونها وجفّت أعضادها وتغيّرت ألوانها » ، وكان حذيفة مع سعد ، فكتب عمر الى سعد : « أخبرني ما الذي غيّر ألوان العرب ولحومهم » ، فكتب اليه سعد « ان الذي غيّرهم وخومة البلاد ، وأن العرب لا يوافقها الا ما وافق ابلها من البلدان » ، فكتب اليه عمر : « أن ابعث سلمان وحذيفة رائدين ، فليرتادا منزلاً برياً بحرياً ليس بيني وبينكم فيه بحر ولا جسر » ، فأرسلهما سعد ، فخرج سلمان حتى أتى (الأنبار) فسار في غربي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة . وسار حذيفة بن اليمان في شرقي الفرات لا يرضى شيئاً حتى أتى الكوفة ـ وكل رملة وحصباء مختلطين فهو كوفة ـ فأتيا عليها فأعجبتهما البقعة . فلما رجعا الى سعد وقدم كتاب عمر اليه أيضاً ، كتب سعد الى القعقاع بن عمرو وعبدالله بن المعتم أن يستخلفا على جندهما ويحضرا عنده . وارتحل سعد من المدائن حتى نزل الكوفة في المحرم سنة سبع عشرة هجرية ، فكتب الى عمر : « اني قد نزلت بالكوفة منزلاً فيما بين الحيرة والفرات برياً وبحرياً ، تنبت الحلفاء والنَّصِيّ ، وخيّرت المسلمين بينها وبين المدائن ، فمن أعجبه المقام بالمدائن تركته فيها كالمسلحة » . ولما استقروا بها رجع اليهم ما كانوا فقدوا من قوّتهم ، فاستأذن أهل الكوفة في بنيان القصب ، واستأذن فيه

---

(٣٣٠) الخراج (٣٢) .

(٣٣١) ابن الأثير (٢/٢٠٣) .

أهل البصرة أيضاً التي استقرّ منزل المسلمين فيها في الشهر الذى نـزل فيه أهل الـكوفة مدينتهم ، فـكتب اليهم : « ان العسكر أشـــد لحربـكم وأذكر لـكم ، ما أحبّ أن أخالفـكم » ، فابتني أهل المصرين بالقصب • ولـكن الحريق وقع في الـكوفة والبصرة ، فبعث سعد نفراً منهم الى عمر يستأذنونه في البنيان باللبن ، فقال : « افعلوا ولا يزيدنّ أحدكم على ثلاثة أبيات ولا تطاولوا في البنيان والزموا السُنّة تلزمـكم الدولة » ، وكتب عمر الى عتبة بن غزوان وأهل البصرة بمثل ذلك ، وقدّر المناهج أربعين ذراعاً ما بين ذلك عشرين ذراعاً والأزقة سـبع أذرع ليـس دون ذلـك شيء والقطائع ستين ذراعاً • وأول شيء خُط في البصرة والـكوفة مسجداهما ، وقام في وسطهما رجل شديد النزع فرمى في كل جهة بسهم وأمر أن يبنى ما وراء ذلك ، وبنى ظلة في مقدمة مسجد الـكوفة على أسـاطـين من رخام ، فبنى المسجد في مربعة لاجتماع الناس فيها لئلا يزدحموا ، وبنوا لسعد داراً بحياله وهي قصر الـكوفة[٣٣٢] •

وعزل عمر عتبة بن فَرْقَد السُلَمي[٣٣٣] عن الموصل وولاها عَرْفَجة البارقي ، وكان بها الحصن وبيع النصارى ومنازل لهم قليلة عند تلك البيع ومحله اليهود ، فحصرها عرفجة وأنزل العرب منازلهم واختط لهم ثم بنى المسجد الجامع[٣٣٤] •

كما أن عرفجة نزل (حديثة الموصل)[٣٣٥] وكانت قرية فيها بيعتان فحصرها واختطها قبل الموصل الحدباء[٣٣٦] •

---

(٣٣٢) الطبري (٣/١٤٧ ـ ١٥١) وأبن الأثير (٢/٢٠٣ ـ ٢٠٥) •
(٣٣٣) انظر ترجمته في : قادة فتح العراق والجزيرة (٤١٥ ـ ٤٢٢)•
(٣٣٤) البلاذري (٣٢٧) ومعجم البلدان (٣/٢٣٤) •
(٣٣٥) حديثة الموصل : بليدة كانت على دجلة بالجانب الشرقي قرب الزاب الاعلى • انظر التفاصيل في معجم البـــلدان (٣/٢٣٤) والمشترك وضعاً (١٢٣) •
(٣٣٦) معجم البلدان (٣/٢٣٤) •

وبنى أبو مدلاج التميمي (حديثة الفرات)[٣٣٧] في أيام عمر ، وكان قد بعثه عمر على رأس جيش يستقرى ما فوق الفرات[٣٣٨] .

ولما فتحت الأسكندرية رأى عمرو بن العاص بيوتها وبناءها مفروغاً منها فهم أن يسكنها وقال : « مساكن قد كُفيناها » ، فكتب الى عمر يستأذنه في ذلك ، فسأل عمر الرسول : « هل يحول بيني وبين المسلمين ماء ؟ » ، قال : « نعم يا أمير المؤمنين ، اذا جرى النيل » ؛ فكتب عمر الى عمرو : « ان لا أحبّ أن تُنزل المسلمين منزلاً يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف » ؛ فتحوّل عمرو من الأسكندرية الى (الفُسْطاط)[٣٣٩]، فاختطها عمرو وأسكنها المسلمين[٣٤٠] .

وبنى معاوية بن ابي سفيان في عهد عمر (جبلة)[٣٤١] بعد خرابها واجلاء أهلها عنها ، وكانت حصناً للروم جلوا عنه عند فتح المسلمين (حمص) ، وشحنها معاوية بالرجال وبنى حصناً خارجاً عن الحصن الرومي ، وسكن المسلمون هذه المدينة[٣٤٢] .

---

(٣٣٧) حديثة الفرات : مدينة على فراسخ من الأنبار وبها قلعة حصينة في وسط الفرات والماء محيط بها . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٣٥/٣) والمشترك وضعاً (١٢٣) .

(٣٣٨) معجم البلدان (٢٣٥/٣) .

(٣٣٩) الفسطاط : سميت الفسطاط ، لأن عمرو بن العاص لما أراد التوجه الى الاسكندريه لقتال من بها من الروم ، أمر بنزع فسطاطه ، فأذا فيه يمام قد فرخ ، فقال عمرو : « لقد تحرّم منا بمتحرّم ؛ فأمر به فأقر كما هو ، وأوصى به صاحب القصر . فلما قفل المسلمون من الاسكندرية قالوا : « أين ننزل ؟ فقالوا : « الفسطاط » لفساط عمرو الذي خلّفه ، وكان مضروباً بموضع الدار التي تعرف اليوم بدار الحصى عند دار عمرو الصغيرة اليوم . انظر فتح مصر والمغرب (١٣٣) ومعجم البلدان (٣٧٩/٦ - ٣٨٠) » .

(٣٤٠) فتح مصر والمغرب (١٣٣ ـ ١٣٤) ومعجم البلدان (٣٧٩ـ٣٨٤) والمسالك والممالك لابن خرداذبة (٨٤) وأحسن التقاسيم (١٩٧) وانظر زبدة كشف الممالك (٣٠) والبلدان لابن الفقيه (٥٩) .

(٣٤١) قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥٣/٣) .

(٣٤٢) انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥٣/٣) والمشترك وضعاً (٩٥ ـ ٩٦) .

وبنى عثمان بن ابي العاصي (تَوّج)[٣٤٣] وبنى المساجد وجعلها داراً للمسلمين وأسكنها عبدالقيس وغيرهم وذلك في أيام عمر بن الخطاب[٣٤٤] •

لقد كانت الجزيرة العربية قاعدة الفتح الاسلامي التي انطلقت منها جيوش المسلمين لفتح العراق وأرض الشام ، فلما فتحت العراق والشام ، كان لابد من انشاء قواعد متقدمة لانطلاق الفتح منها شرقاً وغرباً ، فكانت الكوفة والبصرة القاعدتين الأماميتين لانطلاق الفتح نحو الشرق ، وكانت مدن أرض الشام ومنها دمشق وجبلة القواعد الامامية لانطلاق الفتح نحو الغرب •

وبعد فتح مصر ، كانت الفسطاط القاعدة المتقدمة لانطلاق الفتح منها الى افريقية ، وكانت (توّج) وبعض مدن فارس القواعد المتقدمة لانطلاق الفتح الى حدود الصين شرقاً والى السند جنوباً الى حدود سيبريا شمالاً • كما كانت مدينة الموصل القاعدة الأمامية لانطلاق الفتح منها الى شمال العراق والى آذربيجان •

ولكن هذه المدن الجديدة كانت بالأضافة الى ذلك معسكرات كبرى للجيوش الاسلامية سكنها المسلمون واستقروا فيها وعوائلهم وذووهم ، فأصبحت مواطن لهم بعد نزوحهم عن مواطنهم الاولى في الصحراء أو في حواضر شبه الجزيرة العربية •

لقد ضمن عمر أمر سكنى الجنود وعوائلهم ، فكان المسلمون في صدر الأسلام اذا فتحوا بلداً جعلوا مساكنهم في بعض ضواحيه أو في مواضع مناسبة يختارونها ، وكانوا يسمون هذه المراكز (ثُكناً)[٣٤٥] • وكان المسلمون اذا فتحوا مدينة قريبة من العدو أو عند ساحل ، وضعوا فيها

---

(٣٤٣) توّج : مدينة بفارس قريبة من كازرون • انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٤٣٦) •

(٣٤٤) معجم البلدان (٢/٤٣٦) •

(٣٤٥) ثكنة : اللواء ومجمع الجند جمعها : ثكن وثكنات •

حامية من الرجال لحمايتها ، ولم تكن هذه المراكز العسكرية الا معسكرات ومضارب خيام في بادىء الأمر ، مصّرها القواد فتحولت الى مدن كبيرة على ممرّ السنين : زاهرة بالعلوم والفنون والآداب ، زاخـــرة بالمقاتلين من الجنود وبالسلاح والمؤن والتجهيزات ، حافلة بالعيال ، مواجه بالأيـدى العاملة فلاحين يعدّون الغلاّت وعمالاً يصنعون الأسلحة وأرباب حرف يعدون النسيج ويخيطونه[٣٤٦] .

ان عمر ذهب الى مدى أبعد من ذلك في الحـــرص على راحـــة المجاهدين وأمورهم كافة . فقد كتب الا تحبس الجيوش بعيدة عن عوائلها أكثر من أربعة أشهر ، فبينما كان يطوف في أرجاء المدينة ليلاً سمع امرأة تقول :

تطاول هذا الليل واسودّ جانبه وأرّقني أن لا خليل ألاعبـــه
فـوالله لـولا الله إني أراقبـه لزحزح من هذا السرير جوانبه

فقال عمر : « مالك ؟! » ، فقالت : « أغزيت زوجي منذ أشهر وقـد اشتقت اليه » ، فقال : « أردت سوءاً ؟! » ، فقالت معـاذ الله » ، فقـال : « فاملـكي عليك نفسك ، فانما هو البريد اليه » ، فبعث اليه . ثـم دخـل على حفصة أم المؤمنين ابنته فقال : « اني سائلك عن أمر قد أهمّني ، فافرجيه عني . كم تشتاق المرأة الى زوجها ؟ » ، فخفضت رأسها واستحيت ، فقال : « ان الله لا يستحي من الحق » فأشارت بيدهـا ثلاثة والا فأربعـة أشهر ، فـكتب عمر الا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر[٣٤٧] .

بل كان عمر يخلف الغزاة في أهليهم[٣٤٨] .

---

(٣٤٦) انظر مقال : جيش المسلمين في عهد بني أمية في المجلد الرابع الجزء الثاني من مجلة المجمع العلمي العـراقي الصـادرة في (١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م) .

(٣٤٧) تاريخ الخلفاء (٩٦) . هناك رواية أن مدة بقاء المجاهد ستة اشهر .

(٣٤٨) تاريخ عمر (٤٧) .

ذلك هو عمر بن الخطاب أمير المؤمنين والقائد الأعلى للجيوش الأسلامية : يُعدّ الخطط السوقية لجيوشه ، ويسهر على مراقبة تنفيذ تلك الخطط ، ويحشد أكبر عدد ممكن من الرجال قبل خوض المعارك ليضمن لهم النصر ، ويمد جيوشه بالإمدادات المتعاقبة ، ويوحّد العرب في شبه الجزيرة العربية ليطمئن الى سلامة قاعدته الأمينة ، ويؤمن العطاء للمجاهدين ولذويهم ، ويجعل الأرض المفتوحة كلها رصيداً لهذا العطاء ، ويضمن السكن للجنود ولعوائلهم ، ولا يترك الجنود بعيدين عن عوائلهم أكثر من أربعة أشهر حفاظاً على معنوياتهم ومعنويات عوائلهم ، ويخالف الغزاة بأهليهم ••• ولست أعرف قائدا أعلى كانت القيادة العليا بعض واجباته فعل أكثر مما فعله عمر في سبيل جيوشه مادياً ومعنوياً •

لقد طبق عمر الحرب الأجماعية[٣٤٩] قبل أربعة عشر قرناً، فلا يزعم أحد أن الألمان أول من طبّقها في الحرب العلمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) •

لقد وضع المسلمون (الضمان الاجتماعي) للجنود موضع التنفيذ قبل أن تحلم به أوربة وأمريكا باربعة عشر قرناً ، فلا يقولنّ قائل : ان من مزايا هؤلاء ضمان الرواتب للجنود ولأسرهم في حياتهم وبعد موتهم ، وضمان سكناهم وراحتهم في كل أرض يحلّونها ؛ فقد كان نصيب المسلمين من كل ذلك في عهد عمر أوفر نصيب[٣٥٠] •••

ان أعمال عمر العسكرية يمكن أن تكون مثلاً أعلى لكل قائد أعلى ، ويمكن أن تكون أعماله دروساً في الكليات العسكرية وكليات الأركان في كل مكان •

انها أروع ما سجّله التاريخ العسكري في صفحاته للأمم

---

(٣٤٩) الحرب الاجماعية : أو الحرب الاعتصابية ، من التعابير العسكرية الحديثة ، ومعناها : تحشيد الأمة ومرافقها المادية المعنوية للحرب • انظر الامة في الحرب للمارشال لودندروف •

(٣٥٠) انظر مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد الرابع الجزء الثاني ص (٦٥٠) •

كافة ، وستبقى نموذجاً حياً ومثلاً أعلى يحتذيه كل قائــد في أية أمة بكل زمان ومكان •

١٠ ـ حرب انسانية :

الحرب في الاسلام حرب انسانية من دون شك ، والشواهد على ذلك ما جاء في القرآن الـكريم وفي السنّة النبوية[٣٥١] وما طبّقه الرســول القائــد عملياً في الحرب[٣٥٢] •

ولـكن العبرة دائـماً في التطبيق العملي لا في النظريات والتعاليـم المـكتوبة ، وكثيراً ما يـكون قانون ما مثالياً في أهــدافه ومراميه ، ولـكن الأساءة في تطبيقه تجعل من ذلك القانون حبراً على ورق ليس الا •

فتعاليم الحرب في الأسلام تحتّم : الوفـاء بالعهود وتحـريم الغـدر والخيانة في الظاهر والخفاء ، واحترام الانسانية وتـكريم البشرية والدعوة الى الاخاء الشامل ، واعتبار الفضيلة والتقوى أساس العلاقات الدولية فـي الحرب والسلم ، والرحمة في الحرب ، والعدالة المطـــلقة ، والمعــاملة بالمثل[٣٥٣] ؛ وافساح الطريق للدعوة الجديدة ومنع الفتنة في الدين ، واقرار السلام[٣٥٤] •

تلك هي بعض تعاليم الأسلام في الحرب ، فـكيف وضعها عمر في حيّز التنفيذ العملي ؟؟

استدعى عمر سعد بن ابي وقاص بعد تعيينه قائـداً عامـاً في العراق وأوصاه بقوله : « يا سعد ، سعد بنى وهيب ! لا يغرنك من الله ان قيل : خال

---

(٣٥١) انظر : القتال في الاســـلام في كتاب : الرســول القائــد (١٩ ـ ٣٣) •
(٣٥٢) الرسول القائد (٣٣٢ ـ ٣٤٠) •
(٣٥٣) انظر كتاب : آثار الحرب في الفقه الاسلامي (١٢٥ ـ ١٣١) •
(٣٥٤) انظر كتاب الفن الحربي في صدر الاسلام (٧٠ ـ ٧٢) •

رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، فان الله عزّ وجل لا يمحو السيىء بالسيىء ، ولكنه يمحو السيىء بالحسن ! وليس بين الله وبين أحد سبب الا طاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم في دين الله سواء : يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة ؛ فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلزمه ، فانه الأمر »(٣٥٥) .

هكذا يوصي عمر سعداً بالالتزام بأوامر النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعثه الى ميدان القتال .

وحين علم سعد باجتماع الجيوش الفارسية ، كتب الى عمر ، فكتب اليه عمر : « لا يكربنّك ما يأتيك عنهم ، واستعن بالله وتوكل عليه ، وابعث اليه رجالاً من أهل المناظرة والرأي والجلد يدعونه ، فان الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم » ، فأرسل سعد بعض رجالات المسلمين الى كسرى (يزدجرد) ؛ فسألهم : ما جاء بكم ؟ وما دعاكم الى غزونا والولوع ببلادنا ؟ أمن أجل اننا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا ؟ » ، فقال النعمان بن مُقَرِّن المزني الذي كان أحد اعضاء الوفد العربي الاسلامي : « ان الله أرسل الينا رسولاً يأمرنا بالخير وينهانا عن الشر ، ووعدنا على اجابته خير الدنيا والآخرة ، فلم يدع قبيلة الا وقاربه منها فرقة وتباعد عنه بها فرقة ؛ ثم أمر ان نبدىء الى من خالفه من العرب ، فبدأنا بهم فدخلوا معه على وجهين : مكره عليه فاغتبط ، وطائع فازداد ، فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذى كنّا عليه من العداوة والضيق ؛ ثم أمرنا بأن نبتدىء بمن يلينا من الأمم فندعوهم الى الأنصاف ، فنحن ندعوكم الى ديننا وهو دين حسّن الحسن وقبّح القبيح كله فان أبيتم فامر من الشر هو أهون من آخر شرّ منه ـ الجزية ، فان أبيتم فالمناجزة ؛ فان أجبتم الى ديننا خلّفنا فيكم كتاب الله وأقمنا على ان تحكموا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم ، وان بذلتم الجزى قبلنا ومنعناكم والا قاتلناكم » ... وبعد نقاش بين الجانبين عاد الوفد الى سعد ،

---

(٣٥٥) الطبري (٣ ـ ٤ ـ ٥) وابن الأثير (١٧٣/٢) .

وقد اشتد ذلك على الملك وجلسائه[٣٥٦] .

وهكذا لم يدّخر عمر وسعاً لتجنّب الحرب : عرض تعاليم القتال في الاسلام وهي الاسلام أو الجزية أو القتال كحل اخير ... وأرسل المفاوضين لعرض رأي المسلمين في القتال ببساطة وصراحة ... والحرب في الاسلام كالكي الذي هو آخر الدواء ...

وبعد معركة (جلولاء) بعث سعد بالأخماس الى عمر وبعث حسابها مع زياد بن أبيه ، فكلّم عمر بما جاء له ووصف له ؛ فقال عمر : « هل تستطيع أن تقوم في الناس بمثل ما كلّمتني به ؟ » ، فقال : « والله ما على وجه الأرض أهيب في صدري منك ، فكيف لا أقوى على هذا من غيرك ؟! » . وقدم الخمس على عمر فقال : « والله لا يجَنّه سقف حتى أقسمه » فبات عبدالرحمن بن عوف وعبدالله بن الأرقم يحرسانه في المسجد . وأصبح الصباح فجاء عمر وكشف عن المال ، فلما نظر الى يافوته وزبرجده وجوهره بكى ، فقال عبدالرحمن بن عوف : « ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟! فوالله ان هذا لموطن شكر » ، فقال عمر : « والله ماذاك يبكيني ، وبالله ما أعطى الله هذا قوماً الا تحاسدوا وتباغضوا ، ولا تحاسدوا الا ألقى الله بينهم بأسهم »[٣٥٧] .

ان عمر لم يكن ينظر الى الحرب كوسيلة لجمع الغنائم والمال ، بل انه رأى ببصيرته النافذة أثر الغنى السيىء على النفوس ، فهو يفشي بين الناس العداوة ، وهو يشيع بينهم الترف ولن يكون بعد العداوة والترف الا التردي والأنهيار .

وبعث أبو سبرة بن ابي رهم بعد فتح (تستر) وأسر (الهرمزان) وفداً الى عمر فيهم انس بن مالك والأحنف بن قيس ومعهم (الهرمزان) ، فقدموا به المدينة وألبسوه كسوته من الديباج الذي فيه الذهب وتاجه وكان مكللاً بالياقوت وحليته ليراه عمر والمسلمون ؛ فطلبوا عمر فلم يجدوه ،

---

(٣٥٦) ابن الأثير (٢/١٧٥ ــ ١٧٦) .
(٣٥٧) ابن الاثير (٢/٢٠٢) .

فسألوا عنه ، فقيل : جلس في المسجد لوفد من الكوفة ••• فوجدوه في المسجد متوسداً برنسه ـ وكان قد لبسه للوفد ، فلما قام الناس عنه توسّد ونام • وجلس الوفد ومعهم (الهرمزان)دونه وهو نائم ، والدرّة في يده ؛ فقال الهرمزان : « أين عمر ؟ » ، قالوا : « هو ذا ! » ، فقال : « أين حرسه وحجّابه ؟! » ، فقالوا : « ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب ! » ، فقال : « فينبغي أن يكون نبياً ! » ، فقالوا : « بل يعمل بعمل الأنبياء » ؛ فاستيقظ عمر بجلبة الناس واستوى جالساً ، ثم نظر الى الهرمزان فقال : « الهرمزان ؟ » ، فقالوا : « نعم » ، فقال : « الحمد لله الذي أذلّ بالأسلام هذا وغيره أشباهه » ، فأمر بنزع ما عليه ، فنزعوه وألبسوه ثوباً صفيقاً فقال له عمر : « يا هرمزان ! كيف رأيت عاقبة الغدر وعاقبة أمر الله » ، فقال : « يا عمر ! إنا وإياكم في الجاهلية كان الله قد خلّى بيننا وبينكم فغلبناكم ، فلما كان الآن معكم غلبتمونا » • قال عمر : « فما حجتك وما عذرك في انتقاضك مرة بعد أخرى ؟ » : فقال : « أخاف أن تقتلني قبل أن أخبرك ! » ، فقال عمر : « لا تخف ذلك » • واستسقى الهرمزان ماء فأتى به في قدح غليظ ، فقال : « لو مت عطشاً لم أستطع أن أشرب في مثل هذا » ، فأتى بالماء في اناء يرضاه فقال : « اني أخاف أن أُقتل وأنا أشرب » ، فقال عمر : « لا بأس عليك حتى تشربه » ، فأكفأه فقال عمر : « أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش » ، فقال الهرمزان : « لا حاجة لي في الماء ، انما أردتُ أن أستأمن به » ، فقال عمر : « اني قاتلك » ، فقال : « قد أمنتني » ، فقال عمر : « كذبت ! » ، فقال أنس : « صدق يا أمير المؤمنين قد أمنته ، فقال : « يا أنس ! أنا أؤمن قاتل مجزاة بن ثور والبراء ابن مالك ؟ والله لتأتينّ بمخرج أو لأعاقبنّك » ، فقال أنس : « قلت له : لا بأس عليك حتى تخبرني ، ولا بأس عليك حتى تشربه » ، وقال له من حوله مثل ذلك ، فأقبل على الهرمزان وقال : « خدعتني ! والله لا انخدع الا ان تسلم » ، فأسلم الهرمزان ففرض له عمر الفين وأنزله المدينة •••

وقال عمر للوفد : «لعلّ المسلمين يؤذون أهل الذمة ، فلهذا ينتقضون

بـكم ؟ » ، فقالوا : « ما نعلم الا وفاءً »[٣٥٧] .

هكذا يُمضي عمر أمان منتقض نقض العهود مرات وكبّد المسلمين خسائر فادحة بالأرواح والمواد بخدعة ماكرة ، وهو القادر على أخذ ثارات شهداء المسلمين منه باشارة عابرة ...

وكتب عمر الى النعمان بنُ مَقرّن المزني قبل معركـة (نهاوند) الحاسمة : « اذا لقيتم العدو فلا تفرّوا ، واذا غنمتم فلا تغُلّوا »[٣٥٨] .

وكتب عمر الى سعد بن ابي وقاص : « ... فان لاعب أحد منـكم أحداً من العجم بأمان أو قرفه[٣٥٩] باشـارة أو بلسـان كان لا يـدري الأعجمي ما كلّمه به وكان عندهم أماناً ، فاجروا ذلك له مجرى الامان ، واياكم والضحك ، والوفاءَ الوفاء ، فان الخطأ بالوفاء بقيّة ، وان الخطأ بالغدر الهلـكة وفيها وهنكم وقوّة عدوكم وذهاب ريحكم واقبال ريحهم ، واعلموا اني أحذّركم أن تكونوا شيناً على المسلمين وسبباً لتوهينهم »[٣٦٠].

وهـكذا يأمر عمر قادته بامضاء الأمان حتى ولو كان باشارة عابرة ... ويأمر بالوفاء ويحثّ عليه ، ويعتبر حتى الخطأ بالوفاء كرامة والخطأ بالغدر هلـكة ومهانة ...

وكان عمر يقول عند عقد الألوية لقادته : « بسم الله وبالله وعـلى عون الله . أمضوا بتأييد الله ، وما النصر الا من عند الله ، ولزوم الحـق والصبر ، فقاتلوا في سبيل الله من كفر بالله ، ولا تعتدوا ان الله لا يحبّ المعتدين ؛ ولا تجبنوا عند اللقاء ، ولا تمثّلوا عند القدرة ، ولا تسرفوا عند الظهور[٣٦١] ، ولا تقتلوا هرماً ولا امرأة ولا وليداً ، وتوقّوا قتلهم اذا التقى الزحفان وعند شنّ الغارات »[٣٦٢] .

---

(٣٥٧) ابن الأثير (٢/٢١٢ ـ ٢١٣) .
(٣٥٨) الخراج (٤٠) ، والغل : الخيانة .
(٣٥٩) قرف : قرف قرفا ، كذب وخلّط .
(٣٦٠) الطبري (٣/١٢) .
(٣٦١) الظهور : الغلبة من قولهم : ظهر على عدوه اذا غلبه .
(٣٦٢) العقد الفريد (١/٦٦) .

وحاصر المسلمون (جَنْدَ يَسَابُور)[٣٦٣] سنة سبع عشرة هجرية ، فأقاموا عليها يقاتلون أهلها ، فَرُمِيَ الى من بها من عسكر المسلمين بالأمان ، فلم يفجأ المسلمين الا وقد فتحت أبوابها وخرج أهلها ، فسألهم المسلمون فقالوا:«رميتم بالأمان فقبلنا وأقررنا بالجزية»، فقال المسلمون: « ما فعلنا ! » • وسأل المسلمون فاذا عبد يدعى (مكنفاً) كان أصله من (جند يسابور) هو الذي رمى اليهم بالأمان ، فقالوا : « هو عبد » فقال أهل المدينة : « لا نعرف العبد من الحر ، وقد قبلنا الجزية وما بدلنا ؛ فان شئتم فاغدروا » ؛ فكتب المسلمون الى عمر فأجاز أمانهم ، فأمنوهم وانصرفوا عنهم[٣٦٣أ] •••

انه أجاز أمان عبد ، تصرّف من تلقاء نفسه بتحيّز ظاهر لقومه أهل المدينة وبدون علم المسلمين قادة وجنوداً ••• ومع ذلك أجاز عمر أمانه •

يا للروعة ••• يا للعدل ••• يا للسماحة •••

ان عمر كان يخوض غمار حرب عادلة[٣٦٤] لها بواعث معروفة ولها أهداف معلومة ، لذلك كانت حربه حرباً انسانية بكل ما في الأنسانية من معان •••

١١ ــ الثقة المتبادلة :

لا نجاح لقائد أو زعيم أو كل مسؤول ، ما لم يكن موضع ثقة الناس به : يثق به رؤساؤه ، ويثق هو برؤسائه ، ويثق برجاله ويثقون به ، ويثق بنفسه ويعرف قيمتها ويضعها بالموضع اللائق بها •

كان عمر موضع ثقة النبي صلى الله عليه وسلم به منذ أسلم عمر

---

(٣٦٣) جند يسابور : مدينة بالاهواز بناها سابور بن أردشير فنسبت اليه • انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٤٩/٣) •

(٣٦٣ أ) ابن الاثير (٢١٤/٢) •

(٣٦٤) الحرب العادلة : هي حرب توجه ضد شعب ارتكب ظلما نحو شعب آخر ولم يشأ رفعه • انظر كتاب : الرسول القائد (٣٣٢) •

حتى التحـق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى •

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما طلعت الشمس ولا غَرَبت على رجل خير من عمر »(٣٦٥) • وقال : « ان الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه »(٣٦٦) • وقال عن عمر وعن ابي بـكر « هذان سيدا كُهول أهل الجنة من الأولين والآخرين ، الا النبيين والمرسلين »(٣٦٧) • وقال : « بينا أنا نائم شربت (يعني اللبن) حتى انظر الى الري يجري في ظفري أو في أظفاري ، ثم ناولت عمر » ، قالوا : « فما أوّلته ؟ » ، قـال : « العلم »(٣٦٨) • وقال : « بينا أنا نـائم ، رأيت الناس يعرضون وعليهم قُمص منها ما يبلغ الثدي ، ومنها ما يبلغ دون ذلك ، ومرّ عمر بن الخطـاب وعليه قميص يجرّه » ، قالوا : « ماذا أوّلت ذلـك يا رسـول الله ؟ » ، قال : « الدين »(٣٦٩) •

وقال عليه الصلاة والسلام : « إيـهاً يا ابن الخطاب ! والذي نفسي بيده ، ما لقيك الشيطان سالـكاً فجاً قط الا سـلك فجاً غيره »(٣٧٠) ، وعمر أحد الذين بشّرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة(٣٧١) • وقال عبدالله ابن هشام : « كنا مـع النبي صلى الله عليه وسـلم وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب »(٣٧٢) • واستأذن عمر النبي صلى الله عليه وسلم بالعمرة فقال : « يا أخي لا تنسانا من دعائك » ، وقال بعد في المدينة : « يا أخي أشركنا في دعائك » ، فقال عمر : « ما أحبّ أن لي بها ما طلعت عليه الشمس بقوله :

---

(٣٦٥) أخرجه الترمذي • انظر تيسير الوصول (٣/٢٦٦) •
(٣٦٦) تيسير الوصول (٣/٢٦٦ ـ ٢٦٧) •
(٣٦٧) اخرجه الترمذي • انظر تيسير الوصول (٣/٢٦٨ ـ ٢٦٩) •
(٣٦٨) فتح الباري بشرح البخاري (٧/٣٦) •
(٣٦٩) شرح الامام النووى على صحيح الامام مسلم (٥/١٤٦) •
(٣٧٠) فتح الباري بشرح البخاري (٧/٣٨) •
(٣٧١) فتح الباري بشرح البخاري (٧/٤٣) •
(٣٧٢) فتح البارى بشرح البخاري (٧/٤٣) •

يا أخي »[٣٧٣] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « عمر بن الخطاب معي حيث أحب ، وأنا معه حيث يحبّ . الحق بعدي مع عمر بن الخطاب حيث كان »[٣٧٤]. وقال : « هذا الرجل لا يحبّ الباطل »[٣٧٥] . وقال : « أشدّ أمتي في أمر الله عمر »[٣٧٦] .

ذلك مبلغ ثقة النبي صلى الله عليه وسلم بعمر . أما أبو بكر الصديق ، فقد كان عمر ساعده الأيمن ووزيره الأول ومستشاره الأقدم وصديقه الحميم : بايعه يوم السقيفة قائلاً للناس : « أيكم يطيبُ نفساً أن يخلف قدمين قدّمها النبي صلى الله عليه وسلم ؟ » ، وأتى الذين تخلّفوا عن بيعة أبي بكر الصديق فأخذهم للبيعة ، وكان أبو بكر قبل مبايعته قد قال : « قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين : عمر وأبا عبيدة أمين هذه الأمة »[٣٧٧] .

وحين أنفذ أبو بكر الصديق جيش أسامة بن زيد قال لأسامة : « ان رأيت ان تعينني بعمر فافعل » فاذن اسامة لعمر بالبقاء الى جانب أبي بكر[٣٧٨] .

وكان عمر في المجلس الاستشاري الأعلى للحرب في أيام أبي بكر ، فأعانه على تحمّل أعباء حرب الردّة والفتوح كما ذكرنا .

وكان عمر على القضاء طيلة عهد ابي بكر الصديق ، وقد مكث سنة لا يأتيه رجلان[٣٧٩] .

ولما ثَقُل أبو بكر وحضرته الوفاة ، استخلف عمر ، فدخل عليه من

---

(٣٧٣) تاريخ عمر (١٦) .
(٣٧٤) تاريخ عمر (١٧) .
(٣٧٥) تاريخ عمر (١٧) .
(٣٧٦) تاريخ عمر (١٨) .
(٣٧٧) ابن الاثير (٢/١٢٣ ـ ١٢٤) .
(٣٧٨) ابن الاثير (١٢٧) .
(٣٧٩) ابن الاثير (٢/١٦١) .

يقول : ماذا تقول لربك اذا قدمت عليه غداً وقد استخلفت علينا ابن الخطاب ؟ » ، فقال أبو بكر : « أجلسوني ! أبالله ترهبونني ؟ أقول : استخلفت عليهم خيرهم »[٣٨٠] .

ذلك هو مبلغ ثقة ابي بكر بعمر ، أما ثقة الناس به ، فقد ذكر عبدالله بن عباس قال : « اني لواقف في قوم يدعون الله لعمر بن الخطاب وقد وُضع على سريره ، اذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول : يرحمك الله ! ان كنت لأرجو أن يجعلك مع صاحبيك ، لأني كثيراً ما كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : كنت وأبو بكر وعمر ، وفعلت وأبو بكر وعمر ، وانطلقت وأبو بكر وعمر ، فان كنت لأرجو أن يجعلك الله معهما . فالتفتّ فاذا هو علي بن ابي طالب »[٣٨١] .

وقال علي بن ابي طالب : « ما خلّفت أحداً أحبّ الّي أن ألقى الله بمثل عمله منك » الحديث[٣٨٢] ، وهو يقصد عمر .

ولما طُعن عمر جعل يألم ، فقال له ابن عباس وكأنه يجزعه[٣٨٣] : « يا أمير المؤمنين ! ولئن كان ذاك فقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنت صحبته ، ثم فارقته وهو راضٍ . ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته ، ثم فارقت وهو عنك راضٍ . ثم صحبتهم[٣٨٤] فأحسنت صحبتهم ولئن فارقتهم لتفارقنّهم وهم عنك راضون »[٣٨٥] .

وقالت أم أيْمن يوم أصيب عمر : « اليوم وَهَنَ الاسلام » . وقال طارق بن شهاب : « كان رأي عمر كيقين رجل » . وقال عبدالرحمن ابن غَنْم يوم مات عمر : « اليوم أصبح الاسلام مولياً ، ما رجل بأرض

---

(٣٨٠) طبقات ابن سعد (٣/٢٧٤) .
(٣٨١) فتح الباري بشرح البخاري (٧/٣٣) .
(٣٨٢) فتح الباري بشرح البخاري (٧/٣٩) .
(٣٨٣) يجزعه : يزيل عنه الجزع .
(٣٨٤) صحبتهم : أي المسلمين .
(٣٨٥) فتح الباري بشرح البخاري (٤٢ ـ ٤٣) .

فلاة يطلبه العدو فأتاه آتٍ فقال له : خُذْ حَذَرَك بأشد فراراً من الأسلام اليوم »[٣٨٦] .

وجاء عبدالله بن سلام وقد صُلّي على عمر فقال : « والله لئن كنتم سبقتموني بالصلاة عليه لا تسبقوني بالثناء عليه . نِعْمَ أخو الأسلام كنت يا عمر ، جواداً بالحق ، بخيلاً بالباطل ، ترضى حين الرضى وتغضب حين الغضب ، عفيف الطرف طيّب الظرْف ، لم تكن مداحاً ولا مُغتاباً »[٣٨٧] .

وقال عبدالله بن مسعود: «كان عمر حصناً حصيْناً للاسلام يدخلون فيه ولا يخرجون منه ، فلما مات عمر انثلم الحصن ، فالناس يخرجون من الأسلام »[٣٨٨] .

ولما مات عمر بكى سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل ، فقيل له : « ما يبكيك ؟ » ، فقال : « لا يَبْعَدِ الحقّ وأهله ، اليوم يهي أمر الأسلام » ، وقال : « على الأسلام أبكي . ان موت عمر ثلم الأسلام ثلمة لا تُرْتق الى يوم القيامة » . وقال الحسن : « أي أهل بيت لم يَجِدوا فَقْدَ عمر ، فهم أهل بيت سوء »[٣٨٩] . كالرجل المدبر لا يزداد الا بُعْداً » . وقال أيضاً : « انما مثل الأسلام أيام عمر مثل امرىء مقبل لم يزل في اقبال ، فلما قتل أدبر فلم يزل في ادبار »[٣٩٠] .

ولما قتل عمر قال حذيفة : « اليوم ترك الناس حافة الأسلام ، وايْمُ الله لقد جار هؤلاء القوم عن القصد حتى لقد حال دونه وُعورة ، ما يُبصرون القصد ولا يهتدون له » . وقال أنس بن مالك : « لما أصيب عمر قال أبو طلحة : ما من أهل بيت من العرب حاضرٍ ولا بادٍ ، الا قد

---

(٣٨٦) طبقات ابن سعد (٣/٣٦٩) .
(٣٨٧) طبقات ابن سعد (٣/٣٦٩) .
(٣٨٨) طبقات ابن سعد (٣/٣٧١) .
(٣٨٩) طبقات ابن سعد (٣/٣٧٢) .
(٣٩٠) طبقات ابن سعد (٣/٣٧٣) .

دخل عليهم بقتل عمر نقص »[٣٩١] .

وقال أبو عبيدة بن الجراح يوماً وهو يذكر عمر « ان مات عمر رقّ الاسلام ، وما أحبّ أن لي ما تطلع عليه الشمس أو تغرب واني ابقى بعد عمر » ، فقال قائل : « ولِمَ ؟؟ » ، فقال : « ستروون ما أقول ان بقيتم . أما هو فان وَليَ والٍ بعد عمر فأخذهم بما كان عمر يأخذهم به لم يُطعْ له الناسُ ولم يَحْمِلوه ، وان ضَعُفَ عنهم قتلوه »[٣٩٢] .

وقال حذيفة : « ما يَحبِسُ البلاءَ عنكم فراسخ الا موته في عنق رجل كتب الله عليه أن يموت » ، يعني : عمر[٣٩٣] .

وقال علي : « اذا ذكر الصالحون ، فحيهلا[٣٩٤] بعمر ! ماكنّا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر »[٣٩٥] وقال عبدالله بن عمر : « ما رأيت أحداً قط بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين قُبض كان أجد وأجود حتى انتهى من عمر بن الخطاب »[٣٩٦] . وقال حذيفة : كأنّ علم الناس كان مدسوساً في حجر عمر » ، وقال أيضا : « والله ما أعرف رجلاً لا تأخذه في الله لومة لائم غير عمر » . وذكرت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عمر يوماً فقالت : « كان والله أحوذياً نسيج وحده »[٣٩٧] .

وقال طلحة بن عبيدالله : « ما كان عمر بأولنا اسلاماً ولا أقدمنا

---

(٣٩١) طبقات ابن سعد (٣/٣٧٣ ـ ٣٧٤) .
(٣٩٢) طبقات ابن سعد (٣/٣٧٢) .
(٣٩٣) طبقات ابن سعد (٣/٣٧٣) .
(٣٩٤) حيهلا : أي ابدأ به واعجل بذكره ، وهما كلمتان جعلتا كلمة واحدة .
(٣٩٥) رواه الطبراني في الاوسط . انظر تاريخ الخلفاء (٨١) .
(٣٩٦) فتح الباري بشرح البخاري (٧/٤٠) .
(٣٩٧) الاحوذي : الجاد المنكمش في أموره الحسن السبّاق للامور الجليلة . ونسيج وحده : رجل لا عيب فيه . وأصله أن الثوب النفيس لا ينسج على منواله غيره . ولا يقال هذا الا في المدح . انظر تاريخ الخلفاء (٨١) .

هجرة ، ولـكنه أزهدنا في الدنيا وأرغبنا في الآخرة »[398] . وقال الحسن : « ما فضل عمر على أصحـاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم أنـه كان أطولهم صلاة وأكثرهم صياماً ، ولـكنه كان أزهدهم في الدنيا ، وأشدّهم في أمر الله »[399] ، وكان نقش خاتمه الذي اصطنعه لنفسه : « كفى بالموت واعظاً ياعمر »[400] .

وقال رجل من قريش لعلي بن ابي طالب : « يا أمير المؤمنين ! نسمعك تقول في الخطبة آنفاً : اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشديـن المهتدين ، فمن هم ؟ » فاغرورقت عيناه ثم أهملهما فقال : « هم حبيباي وعمّاك : أبو بـكر وعمر ، اماما الهدى ، وشيخا الأسلام ، ورجلا قريش ، والمقتدى بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من اقتدى بهما عصم ، ومن اتبع آثارها هدى الى صراط مستقيم ، ومن تمسّك بهما فهو من حزب الله ، وحزب الله هم المفلحون » . وقال علي « ان الله عزّ وجل جعل أبـا بكر وعمر حجّة على من بعدهم من الولاة الى يوم القيامة ؛ سبقا والله سبقاً بعيداً ، وأتعبا من بعدهما اتعاباً شديداً » . وقال وهو على المنبر : « والذي خلق الحبّة وبرأ النسمة ، لا يحبهما (يعني أبا بـكر وعمر) الا مؤمن فاضل ، ولا يبغضهما ويخالفهما الا شقيّ مارق ؛ فحبهما قربة وبغضهمـا مروق . ما بال أقوام يذكرون أخـوي رسول الله ووزيـريه وصـاحبيه وسيدي قريش وأبوي المسلمين ؛ فأنا بريء ممن يذكرهما بسوء وعليـه معاقب »[401] .

لقد أجمع الناس على غـزارة علمه وألمعية فهمه وزهده وتواضعه ورفقه بالمسلمين وانصافه ووقوفه مع الحق وتعظيمه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدّة متابعته له واهتمامه بمصالح المسلمين واكرامه أهـــل

---

(٣٩٨) الرياض النضرة (١/٢٦٠) .
(٣٩٩) العقد الفريد (٣/٦٩) .
(٤٠٠) الرياض النضرة (٢/٨٩) .
(٤٠١) تاريخ عمر (٢٤ ـ ٢٥) .

الفضل والخير ، ومحاسنه أكثر من أن تُستَقْصَى[٤٠٢]. سريرته خير من علانيته[٤٠٣] ، خير الناس وأقواهم عليهم[٤٠٤] .

لقد كان عمر قوياً أمينا ، نقيا ورعا ، عادلا لا يظلم ، أمينا لا يخون ، غيوراً لا يفجر ، وفيا لا يغدر ، صادقا لا يكذب ، شجاعا لا يجبن ، متواضعا لا يتكبر ، نزيها لا يغل ، حريصا لا يفتر ، كريما لا يبخل ، صريحا لا يلتوي ، واضحا لا يتلوّن ، عزيزاً لا يذل ، مقداما لا يتردّد ، حازما لا يخور ، حذرا لا يغلب ، عالما لا يجهل ، ذكيا أبيا شهما ... لذلك كان موضع ثقة رجاله به ومحط آمالهم ومناط رجائهم .

أما ثقة عمر بنفسه ، فلا أول لها ولا آخر .

خطب عمر فقال : « أما بعد . فقد ابتليت بكم وابتليتم بي ، وخلفت فيكم بعد صاحبي . فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا ، ومهما غاب عنّا وليّنا أهل القوة والأمانة ؛ فمن يُحسن نزده حسناً ، ومن يسيء نعاقبه »[٤٠٥] . وقال : « ليَعْلَمْ منَ وليَ هذا الامر من بعدي ان سيُريدُه عنه القريب والبعيد . اني لأقاتل الناس عن نفسي قتالا ، ولو علمت أن أحداً من الناس أقوى عليه مني ، لكنت أُقدَّم فتضرب عنقي أحب اليّ من أن أَليَه »[٤٠٦] .

وخطب يوماً فقال : « يا أيها الناس ! اني قد وليت عليكم ، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم وأقواكم عليكم وأشدّكم استضلاعاً بما ينوب من مهم أموركم ، ما توليّت ذلك منكم ... »[٤٠٧] .

وكان اذا قيل له : اتق الله فرح وشكر قائله ، وكان يقول : « رحم

---

(٤٠٢) القسم الاول من تهذيب الاسماء واللغات (٢/٥) .
(٤٠٣) القسم الاول من تهذيب الاسماء واللغات (٢/١١) .
(٤٠٤) القسم الاول من تهذيب الاسماء واللغات (٢/١٢) .
(٤٠٥) طبقات ابن سعد (٣/٢٧٤) .
(٤٠٦) طبقات ابن سعد (٣/٢٧٥) .
(٤٠٧) الطبري (٣/٢٨٢) والموجود في كتب اللغة : اضطلاعاً لا استضلاعاً .

الله امرءاً أهدى إلى عيوبي »[٤٠٨] ، وقال : « أحبّ الناس اليّ من رفع اليّ عيوبي »[٤٠٩] .

ولما قدم عمر الشام ، لقيه الجنود وعليه ازار وخفّان وعمامة وهو آخذ برأس راحلته يخوض الماء قد خلع خفّيه وجعلها تحت ابطه ؛ فقالوا له : « يا أمير المؤمنين ! الآن تلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت على هذه الحال ! » ، فقال « إنا قوم أعزّنا الله بالأسلام ، فلا نلتمس العزّ من غيره »[٤١٠] .

لقد كان عمر يثق بنفسه ويعرف قيمتها ويعتمد على شمائلها لا على المظاهر الزائفه والدعاوى الفارغة .

بل ان عمر لم يكن موضع ثقة رؤسائه ومرؤوسيه ، بل كان موضع ثقة الناس حتى أعدائه ! فقد حضر أبو عبيدة بن الجراح حصر بيت المقدس ، فطلب أهله منه أن يصالحهم على صلح أهل الشام وأن يكون المتولي للعقد عمر بن الخطاب ، فكتب أبو عبيدة الى عمر بذلك ؛ فسار عن المدينة المنورة واستخلف عليها علي بن أبي طالب[٤١١] .

ترى ! هل يفقه الزعماء والرؤساء والملوك ... الخ ، كيف يستطيعون الاستحواذ على ثقة شعوبهم كما استحوذ عمر وأمثاله من أمراء المسلمين على قلوب رعاياهم ، أم على قلوب أقفالها ؟؟

١٢ ـ المحبة المتبادلة :

كان عمر يحب رؤساءه ويحب مرؤسيه ويبادلونه حباً بحب .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه : « أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة ، فقال : متى الساعة ؟ قال : وماذا أعددت لها ؟ قال : لا شيء الا أني أحبّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . فقال : أنت مع مَنْ

---

(٤٠٨) الرياض النضرة (٦٥/٢) .
(٤٠٩) طبقات ابن سعد (٢٩٣/٣) .
(٤١٠) الرياض النضرة (٦٥/٢) .
(٤١١) ابن الاثير (١٩٣/٢) والطبري (١٠٤/٣) .

أحببت . قال أنس : فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : أنت مع من أحببت . قال أنس : فأنا أحبّ النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر ، وأرجو أن أكون معهم بحبيّ اياهم وان لم أعمل بمثل أعمالهم »[412] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حبّ أبي بكر وعمر من الأيمان ، وبغضهما من الكفر »[413] . وعن انس بن مالك قال : « كان صالحو السلف يعلّمون أولادهم حبّ أبي بكر وعمر كما يعلمونهم السورة من القرآن »[414] .

وقال أبو بكر الصديق : « ما على ظهر الأرض رجل احبّ اليّ من عمر »[415] .

وعن ابي وائل قال : « قدم علينا عبدالله بن مسعود فنعى الينا عمر ، فلم أر يوماً أكثر باكياً ولا حزيناً منه » ، ثم قال : « والله لو أعلم أن عمر يحب كلباً لأحببته ، والله لأحسب العضاهَ قد وجد على فقد عمر »[416] .

وقد ذكرنا فيما سلف كثيراً من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال أصحابه في عمر مما يدل على حبّهم العميق له ، كما ذكرنا كثيراً من سجايا وأعمال عمر التي هي في صميمها خدمة نادرة للناس ودليل حبّه العميق لهم .

ان تعاليم الأسلام كلّها تحثّ على الخلق الكريم والمحبة والأخاء ، وقد كان عمر من المؤمنين حقاً الذين يحرصون كل الحرص على تطبيق تلك التعاليم : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

---

(٤١٢) فتح الباري بشرح البخاري (٧/٤٠) .
(٤١٣) تاريخ عمر (١٧٩) .
(٤١٤) تاريخ عمر (١٧٩) .
(٤١٥) تاريخ الخلفاء (٨١) .
(٤١٦) تاريخ عمر (١٧٥ ـ ١٧٦) .

١٣ ـ الشخصية النافذة :

كان عمر شخصية قوية في قريش قبل اسلامه ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهمّ أعزّ الأسلام بأحب الرجلين اليك : بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب » ، فكان أحبهما اليه عمر[٤١٧] ؛ وقال : « اللهم أعزّ الدين بعمر بن الخطاب[٤١٨] .

ولما أسلم عمر ظهر الاسلام ودعي اليه علانية ، وجلس المسلمون حيث البيت حلَقاً وطافوا بالبيت وانتصفوا ممن غلظ عليهم وردوا عليه بعض ما يأتي به[٤١٩] ؛ فما زال المسلمون أعزة منذ أسلم عمر[٤٢٠] ، وقد قاتل المشركين بمكة حتى تركوا المسلمين يصلون بالبيت العتيق[٤٢١] .

وهاجر عمر علناً ، قال علي بن ابي طالب : « ما علمت أحداً هاجر الا مختفياً الا عمر بن الخطاب ... الخ[٤٢٢] ؛ ... هاجر علناً متحدياً قريشاً كلها .

لقد كان مهيباً ، قال سعد بن ابي وقاص : « استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهنّ ، فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك . فقال عمر : اضحك الله سنّك يا رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عجبت من هؤلاء اللاتي كنّ عندي ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب ! قال عمر : فأنت يا رسول الله احقّ أن يهبن ثم قال عمر : أي عدوّات أنفسهنّ ! أتهبنني ولا

---

(٤١٧) أخرجه الترمذي . انظر تيسير الوصول (٣/٢٦٦) وطبقات بن سعد (٣/٢٦٧) .

(٤١٨) طبقات ابن سعد (٣/٢٦٧) .

(٤١٩) طبقات ابن سعد (٣/٢٦٩) .

(٤٢٠) طبقات ابن سعد (٣/٢٧٠) .

(٤٢١) طبقات ابن سعد (٣/٢٧٠) .

(٤٢٢) تاريخ الخلفاء (٧٨) .

تهين رسول الله صلي الله عليه وسلم ؟ قلن : نعم ، أنت أغلظ وأفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده ، مالقيك الشيطان قط سالكاً فجاً الا سلك فجاً غير فجك »[٤٢٣] .

وكان الذين يعرفون عمر أهيب له من الذين يجهلونه ، وتلك علامة على ان هيبته كانت قوة نفس تملأ الأنظار . وربما اجترأ عليه من لم يعرفه ولم يختبره لتجافيه عن الخيلاء وقلّة اكترائه بالمظهر والثياب . أما الذين عرفوه واختبروه ، فقد كان يروعهم على المفاجأة روعة لا تذهبها الألفة وطول المعاشرة[٤٢٤] .

كان عمر يمشي مرة وخلفه عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ بدا لـه فالتفت ، فما بقي منهم أحد الا وجب لركبتيه ساقطاً ؟ فأرسل عمر عينيه بالبـكاء ثم قال :« اللهمّ انك تعلم اني منك أشدّ فرقاً منهم مني »[٤٢٥] .

وكلّم نفر من المسلمين عبدالرحمن بن عوف فقالوا : « كلّم عمر بن الخطاب فانه قد أخشانا حتى والله ما نستطيع أن نديم اليه أبصارنا » . وذكر عبدالرحمن ذلك لعمر فقال : « اوقد قالوا ذلك ؟ والله لقـد لنتُ حتى تخوّفت الله في ذلك ، ولقد اشتددت عليهم حتى خفت الله في ذلك . وايم الله ، لأنا أشد منهم فرقاً من الله منهم مني »[٤٢٦] .

ولقي رجل من قريش عمر ، فقال : « لِنْ لنا فقد ملأت قلوبنـا مهابة ! » ، فقال : « أفي ذلك ظلم ؟ » ، قال : « لا » قال : « فزادني الله

---

(٤٢٣) شرح النووي على مسلم (٥/١٤٩ ـ ١٥٠) وفتح البـاري بشرح البخاري (٣٧/٧ ـ ٣٨) .
(٤٢٤) عبقرية عمر (٢٤) .
(٤٢٥) تاريخ عمر (٩٩) .
(٤٢٦) تاريخ عمر (١٠٠) .

في صدوركم مهابة »[٤٢٧] .

وعن عبدالله بن عباس قال : « مكثت سنة وأنا أريد أن اسأل عمر بن الخطاب عن آية ؛ فلا أستطيع أن أسأله هيبة »[٤٢٨] .

لقد فرضت سجايا عمر الفذّة شخصيته على النفوس : ذكي لامع الذكاء ، عاقل حكيم ، قوي في الحق ، زاهد في الدنيا ... حريص على مصائر الناس ، لا يخشى في الله لومة لائم ... يملأ منصبه ولا يملؤه منصبه .

قيل لعثمان : « مالك لا تكون مثل عمر ؟ » ، فقال : « لا أستطيع أن أكون مثل لقمان الحكيم »[٤٢٩] .

وقال الحسن : « ما فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان أطولهم صلاة وأكثرهم صياماً ، ولكنه كان أزهدهم في الدنيا ، واشدّهم في أمر الله »[٤٣٠] .

وسئل ابن عباس عن عمر فقال : « كان كالطير الحذر الذي يرى أن له بكل طريق شركاً يأخذه »[٤٣١] .

وذكر المغيرة بن شعبة عمر فقال : « كان والله له فضل يمنعه أن يخدع ، وعقل يمنعه أن ينخدع » . وقال عمر « لست بخبٍ ولا الخبّ يخدعني »[٤٣٢] .

تلك المزايا وغيرها جعلت شخصية عمر لها قيمتها المرموقة عند الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام والتابعين من بعدهم وعند المسلمين وغير المسلمين منذ كان عمر حتى الآن .

---

(٤٢٧) تاريخ عمر (١٠٠) .
(٤٢٨) تاريخ عمر (١٥٥) .
(٤٢٩) العقد الفريد (٣/٦٩) .
(٤٣٠) العقد الفريد (٣/٦٩) .
(٤٣١) تاريخ الخلفاء (٨٢) .
(٤٣٢) العقد الفريد (٣/٦٩) .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم جالساً فسمع لغطاً وصوت صبيان ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا حبشية تزفن[٤٣٤] والصبيان حولها ، فقال : « يا عائشة ! تعالي فانظري » ، فطلع عمر فارفض[٤٣٥] الناس عن الحبشية ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « انى لأنظر الى شياطين الأنس والجن قد فرّوا من عمر »[٤٣٦] .

وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض مغازيه ، فجاءت جارية سوداء فقالت : « يا رسول الله ! انى قد كنت نذرت ان ردّك الله سالماً أن اضرب بين يديك بالدفّ وأتغنّى » فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان كنت نذرت فاضربي ، والا فلا » ، فجعلت تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب ، ثم دخل علي وهي تضرب ، ثم دخل عثمان وهي تضرب ، ثم دخل عمر فألقت الدفّ تحت استها وقعدت عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الشيطان ليخاف منك يا عمر . اني كنت جالساً وهي تضرب ، ثم دخل أبو بكر وهي تضرب ، ثم دخل علي وهي تضرب ، ثم دخل عثمان وهي تضرب ، فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدفّ »[٤٣٧] .

وعن عائشة أم المؤمنين قالت : « دخلت امرأة من الأنصار اليّ فقالت : اني أعطيت الله عهداً اذا رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في أمن لأنقرنّ على رأسه بالدفّ . فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : قولي لها فلتف بما حلفت . فقامت بالدفّ على رأس النبي صلى الله عليه وسلم فنقرت نقرتين أو ثلاثاً ، فاستفتح عمر ، فسقط من يدها الدفّ وأسرعت الى خدر عائشة ، فقالت لها عائشة : مالك ؟ قالت سمعت صوت عمر فهبته ، فقال رسول الله صلى عليه وسلم : ان الشيطان ليفرّ من حسّ عمر »[٤٣٨] .

---

(٤٣٤) تزفن : ترقص .
(٤٣٥) ارفض : تفرّق .
(٤٣٦) اخرجه الترمذي . انظر الرياض النضرة (١/٢٧١) .
(٤٣٧) اخرجه الترمذي . انظر الرياض النضرة (١/٢٧١) .
(٤٣٨) تاريخ الخلفاء (٢٧١ ـ ٢٧٢) .

ان من حكمة الرسول عليه الصلاة والسلام ، انه كان يرعى تلك الهيبة رضى عنها واغتباطاً بأثرها في نصرة الحق وهزيمة الباطل ، وتأمين الخير والصدق واخافة أهل البغي والبهتان •

وكان من عوامل قوة شخصية عمر ، انه كان له رأيه الخاص يقوله واضحاً صريحاًحتى في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم التى تتطامن عندها الجباه ، وأولها جبهة عمر •

أبدى رأيه في مقام ابراهيم وفي الحجاب وفي أسارى بدر ، فوافقه القرآن الكريم فى تلك الثلاث[٤٣٩] • كما ذكرنا سابقاً •

ولكنه أبدى رأيه الصريح الواضح فى أمور أخرى للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلما ردّ عليه النبي صلى الله عليه وسلم بحجته اقتنع عمر وسمع وأطاع •

قال عبدالله بن عمر « لما توفى عبدالله بن أُبيّ ابن سلول جاء ابنه عبدالله بن عبدالله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يعطيه قميصه حتى يكفّن فيه أباه ، فاعطاه • ثم سأله أن يصلي علبه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه ، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! أتصلي عليه وقد نهاك الله عزّ وجل أن تصلي عليه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: انما خيَّرني الله ، فقال: (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم • ان تستغفر لهم سبعين مرة)[٤٤٠] وسأزيده على سبعين • قال : انه منافق ! فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله : (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) »[٤٤١] •

---

(٤٣٩) النووي على مسلم (٥/١٥٠) •
(٤٤٠) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٨٠) •
(٤٤١) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٨٤) • و انظر هذا الحديث الشريف في شرح النووى على صحيح مسلم (٥/١٥٠) •

وفي غزوة (الحديبية)[٤٤٢] بعد المفاوضات بين المسلمين وقريش ، بعثت قريش سُهيل بن عمرو اخا بني عامر بن لؤي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقالوا : ائت محمداً فصالحه ، ولا يكن في صلحه الا أن يرجع عنّا عامَهُ هذا ، فوالله لا تحدّث العرب عنّا انّه دخلها علينا عَنْوَة أبدا • وأتاه سهيل فتكلم وأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح ؛ فلما التأم الأمر ولم يبق الا الكتاب ، وثب عمر فأتى أبا بكر فقال : « يا أبا بكر ! أليس برسول الله ؟ » ، قال : « بلى ! » ، قال : « أولسنا بالمسلمين ؟ » ، قال : « بلى ! » ، قال : « أوليسوا بالمشركين ؟ » ، قال : « بلى ! » ، قال : « فعلام نُعْطي الدنية في ديننا ؟ » ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أنا عبدالله ورسوله ولن أخالف أمره ، ولن يضيعني » ؛ فكان عمر يقول : ما زلت أتصدّق واصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ ، مخافة كلامي الذى تكلمت به حين رجوت أن يكون خيراً »[٤٤٣] •

هكذا يبدي رأيه واضحاً صريحاً ، ولكنه يسمع ويطيع عندما يقول أو يأمر نبيه وقائدهُ • ان واجبه أن يبدي رأيه ولا عليه ان أخذ برأيه أولا ••• المهم أن يكون له رأى مستقل يبديه مخلصاً لأنه مقتنع به •

ولكن ليس كل انسان يبدي رأيه مخلصاً صريحاً واضحاً ••• وأين في الناس فتى مثل عمر ؟؟

وفي أيام ابي بكر كان عمر يبدي رأيه صريحاً واضحاً بكل اخلاص:أبدى رأيه في أمر جيش اسامة،وأبدى رأيه في أمر قتال أهل الردة، وأبدى رأيه في أمر عزل خالد بن الوليد ••• وابدى رأيه في كثير من الأمور ، ولكنه كان يقف عند حدود ابداء الرأي ، ثم يسمع ويطيع •••

وفي عهده أبدى رأيه مجتهداً في كثير من الأمور : في المؤلفة قلوبهم ، وفي المتعة ، وفي تأميم الأرض المفتوحة ••• الخ مما سبق ذكره ، وحمل

---

(٤٤٢) انظر الرسول القائد (١٧٧ ـ ١٩٣) •

(٤٤٣) سيرة ابن هشام (٣/٣٦٥ ـ ٣٦٦) •

الناس على ابرام آرائـه بعد استشارات طويلة ومناقشات كثيرة ...

وقد خضع العرب وخضعت قريش لأوامره ، فلما مات كان كمـا قال أبو عبيدة بن الجراح : « ان ولي والٍ بعد عمر فأخذهم بما كان عمر يأخذهم به لم يُطِعْ له الناس ولم يحملوه ، وان ضعف عنهـم قتلوه »[444] .

ذلك أن عمر كان يعرف قدر نفسه ولا يتهاون لحظة في التغاضي عن واجبه تجاه الناس ، ولـكنه أيضاً كان لا يتهاون لحظه عن حقوقه على الناس .

أُتي عمر بمال فجعل يَقْسِمُه بين الناس ، فازدحموا عليه ، فأقبل سعد بن ابي وقاص يُزاحم الناس حتى خلص اليه ، فعلاه عمر بالدرّة وقال : « انك أقبلت لا تهاب سلطان الله في الأرض ، فأحببت أن أعلمـك ان سلطان الله لن يهابك »[445] .

لقد كان عمر قوي النفس بالغاً في القوة النفسية ، ولـكنه على قوته البالغة لم يكن من أصحاب الطمع والاقتحام ، ولم يكن ممن يندفعون الى الغلبة والتوسع في الجاه والسلطان ، بغير دافع يحفزه اليه وهو كاره ، لانه كان مفطوراً على العدل واعطاء الحقوق والتزام الحرمات ما التزمها الناس من حوله ...

والى ذلك أشار عمر في قول صريح حين قال لمن هابوه وتحدّثـوا بخوف الناس منه : « بلغني أن الناس هابوا شدّتي وخافوا غلظتي وقالوا : قد كان عمر يشتد علينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، ثم اشتدّ علينا وأبو بـكر والينا دونه ، فـكيف وقد صارت الأمور اليه ؟ ومن قال ذلك فقد صدق ! فقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فـكنت عبده وخادمه ، وكان من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة ، وكان كما قال الله : (بالمؤمنين رؤوف رحيم) ، فـكنت بين يديه سيفـاً

(٤٤٤) طبقات ابن سعد (٣/٢٧٢) .

(٤٤٥) طبقات ابن سعد (٣/٢٨٧) وانظر الطبري (٣/ ٢٨٠) .

مسلولاً حتى يغمدني أو يدعني فأمضي . فلم أزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راض ، والحمد لله على ذلك كثيرا ، وأنا به أسعد .

« ثم ولي أمر المسلمين أبو بكر ، فكان من لا ينكرون دعه وكرمه ولينه ، فكنت خادمه وعونه ، أخلط شدّتي بلينه ، فأكون سيفاً مسلولاً حتى يغمدني أو يدعني فأمضي ؟ فلم أزل معه كذلك حتى قبضه الله عزّ وجل وهو عني راض فاعلموا أن تلك الشدّة قد اضعفت ولكنها انما تكون على أهل الظلم والتعدي على أهل المسلمين ؟ فأما أهل السلامة والدين والقصد ، فأنا ألين لهم من بعض لبعض »[٤٤٦] .

تلك هي عوامل قوة شخصية عمر وشدة سيطرته على الرعية وعظم هيبته في النفوس : استقامة مثالية ، وحرص على المصلحة العامة ، وقوة في الحق ، وقابلية على تفهّم الامور ومعالجتها ، ونفرّغ كامل لواجباته يؤديها على أحسن وجه ، ولحقوقه يطالب بها على أحسن صورة ...

١٤ ـ الماضي الناصع المجيد :

ابو عمر هو الخطاب بن نُفَيْل من بني عَدِيّ وينسب الى عَدِيّ ، فيقال : العَدوي[٤٤٧] يكنى : أبا حفص ، وأمه حَنْتَمَةُ بنت هاشم بن المغيرة المخزومي[٤٤٨] .

وبنو عدي بطن من عشرة أبطن من قريش انتهى اليها الشرف قبل الاسلام[٤٤٩] ، وكانت الى عمر السفارة في الجاهلية[٤٥٠] ، فكانت قريش

---

(٤٤٦) انظر عبقرية خالد (١٧ ـ ١٨) .
(٤٤٧) المعارف (١٧٩) .
(٤٤٨) الاستيعاب (٣/١١٤٤) وفيه ان من ذكر ان حنتمه بنت هشام ابن المغيرة فهو مخطىء . وانظر القسم الاول (٣/٢) من كتاب تهذيب الاسماء واللغات .
(٤٤٩) سيرة ابن هشام (١/١٤٣) .
(٤٥٠) الاصابة (٤/٢٧٩) .

اذا وقعت الحرب بينهم أو بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيراً ، واذا نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر بعثوه منافراً أو مفاخراً[٤٥١] .

كان بعد اسلامه يدعى : الفاروق ، لأنه أعلن الأسلام ونادى به والناس يخفونه ، ففرق بين الحق والباطل ؛ وكان المسلمون تسعة وثلاثين رجلاً وامرأة بمكة ، فكمّلهم عمر أربعين[٤٥٢] .

لقد خدم عمر الاسلام والمسلمين بعد اسلامه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي عهد الصديق ابي بكر بما لا مزيد عليه من خدمة ، فلم يجد أبو بكر أفضل من عمر ليوليه الخلافة من بعده .

وقد خدم عمر الاسلام والمسلمين في أيام خلافته بما لا مزيد عليه من خدمة ، لذلك كان موته خسارة عامة للاسلام والمسلمين كما مرّ بنا .

كان عمر كريم الأب والأم ، يجتمع نسبه مع الرسول صلى الله عليه وسلم في الجد السابع من جهة أبيه[٤٥٣] ، ويجتمع معه من جهة أمه في الجد السادس[٤٥٤] .

ولد بمكة قبل حرب الفجار الأعظم[٤٥٥] ، وفي رواية أخرى انه ولد بعد الرسول صلى الله عليه وسلم بثلاث عشرة سنة ، أي في سنة

---

(٤٥١) تاريخ الخلفاء (٧٤) وبلوغ الارب (١/١٥٠) .

(٤٥٢) المعارف (١٨٠) .

(٤٥٣) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزّى بن رياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي . انظر أسد الغابة (٤/٥٢) وجمهرة أنساب العرب (١٥٠ - ١٥١) .

(٤٥٤) حنتمه بنت هاشم بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم . انظر أسد الغابة (٤/٥٢) وجمهرة أنساب العرب (١٤٤) .

(٤٥٥) انظر أسد الغابة (٤/٥٣) . والفجار هي حروب وقعت بين قبائل من عرب الحجاز في الاشهر الحرم ، وهي الشهور التي يحرم فيها القتال . وكان الفجار الاعظم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم بست وعشرين سنة ، وقد شهدها النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن اربع عشرة سنة ، وقال : « كنت أنبل على أعمامي يوم الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة » ، يعني أناولهم النبل . انظر تفاصيل حروب الفجار في : أيام العرب قبل الاسلام (٣٢٢ - ٣٣٧) .

(٥٨٤م)[٤٥٦] . وكان في صغره يرعى الغنم لأبيه ، ثم احترف التجارة ، وكان يختلف فيها الى بلاد الشام ؛ فاتسعت مداركه وتجاربه بما شاهده من أحوال هذه البلاد وطرق التعامل واخلاق الناس .

وكان من أشد معارضي الاسلام قبل اسلامه ، فلما أسلم أصبح من أقوى مؤيدي الاسلام .

شدّ أزر الاسلام في أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان وزيره ومستشاره المقرّب،وكان من المهاجرين الأولين وممن صلى الى القبلتين وشهد سائر المشاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم وثبت في (أحد) ويوم (حُنَين). أعز الله به الاسلام وسماه النبي صلى الله عليه وسلم : عبقرياً ومحدثاً وسراج أهل الجنة وفاروقاً ، وقد بشّره بالجنة[٤٥٧] .

والى عمر يرجع الفضل في تولية أبي بكر الخلافة ، وحسم النزاع الذي أوشك أن يتفاقم بين المهاجرين والأنصار على أثر التحاق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى .

وكان عمر الوزير الاول لابي بكر وقاضي المسلمين وساعده الايمن في حرب الردّة وفي حروب الفتح ، وكان موضع ثقة أبي بكر فأوصى بتوليته من بعده .

وعمر أول من كتب بالتاريخ الهجري ، وأول من حضّ على جمع القرآن ، وأول من جمع الناس على قيام رمضان ، وأول من عسّ في عمله وحمل الدرّة وأدّب بها . ووضع الخراج ومصّر الأمصار واستقضى القضاة ودوّن الدواوين وفرض الأعطية ، وفتح الله على يده أوسع البلاد وأهمها وأخصبها[٤٥٨] .

وعمر أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد السابقين الأولين ، وأحد الخلفاء الراشدين ، وأحد أصهار النبي صلى الله عليه وسلم ، وأحد

---

(٤٥٦) انظر : زعماء الاسلام (٢٥) .
(٤٥٧) الرياض النضرة (٢/٣) .
(٤٥٨) الرياض النضرة (٢/٣) .

كبار علماء الصحابة وزهادهم[459] .

وكان عمر أول من وضع النظام السياسي للدولة الأسلامية ، ونظم ادارتها ؛ وكانت سياسته ترمي الى تماسك بلاد العرب ، وادخال القبائل بعضها في بعض لتكون أمة واحدة هي الامة العربية[460] تحت لواء الاسلام .

ولما اتسعت الدولة الأسلامية في عهده ، قسّم البلاد أقساما ادارية كبيرة ، ليسهل حكمها والاشراف على موارد ثروتها ، وعيّن لهذه الولايات عمالاً أو ولاة لادارتها .

وكان يسأل الرعية اذا قدموا عليه عن أميرهم ، فاذا قالوا : خيراً ، سألهم : « هل يعود مرضاكم ؟ هل يعود العبد ؟ كيف صنيعه بالضعيف وهل يجلس على بابه ؟ » ، فاذا لم يكن عامله كما يريد عزله[461] . ولم يك له باب ولا حجاب ، يصلي الصلاة ثم يقعد فيكلمه الناس[462] .

وقد عزم عمر على الطواف بالبلاد الاسلامية (ليرى) مشاكل الناس بعينه ، ولا يكتفي (بالسماع) عنها بأذنيه ، وشتان بين ان (ترى) بعينيك ، وأن تسمع بأذنيك !

وفي عهد عمر توّطدت دعائم الاسلام واتّسعت رقعة دولته ، فمهّد بذلك السبيل لامتداد نفوذ الاسلام من الصين شرقاً الى أعماق أوربة غرباً والى حدود سيبريا شمالاً الى المحيط جنوباً .

لاعجب بعد كل ذلك أن يترحّم عليه علي بن ابي طالب ويقول : « ما خلّفت أحداً أحبّ أن القى الله بمثل عمله منك »[463] .

لقد كان لعمر ماضٍ ناصع مجيد في كل أدوار حياته : مرؤوساً

---

(٤٥٩) تاريخ الخلفاء (٧٤) .
(٤٦٠) زعماء الاسلام (٢٣) .
(٤٦١) انظر الشخصيات البارزة (١٩٢) .
(٤٦٢) الطبري (٣/٢٧٢) .
(٤٦٣) فتح الباري بشرح البخاري (٧/٣٩) وشرح النووى على مسلم (٥/١٤٦) وسنن ابن ماجة (١/٢٦) .

ورئيساً ، حاكماً ومحكوماً ، قاضياً ومشرعا ، اداريا وقائدا ، في السر والعلانيه ، في الحرب والسلم ، في الناس وفي أهله ... في كل عمل من أعماله العامة والخاصة ...

لقد جمع المجد بحق من أطرافه ، فكان ملء السمع والبصر في حياته ، ملء صفحات التاريخ بعد موته .

انه مثال لكل ملك وأمير وزعيم ورئيس ، يريد لأمته المجد والرفعة والبقاء ، ولنفسه رضى الله وعلوّ الذكر حياً وميتاً ...

فهل من معتبر ، أم غرّتهم الحياة الدنيا وغرّهم عن واقعهم من حولهم من المنافقين ؟؟

عمر في التاريخ :

بوفاة عمر رضي الله عنه ، ختم أروع فصل في تاريخ الاسلام والمسلمين منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم الى آخر الدهر ؛ فلم يعرف المسلمون ، وما أراهم سيعرفون في يوم من الأيام خليفة يشبه عمر من قريب أو بعيد ؛ فقد رأيت أنه كان أزهد خلفاء المسلمين وملوكهم في الدنيا وأشدّهم لها ازدراء وأعظمهم منها نفورا .

لقد فتح بلاد الفرس كلها ، وفتح الشام والجزيرة ومصر وبرقة ، ولم يستطع خليفة بعده أن يزيد على ذلك الا ما كان من فتح افريقية أيام عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، ومن المضي في هذا الفتح الى المحيط ، ومن فتح الأندلس أيام بني أمية .

ولم يعرف المسلمون بعد عمر خليفة أو ملكاً جعل بيت المال ملكاً للمسلمين ينفق منه على الجيوش المحاربة ، ويعين منه من احتاج الى المعونة ، ويوفّر ما بقي منه ليشيعه بين المسلمين رجالهم ونسائهم وأطفالهم ، يأخذون منه أعطياتهم كل عام ، تسعى اليهم هذه الأعطيات دون أن يتكلّفوا مشقة في طلبها ، سواء في ذلك منهم القريب والبعيد . وقد رأيت انه كان

يحمل بنفسه المال الى البادية القريبة من المدينة ومكة فيعطيه للناس في ايديهم ، وقد رأيت كذلك في عام الرمادة انه كان يحمل الطعام على ظهره ويسعى به الى الأعراب النازلين حول المدينة ، وربما طبخه لهم بنفسه ، ولم يعرف المسلمون ملكاً أو خليفة بعده عني بحماية الذميين والرفق بهم في أمرهم كله كما عني به عمر .

ثم لم يعرف المسلمون خليفة أو ملكاً بعده عني مِثْلَهُ بأمر الدين واقامة الحدود وتأديب الناس في الصغير والكبير من أعمالهم ، وعلّم المسلمين دينهم رفيقاً بهم ، حريصاً على أن تستقيم لهم أمور دنياهم ، على أن يجنّبهم ما يؤخذون به في آخرتهم ما استطاع الى ذلك سبيلا ...

فعل هذا كله حتى بلغ منه ما لم يبلغ الخلفاء والملوك في الاسلام وفي الارض التي لم تُسْلِم ؛ فلسنا نعرف اليوم بلداً يوفّر فيه الرزق على الناس من بيت المال أو من خزائن الدولة ، دون أن يمنعهم ذلك من العمل لأنفسهم وللناس ومن التزيّد في الكسب والتوسّع في الغنى .

ولم يكن عمر يعرف قانوناً الا القرآن الكريم والسنة الشريفة ، ولم تكن له شرطة يستعين بها على حفظ الأمن والنظام ، ولكنه ساس المسلمين على نحوٍ جعلهم جميعاً شرطة له في المدينة وشرطة لولاته في الأمصار ؛ فليس غريباً وهو الذي فعل هذا كلّه وأكثر من هذا كلّه ، أن تكون الفاجعة بموته عظيمة والخطب به جليلا[٤٦٤] .

قال الأحنف بن قيس : « كنّا جلوساً بباب عمر ، فمرّت جارية فقالوا : سريّة أمير المؤمنين ، فقال : ما هي لأمير المؤمنين بسرية ولا تحلّ له ، انها من مال الله ! فقلنا : فماذا يحلّ له من مال الله تعالى ؟ فقال : « انه لا يحلّ لعمر من مال الله الا حُلّتَان : حلّة للشتاء ، وحلّة للصيف ، وما أحجّ به وأعتمر ، وقوتي وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم ، ثم أنا بعد رجل من المسلمين ؟ »[٤٦٥] .

ولكن ما هو نوع الحلتين اللتين يرتديهما عمر ، وما نفقة حجّه

---

(٤٦٤) الشيخان (٢٤٧ ـ ٢٤٩) .
(٤٦٥) تاريخ عمر (٨٧) .

وعمرته ، وما هو نوع قوته وقوت أهله ؟؟ ...

قال أنس بن مالك : « رأيت عمر بن الخطاب وهو يومئذ أمير المؤمنين وقد رقع بين كتفيه برقاع لبدَ بعضها فوق بعض ». وقال :« رأيت عمر بن الخطاب يرمي جمرة العقبة وعليه ازار مرقوع بفروٍ وهو يومئذٍ والٍ » . وقال : « رأيت بين كتفي عمر أربع رقاع في قميص له »[٤٦٦] .

وانفق عمر في حجته ستة عشر ديناراً ، فقال : « يا عبدالله بن عمر ! أسرفنا في هذا المال ! »[٤٦٧] وأنفق في حجته مرة اخرى خمسة عشر ديناراً[٤٦٨] ، وقد خرج الى مكة فما ضرب فسطاطاً حتى رجع وكان يستظل بالنّطع[٤٦٩] .

وقدم أبو موسى الأشعري في وفد أهل البصرة على عمر فقالوا : « كنا ندخل كل يوم وله خبز ثلاث ، فربما وافقناها مأدومة بزيت ، وربما وافقناها بسمن ، وربما وافقناها باللبن ، وربما وافقناها بالقدائد اليابسة قد دُقت ثم أغلي بها ، وربما وافقنا اللحم الغريض وهو قليل . . فقال لنا يوماً : أيها القوم ! اني والله لقد أرى تعذيركم وكراهيتكم لطعامي ، واني والله لو شئت لكنت أطيبكم طعاماً وأرفعكم عيشاً ، أما والله ما أجهل عن كراكر وأسنمة وعن صلا وصناب وصلائق ، لكني سمعت الله عزّ وجل ثناؤه عيّر قوماً بأمر فعلوه ، فقال : (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) »[٤٧٠] .

وقال الربيع بن زياد الحارثي لعمر: « ان أحق الناس بطعام ليّن ومركب ليّن وملبس ليّن لأنت » ، فرفع عمر جريدة معه فضرب بها رأسه وقال : « أما والله ما أراك أردت بها الله وما أردت بها الا مقاربتي »[٤٧١] .

---

(٤٦٦) طبقات ابن سعد (٣/٣٢٧) وانظر صفة الصفوة (١/١٠٨) .
(٤٦٧) طبقات ابن سعد (٣/٣٠٨) .
(٤٦٨) طبقات ابن سعد (٣/٢٧٩) .
(٤٦٩) طبقات ابن سعد (٣/٢٧٩) والنطع : بساط من الجلد .
(٤٧٠) طبقات ابن سعد (٣/٢٧٩) . كراكر جمع كركرة ، وهي صدر كل ذي خف . والصلا : وسط الظهر من كل ذي أربع . والصناب ككتاب ، الطويل الظهر ، والصلائق : والخبز الرقاق .
(٤٧١) طبقات ابن سعد (٢٨٠) .

لقد كان عمر يستنفق درهمين كل يوم له ولعياله[٤٧٢] . ولم يركب دابّة عام الرمادة وقال : « والله لا أركبها حتى تحى الناس »[٤٧٣] . وكانت بطنه تقرقر من الزيت ذلك العام فكان يقول : « تقرقر !! والله لا تأكله (أي السمن) حتى يأكله الناس »[٤٧٤] ، ولم يقرب امرأة عام الرمادة حتى أحيا الناس هماً[٤٧٥] .

وكان يقول : « اني أنزلت نفسي من مال الله منزلة مال اليتيم ، ان استغنيت استعففت وان افتقرت أكلتُ بالمعروف »[٤٧٦] .

من عظمة عمر انه لم يهتم ببطنه وجيبه وفرجه وملبسه وكرسيّه ، بينما جعل كثير من الحاكمين كل ذلك كل همهم من الحياة .

انه لم يقل : ان الدنيا تبدّلت ، وانني فتحت البلاد وغلبت القياصرة والأكاسرة ،فلابد من مأكل فاخر ومال وافر وملبس لين ومسكن مريح ... الخ ، بل بقى كما هو على أثر صاحبيه من قبله : النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر الصديق ، فقال في خطبة له : « ... واني امرؤ مسلم وعبد ضعيف الا ما أعان الله عزّ وجل ، ولن يغيّر الذي وليت من خلافتكم من خلقي شيئاً ان شاء الله ، انما العظمة لله عزّ وجل وليس للعباد منها شيء ، فلا يقولنّ أحد منكم : ان عمر تغيّر منذ ولي ، أعقل الحق من نفسي ، وأتقدم وأبيّن لكم أمري ، وأيما رجل كانت له حاجة أو ظُلم مظلمة أو عتب علينا في خلق ، فليؤذني ، فانما أنا رجل منكم[٤٧٧] ... » .

ان الانسان ــ اذا كان انساناً حقاً ــ يكون له مثل عليا يؤمن بها ، وهو بهذا وحده يتميّز عن الحيوان .

---

(٤٧٢) طبقات ابن سعد (٣٠٨) .
(٤٧٣) طبقات ابن سعد (٣١٢/٣) .
(٤٧٤) طبقات ابن سعد (٣١٣) .
(٤٧٥) طبقات ابن سعد (٣١٥/٣) .
(٤٧٦) طبقات ابن سعد (٢٧٦/٣) .
(٤٧٧) الطبري (٢٨٢/٣) .

والمثال الشخصي الذي ضربه عمر للمسلمين في أيامه في النزاهة والأمانة ، جعل من كل واحد منهم مثالاً حياً للنزاهة المطلقة وللأمانة النادرة .

لما قُدم بسيف كسرى على عمر ومنطقته ونفائسه ، قال : « ان أقواماً أدّوا هذا لذوو أمانة » ، فقال علي بن ابي طالب : « انك عففت فعفّت الرعية »[478] . فلا يلومنّ مسؤول خان أمانته أو ارتشى غيره اذا خان أو ارتشى ، فلو أنه كان أميناً نزيهاً لسرت امانته ونزاهته الى من يحكمهم وتمكنت منهم .

كان عمر يقول : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل ان توزنوا ، فانه أهون عليكم في الحساب غداً ان تحاسبوا أنفسكم اليوم ... تزينوا للعرض الأكبر »[479] .

وكتب الى ابي موسى الأشعري بالبصرة : « أما بعد . فان اسعد الرعاة من سعدت به رعيّته ، وان أشقى الرعاة عند الله عزّ وجل من شقيت به رعيّته ، واياك أن ترتع فيرتع عمالك فيكون مثلك عندالله عزّ وجل مثل البهيمة نظرت الى خضرة من الارض فرعت فيها تبغي بذلك السمن ، وانما حتفها في سمنها ، والسلام عليك »[480] . وكتب الى أبي موسى أيضاً : من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس ، ومن تزيّن للناس بغير ما يعلم الله من قلبه شانه الله عزّ وجل ، فما ظنك في ثواب الله في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام »[481] .

« ... لم أر عبقرياً يفري فريه »[482] ، كلمة قالها النبي عليه

---

(٤٧٨) الطبري (١٢٨/٣) .
(٤٧٩) صفة الصفوة (١٠٩/١) .
(٤٨٠) حلية الاولياء (٥٠/١) .
(٤٨١) حلية الاولياء (٥٠/١) .
(٤٨٢) فتح الباري بشرح البخاري (٣٦/٧) وشرح الامام النووى على صحيح الامام مسلم (١٤٧/٥) . وعبقري القوم : سيدهم وكبيرهم وقويهم. ويفري فريه : أي يعمل عمله .

السلام في عمر رضي الله عنه ، وهي كلمة لا يقولها الا عظيم عظماء ، خلق لسياسة الأمم وقيادة الرجال[٤٨٣] . وقال أبو بكر الصديق : « ما على ظهر الأرض أحبّ اليّ من عمر »[٤٨٤] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « وزيراي من أهل الأرض أبو بكر وعمر ، وانهما السمع والبصر »[٤٨٥] .

وقيل لعمر : انك قضاء ، فقال : « الحمد لله الذي ملأ قلبي لهم رحمة وملأ قلوبهم رعبا » . وعوتب عمر فقيل له : « لو أكلت طعاماً طيباً أقوى لك على الحق » ، فقال : « اني تركت صاحبيّ على جادة ، فان أدركت جادتهما فلم أدركهما في المنزل » . وكان يلبس وهو خليفة جبة صوف مرقوعة بعضها بأدم ويطوف بالأسواق على عاتقه الدرّة يؤدب بها الناس ، واذا مرّ بالنوى وغيره يلتقطه ويرمي به في منازل الناس ينتفعون به !![٤٨٦] .

ورآه علي بن ابي طالب يعدو الى ظاهر المدينة ، فقال له : « الى أين يا أمير المؤمنين ؟ » ، فقال : « قد ندّ بعير من إبل الصدقة ، فأنا أطلبه » ، فقال : « قد اتعبت الخلفاء من بعدك »[٤٨٧] .

لقد اتعب الخلفاء من بعده حقاً ، وقد مضت القرون ولم تلد النساء مثله ، ولا أراها ستلد مثل عمر !

انه من قوم لا يرون فضائلهم فضائل ، ولكنهم يرونها أمانات ائتمنوا عليها من الله لتبقى بهم معانيها في هذه الدنيا ، فهم يُزرعون في الأمم زرعاً بيد الله ، ولا يملك الزرع غير طبيعته[٤٨٨] .

ان فضائل عمر التي يذكرها له التاريخ باعجاب أي اعجاب وتقدير أي تقدير ، كثيرة لا تكاد تعدّ ولا تحصى .

---

(٤٨٣) عبقرية عمر (١٠) .
(٤٨٤) تاريخ الخلفاء (٨١) .
(٤٨٥) البداية والنهاية (٧/١٣٤) .
(٤٨٦) البداية والنهاية (٧/١٣٤) .
(٤٨٧) البداية والنهاية (٧/١٣٦) .
(٤٨٨) وحي القلم (٢/١٨٠) .

انه كان أعظم فاتح في تاريخ الاسلام كلّه دون منازع ، وكان من روّاد الجيش الاسلامي الاولين في تنظيمه وتسليحه وتدريبه وتجهيزه وقيادته •

كان اسلامه حداً فاصلاً بين عهدين للاسلام : عهد الدعوة سراً قبل اسلامه ، وعهد الدعوة علناً بعد اسلامه •

وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم كل غزواته ، وقاد في أيامه بعض السرايا[٤٨٩] ، وثبت في أعصب المواقف الى جانب الرسول القائد : في (أُحد) ويوم حنين •

وكان في أيام أبي بكر الصديق الساعد الأيمن لخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعماله العسكرية والادارية ، وكان لمبادرته ببيعة أبي بكر يوم السقيفة أثر حاسم في القضاء على الفتنة الداخلية بين المهاجرين والأنصار في مهدها •

وكان لرأيه في جمع القرآن الذي أبداه لأبي بكر والحّ عليه لوضعه في حيّز التنفيذ بعد استشهاد كثير من حملة القرآن في معارك الردّة ، أثر حاسم على حفظ القرآن الكريم من الضياع •

وفي أيامه ظهرت عبقريته الفذّة في توطيد أركان الدولة الاسلامية وتوسيع نفوذها واشاعة الحق والعدل والحرية والمساواة في ربوعها •

انه لم ينجح اعتباطاً في مهمته قائداً وادارياً ••• فما هي أسباب نجاحه ؟

كانت له عقلية مدركه منظمة : يؤمن بالشورى ، ولا يحيد عن العدل المطلق ••• فكان أول من كتب التاريخ الهجري ، وأول من اتخذ بيت المال ، واول من دوّن الدواوين ، وأول من أمم الأرض المفتوحة ، وأول من مصّر الأمصار •

أما أسباب سرعة واندفاع وانتشار الفتح في أيامه فهي : اقامة الوحدة

---

(٤٨٩) طبقات ابن سعد (٣/٢٧٢) •

السياسية في بلاد العرب على أسس سليمة ، وبذلك أصبحت (القاعدة) التي ترتكز عليها الجيوش في أيام الفتح قوية رصينة .

وتفتيت الفروق التي كانت قائمة بين العرب انفسهم ، وبذلك أصبحوا أمة واحدة متماسكة أمدّوا الجيوش الاسلامية بسيل جارف من القادة والجنود .

وكان عمر أول من جعل الجند فئة مخصوصة وأنشأ (ديوان الجند) للاشراف عليهم بتسجيل اسمائهم واوصافهم ومقدار أرزاقهم واحصاء أعمالهم . وعندما انصرف أولئك الجند بعد الفتح وتكوين الثروة وامتلاك العقارات الثابتة ، فطن عمر الى هذا الخطر وأمرهم بالانصراف الى الجهاد وضمن لهم أرزاقهم وأرزاق عوائلهم . والى عمر يرجع الفضل في اقامة الحصون والمعسكرات الدائمة لراحة الجنود أثناء الطريق ، بعد أن كانوا يقطعون المسافات الطويلة على ظهور الأبل ولا يرتاحون أثناء الطريق . كما بنى العواصم وأقام الحاميات في عدّة أماكن لصدّ هجمات الأعداء المفاجئة[490] .

هكذا كان جند المسلمين في أيام عمر ، كل جندي منهم يؤمن بعقيدة واحدة هي الأسلام ، له هدف واحد هو اعلاء كلمة الله ، مدرب ، مسلّح ، له عطاء خاص لسدّ حجته وحاجة أهله ، مطمئن على مصير أهله في صحرائه أو في قريته أو في مدينته ، تخصص له الدولة ما تحمله عليه الى ميدان القتال اذا لم يجد ما يمتطيه ، مرتاح في سفره وله سكن بعد المعركة ...

هذا الجندي يقاتل بامرة قادة ماهرين ، فقد كان لعمر قابلية فذّة على انتخاب الرجال المناسبين للعمل المناسب ...

وهذه الجيوش بقيادتها تعمل متعاونة بقيادة عمر قائداً سوقياً فذاً من أعظم القادة السوقيين في تاريخ الحرب كلّه ، وتحارب حرباً انسانية

---

(٤٩٠) النظم الاسلامية (٢٢٦) .

بعيدة كل البعد عن الظلم والعدوان •••

تلك هي أسباب سرعة اندفاع الفتح الاسلامي في عهد عمر بن الخطاب ••• وهي أسباب كفيلة بسرعة اندفاع أي فتح في أي عصر من العصور •

وكان من نتائج الحرب الانسانية التي خاضها العرب المسلمون في عهد عمر ، الحرّية التي كفلها الفاتحون لأهل البلاد المفتوحة في أمر العقيدة ، مما دعا الفرس والروم وغيرهم للاقبال على الاسلام وعلى اللغة العربية • وزاد في اقبالهم ما فرضه الاسلام من المساواة بين المؤمنين على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم وعاداتهم ، وما قرّره من انه لا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى ، ومن ان المؤمنين اخوة ؟ فلا يكمل ايمان أحدهم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه • فهذا الاخاء وهذه الحريّة والمساواة أدّت كلها الى انتشار جو ضاعف من قوّة الوحدة في الدولة الاسلامية ، وتضاعف في ظلّه نشاط كل جزء من اجزائها[٤٩١] •••

وهكذا بدأت وحدة عربية تحت لواء الاسلام في أيام النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر الصديق ، ثم أصبحت في عهد عمر بعد الفتح وحدة اسلامية شاملة دينها الاسلام ورائدها السلام ، ودخل غير المسلمين في دين الله أفواجا ، وأقبلوا على اللغة العربية تعلماً وتدريساً حتى أصبح بعضهم من أكبر أئمة اللغة العربية ومن أعظم روّادها •

هذه بعض أعمال عمر التي جعلته ينشىء دولة ويقيم وحدة وينشر لغة ويرفع بنياناً •••

انه نسى نفسه وذكر رعيته وأخلص لله ، فخسر نفسه وربح الدنيا والآخرة •

قال عبدالله بن عبّاس : « كان عمر كلما صلىّ صلاةً جلس للناس ، فمن كانت له حاجة نظر فيها • فصلى صلوات لا يجلس فيها ، فأتيت الباب

(٤٩١) الفاروق عمر (٢/٣٤٣) •

فقلت : يا يَرْفا ! أبامير المؤمنين شكوى ؟ قال : لا . فبينا أنا كذلك اذ جاء عثمان ، فدخل يرفا ثم خرج علينا ، فقال : قم يا ابن عفّان ، قم يا ابن عبّاس ، فدخلنا على عمر وبين يديه صُبَرٌ من مال ، على كل صبرة منها كَتِفٌ ، فقال : اني نظرت فلم أجد بالمدينة أكثر من عشيرة منكما ، خذاً هذا المال فاقسماه بين الناس ، فان فَضَلَ فَضْلٌ فردّا . فأما عثمان فحثا ، وأما أنا فجثيت لركبتيّ فقلت : وان كان نقصاناً رددت علينا ؟ فقال : شِنْشِنَةٌ من أخْشَن ؟ (يعني حجراً من جبل) ، أما كان هذا عندالله اذ محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه يأكلون القد(٤٩٢) ؟ قلت : بلى ، ولو فُتِحَ عليه لصنع غير الذي تصنع ! قال : وما كان يصنع ؟ قلت : اذاً لأكل وأطعمنا . قال : فرأيته نشج حتى اختلفت أضلاعه ، وقال لودِدْتُ أني خرجت منه كفافاً ، لاعليّ ولا لي »(٤٩٣) .

وقال ابن عبّاس : « دخلت على عمر حين طُعن فجعلت أثني عليه ، فقال بأيّ شيء تثني عليّ ؟ بالأمرة أو بغيرها ؟ قلت : بكل . قال : ليتني أخرج منها كفافاً لا أجْرَ ولا وِزر »(٤٩٤) .

وقال ابن عبّاس : « قلت لعمر : مَصّر الله بك الأمصار وفتح بك الفتوح ، وفعل بك وفعل ! فقال : لوددت أني أنجو منه لا أجْرَ ولا وِزْر » . ولما حضرته الوفاة قال : « بالأمارة تغبطونني ؟ فوالله لوددت أني أنجو كفافاً لا عليّ ولا لي »(٤٩٥) .

وقيل له وهو على فراش الموت : « أبشر يا أمير المؤمنين لبشرى الله تعالى بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الاسلام ما قد علمت ، ثم وليت فعدلت ، ثم شهادة ، فقال : « وددت أن ذلك كفاف لا

---

(٤٩٢) القد : الشيء المقدود . والقديد : اللحم قطع طولا وملح وجفف في الهواء والشمس .
(٤٩٣) طبقات ابن سعد (٣/٢٨٨) .
(٤٩٤) طبقات ابن سعد (٣/٣٥١) .
(٤٩٥) طبقات ابن سعد (٣/٣٥١) .

عليّ ولا لي »[496] .

وقال عبدالله بن عامر : « رأيت عمر أخذ تبنة من الأرض فقال : ليتني كنت هذه التبنة ، ليتني لم أخلق ، ليت أمي لم تلدني ، ليتني لم أكن شيئاً ، ليتني كنت نسياً منسيا »[497] .

كل تلك الأنجازات التي أنجزها عمر ، وهو يتمنى أن يخرج منها كفافاً لا له ولا عليه ، فكيف بالذين لم ينجزوا شيئاً ثم يملأون الدنيا صراخاً ودعاوى ؟؟

رضي الله عن القائد الفاتح ، الفارس المغوار البطل الكرّار ، القوي الأمين ، القاضي العادل ، الحاكم العبقري ، الفقيه المحدّث ، العالم العامل ، الذكيّ الألمعيّ ، التقي النقي ، الخليفة الورع ، المجتهد المشرّع ، الفاروق عمر بن الخطاب العدوي القرشي .

---

(٤٩٦) الاستقصا (٢١/١) .
(٤٩٧) صفة الصفوة (١٠٩/١) .

المصادر

١ ـ القرآن الكريم ٠

٢ ـ تفسير ابن كثير ـ الحافظ بن كثير ـ مطبعة المنار بمصر ـ ١٣٤٧هـ ٠

٣ ـ تفسير البغوى ـ الامام البغوى ـ مطبعة المنار بمصر ـ ١٣٤٧هـ ـ مطبوع في القسم الادنى من صحائف تفسير ابن كثير ٠

٤ ـ تفسير الكشاف ـ الامام الزمخشري ـ مطبعة بولاق بمصر ـ ١١١٣هـ ٠

٥ ـ تفسير انوار التنزيل ـ القاضي البيضاوي ـ مطبعة دار الكتب العربية الكبرى بمصر ـ ١٣٣٠هـ ٠

٦ ـ تفسير المنار ـ السيد محمد رشيد رضا ـ مطبعة المنـــار بمصر ـ ١٣٢٥هـ ٠

٧ ـ تفسير الجلالين ـ جلال المحلي وجلال السيوطي ـ مطبعـة حجازي بالقاهرة ـ على هامش القرآن الكريم ٠

٨ ـ في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ مطبعة دار احياء الكتب العـــربية بمصر ـ الطبعة الثانية ٠

٩ ـ التفسير الواضح ـ محمد محمود حجازي ـ مطابع دار الكتاب العربي بمصر ـ الطبعة الثانية ٠

١٠ ـ تفسير القرآن الكريم ـ محمود شلتوت ـ مطابع دار القلم بمصر ـ الطبعة الثانية ٠

١١ ـ فضائل القرآن ـ الامام ابن كثير ـ مطبعة المنار بمصر ـ مطبوع بنهاية تفسير ابن كثير ـ ١٣٤٧هـ ٠

١٢ ـ تفصيل آيات القرآن الكريم ـ وضعه بالفرنسية جول لابوم وترجمه محمد فؤاد عبدالباقي ـ مطبعة عيسى البابي الحـــلبي بمصر ـ ١٣٤٣هـ ـ الطبعة الاولى ٠

١٣ ـ دليل الحيران في الكشف عن آي القرآن ـ الحاج ناظم صالح ـ المطبعة الحميدية بمصر ـ ١٣٢٢هـ ٠

١٤ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبدالباقي ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ ١٣٦٤هـ ٠

١٥ ـ المرشد الى آيات القرآن الكريم وكلماته ـ محمد فارس بركات ـ المطبعة الهاشمية بدمشق ـ ١٣٧٧هـ ٠

١٧ ـ كتاب المصاحف ـ الحافظ السجستاني ـ المطبعة الرحمانية بمصر ـ ١٣٥٥هـ ٠

١٨ ـ فتح الباري بشرح البخاري ـ الامام ابن حجر العسقلاني ـ مطبعة بولاق بمصر ـ ١٣٠١هـ ٠

١٩ ـ التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح ـ الحسين بن المبارك ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ـ ١٣٤٧هـ ٠

٢٠ ـ شرح النووى على مسلم ـ الامام النووى ـ المطبعة الكتلية بمصر ـ ١٢٨٣هـ ٠

٢١ ـ مسند الامام أحمد بن حنبل ـ الامام أحمد بن حنبل ـ المطبعة الميمنية بمصر ـ ١٣١٣هـ ٠

٢٢ ـ سنن ابن ماجة ـ الامام ابن ماجة ـ المطبعة العلمية بمصر ـ ١٣١٣هـ٠

٢٣ ـ سنن الترمذي ـ الامام الترمذي ـ طبعة بولاق بمصر ـ ١٢٩٢هـ ٠

٢٤ ـ مفتاح كنوز السنّة ـ وضعه بالانكليزية الدكتور فنسنك وترجمه محمد فؤاد عبدالباقي ـ مطبعة مصر ـ ١٣٥٢هـ ٠

٢٥ ـ المحلى ـ ابن حزم ـ المطبعة المنيرية بمصر ـ ١٣٥٠هـ ٠

٢٦ ـ الأم ـ الامام الشافعي ـ مطبعة بولاق بمصر ـ ١٣٢٢هـ ـ الطبعة الاولى ٠

٢٧ ـ الخراج ـ الامام أبو يوسف ـ المطبعة السلفية بمصر ـ ١٣٤٦هـ ٠

٢٨ ـ الخراج ـ قدامة بن جعفر البغدادي ـ أعادت مكتبة المثنى ببغداد طبعه ـ ١٩٦٣م ٠

٢٩ ـ المنتقى من أخبار المصطفى ـ عبدالسلام بن تمية الحراني ـ مطبعة حجازي بمصر ـ ١٣٥١هـ ـ الطبعة الاولى ٠

٣٠ ـ تيسير الوصول ـ ابن الربيع الشيباني ـ المطبعة السلفية بمصر ـ ١٣٤٦هـ ٠

٣١ ـ كتاب الجهاد وكتاب الجزية وأحكام المحاربين من كتاب اختلاف الفقهاء ـ محمد بن جرير الطبري ـ مطبعة ليدن ـ ١٩٣٣م ٠

٣٢ ـ سيرة ابن هشام ـ أبو محمد عبدالملك بن هشام ـ مطبعة حجازي بالقاهرة ـ ١٣٥٦هـ ٠

٣٣ ـ عيون الأثر ـ ابن سيد الناس ـ مطبعة القدسي ومطبعة السعادة

بمصر ـ ١٣٥٦هـ ٠

٣٤ ـ جوامع السيرة ـ ابن حزم ـ مطبعة دار المعارف بمصر ٠

٣٥ ـ السيرة الحلبية ـ علي الحلبي الشافعي ـ مطبعة مصطفى محمد بمصر ٠

٣٦ ـ مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد عبدالوهاب ـ المطبعة السلفية بمصر ـ ١٣٧٩هـ ٠

٣٧ ـ طبقات ابن سعد ـ ابن سعد ـ مطبعة دار بيروت وصادر ببيروت ـ ١٣٧٦هـ ٠

٣٨ ـ الاصابة في تمييز الصحابة ـ الامام العسقلاني ـ مطبعة دار السعادة بمصر ـ ١٣٢٣هـ ٠

٣٩ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ ابن الأثير ـ المطبعة الاسلامية بطهران ـ ١٣٧٧هـ ٠

٤٠ ـ الأستيعاب في معرفة الاصحاب ـ ابن عبدالبر ـ مطبعة نهضة مصر بالقاهرة ٠

٤١ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال ـ الامام الذهبي ـ مطبعة السعادة بمصر ـ ١٣٢٥هـ ٠

٤٢ ـ أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا ـ ابن حزم ـ ملحق بجوامع السيرة ـ مطبعة دار المعارف بمصر ٠

٤٣ ـ أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد منهم من العدد ـ ابن حزم ـ ملحق بجوامع السيرة ـ مطبعة دار المعارف بمصر ٠

٤٢ ـ المعارف ـ ابن قتيبة ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ ١٩٦٠م ٠

٤٥ ـ تهذيب ابن عساكر ـ المطبعة العربية بالشام ـ ١٣٥١هـ ٠

٤٦ ـ تهذيب التهذيب ـ الامام ابن حجر العسقلاني ـ مطبعة حيدر آباد الدكن ـ ١٣٢٦هـ ٠

٤٧ ـ صفة الصفوة ـ الامام ابن الجوزي ـ مطبعة حيدر آباد الداكن ـ ١٣٥٥هـ ٠

٤٨ ـ خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال ـ صفي‌الدين أحمد الخزرجي ـ المطبعة الخيرية بمصر ـ ١٣٢٢هـ ٠

٤٩ ـ الرياض النضرة في مناقب العشرة ـ أبو جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري ـ مطبعة دار التأليف بمصر ـ ١٣٧٣هـ ـ الطبعة الثانية ٠

٥٠ ـ حلية الأوليات وطبقات الأصفياء ـ الحافظ الاصبهاني ـ مطبعة

السعادة بمصر ـ ١٣٥١هـ ٠

٥١ ـ تهذيب الاسماء واللغات ـ الامام النووى ـ المطبعة المنيرية بمصر ٠

٥٢ ـ الولاة والقضاة ـ أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري ـ مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت ـ ١٩٠٨م ٠

٥٣ ـ الوزراء والكتّاب ـ أبو عبدالله محمد بن عبدوس الجهشيارى ـ مطبعة عبدالحميد أحمد حنفي بمصر ـ ١٣٥٧هـ ـ الطبعة الاولى ٠

٥٤ ـ تاريخ الطبري ـ الامام الطبري ـ مطبعة الاستقامة بمصر ـ ١٣٤٧هـ٠

٥٥ ـ تاريخ ابن الأثير ـ ابن الأثير ـ مطبعة ذات التحرير بمصر ـ ١٣٠٣هـ ٠

٥٦ ـ مروج الذهب ـ المسعودي ـ طبع على هامش تاريخ ابن الأثير ـ مطبعة ذات التحرير بمصر ـ ١٣٠٣هـ ٠

٥٧ ـ البلاذري ـ فتوح البلدان ـ أبو الحسن البلاذري ـ مطبعة السعادة بمصر ـ ١٩٥٩م ٠

٥٨ ـ فتوح الشام ـ الواقدي ـ مطبعة دار العهد الجديد بمصر ـ ١٣٧٣هـ٠

٥٩ ـ المختصر من أخبار البشر ـ تاريخ أبى الفدا ـ أبو الفدا ـ المطبعة الحسينية بمصر ـ ١٣٢٥هـ ٠

٦٠ ـ تاريخ اليعقوبي ـ أحمد بن يعقوب ـ مطبعة الغري بالنجف ـ ١٣٥٨هـ ٠

٦١ ـ تاريخ ابن خلدون ـ العلامة ابن خلدون ـ مطبعة بولاق بمصر ـ ١٢٨٤هـ ٠

٦٢ ـ مقدمة ابن خلدون ـ مطبعة مصطفى محمد بمصر ٠

٦٣ ـ تاريخ عمر بن الخطاب ـ ابن الجوزي ـ مطبعة محمد علي صبيح بمصر ٠

٦٤ ـ البداية والنهاية ـ عمادالدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ـ مطبعة السعادة بمصر ـ

٦٥ ـ شذرات الذهب ـ ابن العماد الحنبلي ـ مطبعة القدسي بمصر ـ ١٣٥٠هـ ٠

٦٦ ـ تاريخ الاسلام ـ شمس‌الدين الذهبي ـ مطبعة السعادة بمصر ـ ١٣٦٨هـ ٠

٦٧ ـ دول الاسلام ـ الامام الذهبي ـ مطبعة حيدر آباد الدكن ٠

٦٨ ـ البدء والتاريخ ـ المنسوب لابن البلخي وهو لمطهّر بن طاهر المقدسي ـ طبع باريس ـ ١٩١٦م ٠

٦٩ ـ العبر في خبر من غبر ـ الحافظ الذهبى ـ مطابع حكومه الكويت ـ ١٩٦٠م ٠

٧٠ ـ تاريخ الخلفاء ـ السيوطى ـ المطبعة المنيريه ـ ١٣٥١هـ ٠

٧١ ـ فتوح مصر والمغرب ـ ابن عبدالحكم ـ مطابع لجنة البيان العربي بمصر ٠

٧٢ ـ الاستقصا لدول المغرب الاقصا ـ مطبعة دار الكتاب في الدار البيضاء بالمغرب ـ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ـ ١٩٥٤م ٠

٧٣ ـ المسالك والممالك ـ الاصطخـرى ـ مطـابع دار القلم بالقاهره ـ ١٣٨١هـ ٠

٧٤ ـ معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ مطبعة دار السعادة بمصر ـ ١٣٢٣هـ ٠

٧٥ ـ آثار البلاد وأخبار العباد ـ زكريا القزويني ـ مطبعة دار صادر ودار بيروت ببيروت ـ ١٣٨٠هـ ٠

٧٦ ـ تقويم البلدان ـ أبو الفدا مطبعه باريس بدار الطباعه السلطانيه ـ ١٨٤٠م ٠

٧٧ ـ المسالك والممالك ـ ابن خرداذبة ـ اعادت مكتبة المثنى ببغـــداد طبعه ـ ١٩٦٣م ٠

٧٨ ـ أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ـ المقدسي المعروف بالبشاري ـ مطبعة بريل بليدن ـ ١٩٠٦م ٠

٧٩ ـ زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ـ غرس الدين خليل ابن شاهين الظاهري ـ مطبعة الجمهورية بباريس ـ ١٨٩٤م ٠

٨٠ ـ البلدان ـ أبو بكر أحمد بن ابراهيم الهمذانى المعروف بابن الفقيه ـ مطبعة بريل بليدن ـ ١٣٠٢هـ ٠

٨١ ـ الاعلاق النفيسة ـ أبو علي أحمد بن عمر بن رسته ـ مطبعه بريل بليدن ـ ١٨٩١م ٠

٨٢ ـ البلدان ـ أحمد بن يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبي ـ مطبعة بريل بليدن ـ ١٨٩١م ٠

٨٣ ـ المشترك وضعا والمفترق صقعا ـ ياقوت الحمـــوي ـ طبع سنة ١٨٤٦م وأعادت مكتبة المثنى ببغداد طبعه سنة ١٩٦٣م ٠

٨٤ ـ أطلس العالم الاسلامى ـ هاري هازار ـ مطبعة مصر ٠

٨٥ ـ جمهرة أنساب العرب ـ ابن حزم ـ مطابع دار المعارف بمصر ـ ١٣٨٢هـ ٠

٨٦ ـ نسب قريش ـ المصعب الزبيرى ـ دار الطباعة بمصر ـ ١٩٥٧م ٠
٨٧ ـ أنساب الاشراف ـ البلاذري ـ مطبعة دار المعارف بمصر ٠
٨٨ ـ المنتخب في ذكر أخبار العـــرب ـ عبدالرحمن بن حمد بن زيد المغيري ـ مطبعة المدني بمصر ـ ١٣٨٢هـ ٠
٨٩ ـ الانساب المتفقة ـ ابن القيسراني ـ مطبعة بريل بليدن ـ اعـادت مكتبة المثنى ببغداد طبعه سنة ١٩٦٣م ٠
٩٠ ـ العقد الفريد ـ ابن عبدربه ـ المطبعة الازهرية بمصر ـ ١٣٤٦هـ ـ الطبعة الثانية ٠
٩١ ـ الكامل ـ أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد ـ مطبعة محمد علي صبيح بمصر ـ ١٣٤٧هـ ٠
٩٢ ـ عيون الاخبار ـ ابن قتيبة ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ ١٣٤٣هـ ٠
٩٣ ـ البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ مطبعة الاستقامة بالقاهرة ـ ١٣٧٥هـ ـ الطبعة الرابعة ٠
٩٤ ـ الاصنام ـ أبو المنذر هشام بن محمد الكلبى ـ المطبعة الاميريـة بالقاهرة ـ ١٣٣٢هـ ٠
٩٥ ـ الاحكـــام السلطانية ـ الماوردي ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ـ ١٣٨٠هـ ـ الطبعة الاولى ٠
٩٦ ـ مختصر سياسة الحروب ـ الهرثمي ـ مطبعة مصر ـ ١٩٦٤م ٠
٩٧ ـ بلوغ الأرب ـ محمود شكري الالوسي ـ مطابع دار الكتاب العربى بمصر ـ الطبعة الثالثة ٠
٩٨ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ـ مطبعة بولاق بمصر ـ ١٣٠١هـ ٠
٩٩ ـ ترتيب القاموس المحيط ـ طاهر أحمد الزاوي ـ مطبعة الرســالة بمصر ـ ١٩٥٩م ٠
١٠٠ـ المعجم الوسيط ـ مجمع اللغة العـــربية بمصر ـ مطبعة مصر ـ ١٣٨٠هـ ٠
١٠١ـ مختار الصحاح ـ محمد بن أبى بكر الرازي ـ المطبعة الاميريـــة بالقاهرة ـ ١٣٣٤هـ ـ الطبعة الخامسة ٠

المراجع

١ ـ الفتوحات الاسلامية ـ لزبنى دحلان ـ مطبعه مصطفى محمد بمصر ـ ١٣٥٤هـ ٠

٢ ـ الاعلام ـ خير الدين الزركلي ـ الطبعة الثانية ٠

٣ ـ أيام العرب في الجاهلية ـ محمد أحمد جاد المولى ورفقاؤه ٠

٤ ـ الخلفاء الراشدون ـ عبدالوهاب النجار ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٦٠ ٠

٥ ـ حياة محمد ـ محمد حسين هيكل ـ الطبعة الخامسة ـ ١٩٥٢ ٠

٦ ـ الصديق أبو بكر ـ محمد حسين هيكل ـ مطبعة مصر ـ ١٣٧٧هـ ٠

٧ ـ الفاروق عمر ـ محمد حسين هيكل ـ مطبعة مصر ـ ١٣٦٤هـ ٠

٨ ـ عبقرية الصديق ـ عباس محمود العقاد ـ مطبعه المعارف بمصر ـ ١٩٤٣ ٠

٩ ـ عبقرية عمر ـ عباس محمود العقاد ـ ١٣٧٩هـ ـ الطبعة السادسه ٠

١٠ ـ عبقرية خالد ـ عباس محمود العقاد ـ مطابع دار الهلال بمصر ٠

١١ ـ أخبار عمر ـ علي الطنطاوي وأخوه ـ مطابع دار الفكر بدمشق ـ ١٣٧٩هـ ـ الطبعة الاولى ٠

١٢ـ زعماء الاسلام ـ حسن ابراهيم حسن ـ المطبعة النموذجية بمصر ـ ١٩٥٣م ـ الطبعة الاولى ٠

١٣ ـ الشخصيات البارزة التاريخية ـ أحمد فريد رفاعي ـ مطبعة المعارف بمصر ـ ١٣٥٢هـ ـ الطبعة الاولى ٠

١٤ ـ السياسة الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ـ عبدالمتعال الصعيدي ـ دار الفكر العربي ـ ١٣٨١هـ ٠

١٥ ـ الشيخان ـ طه حسين ـ مطابع دار المعارف ـ ١٩٦٠ ٠

١٦ ـ غزوة أحد ـ محمد أحمد باشميل ـ مطبعة دار الكتب ببيروت ٠

١٧ ـ الرسول القائد ـ محمود شيت خطاب ـ دار الشمالي للطباعة بيروت ـ ١٩٦٠م ـ الطبعة الثانية ٠

١٨ ـ قادة فتح العراق والجزيرة ـ الجزء الاول من قادة الفتح الاسلامى ـ محمود شيت خطاب ـ مطابع دار القلم بالقاهرة ـ ١٩٦٣ ٠

١٩ ــ عمر بن الخطاب ــ محمد صبيح ــ دار القاهرة للطباعة ــ ١٩٥٨م ٠

٢٠ ــ الجهاد في الاسلام ــ حامد مصطفى ــ مطبعة المعارف ببغداد ٠

٢١ ــ الجهاد في الاسلام ــ محمد شديد ــ مؤسسة المطبوعات الحديثة ٠

٢٢ ــ القرآن والقتال ــ محمود شلتوت ــ مطبعة دار الكتاب العربي ــ ١٩٥١م ٠

٢٣ ــ الفن الحربي في صدر الاسلام ــ عبدالرؤوف عون ــ مطابع دار المعارف بمصر ٠

٢٤ ــ آثار الحرب في الفقه الاسلامي ــ وهبة الزحيلي ــ مطابع دار الفكر بدمشق ــ ١٣٨٢هـ ٠

٢٥ ــ الخراج في الدولة الاسلامية ــ محمد ضياء الدين الريس ــ مطبعة نهضة مصر ــ الطبعة الاولى ٠

٢٦ ــ منهاج الحكم في الاسلام ــ محمد أسد ــ دار العلم للملايين ببيروت ٠

٢٧ ــ الاسلام والسلام العالمي ــ سيد قطب ــ مطبعة الاعتماد بمصر ــ الطبعة الثانية ٠

٢٨ ــ النظريات السياسية الاسلامية ــ محمد ضياءالدين الريس ــ مطبعة لجنة البيان العربى بمصر ــ الطبعة الاولى ــ ١٩٥٢ ٠

٢٩ ــ الاسلام عقيدة وشريعة ــ محمود شلتوت ــ مطابع دار القلم بالقاهرة ٠

٣٠ ــ من توجيهات الاسلام ــ محمود شلتوت ــ مطبعة الازدهر بمصر ٠

٣١ ــ حقائق الاسلام وأباطيل خصومه ــ عباس محمود العقاد ــ مطبعة مصر ــ ١٣٧٦هـ ٠

٣٢ ــ اشتراكية الاسلام ــ مصطفى السباعي ــ دار المطبوعات العربية بدمشق ــ الطبعة الثانية ٠

٣٣ ــ نظرات في كتاب اشتراكية الاسلام ــ محمد الحامد ــ مطبعة العلم بدمشق ــ ١٣٨٢هـ ٠

٣٤ ــ النزعة الاشتراكية في الاسلام ــ أنور الخطيب ــ دار العلم للملايين ببيروت ٠

٣٥ ــ مباديء الاسلام ــ أبو الاعلى المودودي ــ المطبعة الهاشمية بدمشق ــ ١٣٧٣هـ ٠

٣٦ ــ الاشتراكية في الاسلام ــ طه المدور ٠

٣٧ ـ نظرية الاسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور ـ أبو الاعلى المودودي ـ دار الفكر بدمشق ٠

٣٨ ـ الادارة الاسلامية في عز العرب ـ محمد كرد علي ـ مطبعة مصر ـ ١٩٣٤ ٠

٣٩ ـ الجغرافية العسكرية ـ طه الهاشمي ـ مطبعة الكرخ ببغداد ـ ١٩٣٤م ٠

٤٠ ـ الامة في الحرب ـ المشير فون لودندروف ـ مطبعة الشعب ببغداد ـ ١٩٥٦م ٠

٤١ ـ نظام السلم والحرب في الاسلام ـ مصطفى السباعي ـ مطابع دار الكشاف ببيروت ٠

٤٢ ـ السياسة الشرعية ـ ابن تيمية ٠

٤٣ ـ سفرة الزاد لسفرة الجهاد ـ أبو الثناء شهاب‌الدين السيد محمود الالوسي ـ مطبعة دار السعادة ببغداد ـ ١٣٣٣هـ ٠

٤٤ ـ الجندية ـ واقع ومثال ـ أمين الخولي ـ دار المعرفة ـ ١٩٦٠ ٠

٤٥ ـ نظم الحرب في الاسلام ـ جمال‌الدين عياد ٠

٤٦ ـ نظامات الخدمة السفرية ـ كتاب رسمي ٠

٤٧ ـ ادارة الحرب ـ كتاب رسمي ٠

٤٨ ـ فوج مشاة في المعركة ـ كتاب رسمي ٠

٤٩ ـ الفرقة في المعركة ـ كتاب رسمي ٠

٥٠ ـ مجلة الرسالة المصرية العددين [٤٩٣ و (٤٩٥)] ـ مقالان عن : التلباثي للعقاد ٠

٥١ ـ مجلة المجمع العلمي العراقي ٠

٥٢ ـ وحي العلم ـ مصطفى صادق الرافعي ـ مطبعة الاستقامة بالقاهرة ـ الطبعة الرابعة ـ ١٣٧٠هـ ٠

الفهارس

١ ـ الأعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(ف)

(ق)

(ل)

(م)

(ن)

(هـ)

(ي)

٢ ـ الأمـاكن

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(و)

(ي)

٣ ـ الموضوعات

آثار المؤلف

الـكتب العسكرية

١ ـ القضايا الادارية في الميدان •

٢ ـ التدريب الفردي ليلا •

التاريخ الاسلامي

١ ـ الرسول القائـد ـ الطبعة الثالثة ـ دار القلم في القاهرة •

٢ ـ قادة فتح العراق والجزيرة ـ دار القلم في القاهرة •

٣ ـ قادة فتح أرض الشام ومصر

٤ ـ قادة فتح ايران

٥ ـ قادة فتح المغرب

٦ ـ قادة فتح المشرق

٧ ـ قادة فتح الاندلس والبحـــار

٨ ـ قادة فتح اوربة

(تصدر تباعـاً)

٩ ـ الفاروق القائد ـ مطبعة العاني في بغـــداد •

١٠ـ الصديق القائد

١١ـ الامام القائد

١٢ـ القادة الراشدون

١٣ـ كرامة العلماء

١٤ـ الحرب والسلام في الاسلام

١٥ـ قادة النبي

١٦ـ سفراء النبي

١٧ـ الفتح الاسلامي

(تصدر تباعـاً)

تاريخ الحرب

المشيرفون رونشتد ـ طبع في بغداد ونفذ •